

# القاهرة

عبد الرحمن زكي

تقديم : هانا عبور الأريمية  
أكبر مكتبة رقمية



www.egyptlibra

الجزء الثاني

مسجد محمد علي إنا

الطبعة الأولى  
١٣٥٤ هـ = سنة ١٩٣٥ م

# البحر: شمس الزينة

الهدايا ١٩٩٩

٢٠٠٠

أحمد محمد المهدى  
أغنى فكتبة العدل الربط

# الفاخرة

للأدب الأول

عبد الرحمن زكي

من حياض الأشكال الشعرية

تليجرام مكتبة غواص في بحر الكتب

[ الجزء الثاني ]

إلى زملائي  
وإلى الذين عاونوني في كتابة  
القاهرة

مكتبة هانا سور الأزيكية  
60000

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

بقلم الدكتور زكي محمد حسن

ظهر الجزء الأول من هذا الكتاب في العام الماضي فكنت من أشد الناس إغباطاً به وابتهاجا لظهوره ولا فروق قد سدت في عالم التأليف العربي فرائدا كبيرا إذ كان من العار أن لا يوجد في اللغة العربية كتاب بل كتب حديثة عن ماصعة النيل للصرة وإن نظرق أبواب الأجانب نستفيدهم ما نحتاج إليه في دراسة تاريخها وأثارها

وسرى اليوم أن أقدم الى القراء الجزء الثاني من كتاب القاهرة وانا حريص الحرص كله على أن أفي المؤلف حقه من اللدح والثناء ليس فقط لأنه أحسن القيام بما أخذه على ماته فأنطعت محاولته ولم يضع جهده عينا بل لأنى كنت أختنى أن يتعده عن تمام هذا الجزء ما يحسنه وبشعره هو وغيره من المؤلفين في مصر من قصود في تشجيعهم وتقدير ما يذلونه من جهود كبيرة ولا سيما حين ينهضون بعبء الكتابة في موضوعات لم يسبقهم كثيرون الى البحث فيها ولا تتم دراستها الا ببطء خاصة فيما يتألفها سواد الناس بشيء من الوجوم والاستغفاف

وليس هذا الجزء من كتاب القاهرة بأقل ملاحظة من الجزء الذي سبقه فنهج البحث فهما واحد والمصر الذي عرض لنا المؤلف صورته هنا ليس أقل أهمية من المصور التي سبقته بل أن في هذه الصورة ما يبعث على تفكير أكثر لصعق حقائقها وتعرف ما وراءها

وفي الواقع ان انحلال دولة المماليك وعسكركها بنا كانت الدعوة العثمانية تسير بخطى واسعة الى التوطد وانتهاء بجل مصر فريسة هينة لما وكان استيلاء العثمانيين على وادي النيل وانزاعهم الخلافة الإسلامية إيداناً بانتهاء مرحلة العصور الوسطى في مصر وابتداء العصور الحديثة بما فيها من علاقات سياسية متصلة بالامبراطورية العثمانية والعالم الأوربي وقد وثق المؤلف كل التوفيق في شرح الحوادث التاريخية التي مرت بمدينة القاهرة منذ استولى عليها السلطان سليم حتى أشرق نجم محمد علي باشا الكبير فتجسج في وضع الحيز الأساسي لاستقلال مصر الحديث . وجاء خلفاؤه من بعده فعملوا على تدعيم هذا الاستقلال . وعرض المؤلف في هذا الجزء صورة بديعة للقاهرة ولطور فن العمارة فيها وما أصابه وبقيّة الفنون من تعصيد أو غيره على يد الذين استولوا على أزمة الحكم في وادي النيل .

ورب معجب بطريقة المؤلف لم يكن ذلك الإعجاب ليمتد من مناقشته في أمور قليلة ليكون كتابه أقرب ما كتب عن القاهرة الى الاتقان والكمال ولكن علينا جميعا أن نذكر أن الملازم الأول عبد الرحمن زكي عمل على أن يلائم بين كتابه وبين عقول سواد القراء وأخذ على مآقده أن يلزم الاجتهاد وأن يترك التحليل والدقة والاستقصاء الى المعصّل من كتب التاريخ والفنون والآثار

ومهما يكن من شيء فإن رجاءه في هذا الكتاب انما هو تهديد السبيل ليستطيع غيره أن يصل الى حيث لم يصل  
ففسى أن يحرص القراء على الانشغال بما كتب وأن يث ذلك فهم روح الفريد من البحث والانعام في دراسة كتب الفنون والآثار

زكي محمد حسن



## تمهيد

الجندي أقرب أفراد الشعب الى وطنه وحق الناس بحريف موطنه يلاذه .  
فلا غرو مطلقا إذا كنا نرى فريقا من الصكرين يشتغلون في أوقات فراغهم بوصف  
المدن التي زاروها أو عاشوا فيها والبحث عن الآثار ودرس فنون العمارة والكتابة عن  
تاريخ الفن .

يخيل الى بعضهم أنه ليست هناك صلة علاقة بين الجندي والآداب والفنون . وفي الواقع  
أن الفنون الجميلة متصلة اتصالا وثيقا بالحرب . وما هنالك إلا دعامات قوية لها . فأننا لم  
نر فنا من الفنون على وجه البسيطة تقوم له قاعة إلا بين أمة مسلحة . ولم نر فنا يقوم  
بين شعب من الرماة أو شعب زراعي . تلك الشعوب التي تمت بطبيعتها الى السلام . فان  
الفن الكامل لا يقوم إلا مع القوة

ان الجندي أساس الفنون والتضائل المالية وفي مقدمة عوامل الرجولة الكاملة .  
ونحن إذا قارنا حالة الفنون بعد الحرب الكبرى بحالتها قبلها تبين لنا بسهولة تلك الرابطة  
الوثيقة بين الحرب والفن



تناولنا في الجزء الأول من كتاب القاهرة تاريخها منذ أسسها القائد مجمر وسورها  
البطل صلاح الدين وحصنها خلقاؤه ونسقاها للمالك بأفكارم الجميلة . وفي هذا الجزء  
نقرأ كيف أصبحت القاهرة فريسة بين أيدي الكوات والباشوات ومن بعدهم نابليون  
بوناپرت وما أن تخلصت من احتلال الفرنسيين حتى أهدمها على باشا بقرية العجبية  
ثم تولى أمرها الخديو اسماعيل باشا فنهض بها دفعة واحدة ونقلها من الشرق الى الغرب  
لقد أخذت القاهرة الأولى تحولى عن الأبحار ونسج كل شيء فيها إلا بقية من  
آثارها العظيمة وسطع محلها القاهرة الجديدة بجزائرها المتقطعة وأسواقها المنظمة ومتاحفها

الأيقة وماعدها الخيلة . وتغيرت ملابس ساكنها وآثاها وبجسمات شعها .  
والقاهرة ساورة بدم سريفة نحو الحضارة للزينة تظهرها وروما .

\*\*\*

ولا يتسع للقام لذكر أسماء جميع الأفاضل الذين ساهموا معي في اخراج الجزء الثاني  
من كتاب القاهرة . فمن الواجب على أن أشكر حضرة الدكتور زكي عبد حسن الأمين  
العلمي بدار الآثار العربية وقد تقضيل بكتابة مقدمة الكتاب وغمرني بإرشاداته وآرائه  
عند ما كتبت فصول هذا الجزء كما أذكر له مع الشكر الجزيل مراجعته إيها . ولا يغوتني  
التنويه بمجهود الأستاذ محمود أفتدي شافعي لتهديب الصفحات الكتاب فقد تب معي  
كثيرا . وسوف لأتسى أيضا فضل صديق الأستاذ كريم أفتدي ثابت في هذا السبيل  
ولست أنسى توجيه خالص شكرى لجميع أصدقائي من موظفي دار الكتب المصرية  
ولاسيا حضرة صاحب العزة عبد بك أسعد براده مديرها للفضال ولحضرات أمناء دار  
الآثار العربية ولجناب مديرها العالم للسيوفيت . ولجنة حفظ الآثار العربية ومديرها  
العالم الأستاذ محمود بك أحمد والأستاذ حسن أفتدي عبد الوهاب وللجمعية الجغرافية  
للمسكية وحضرة أمين مكتبة المعهد العلمي

وأرى حقا على أن أدون آية الشكر لجميع الذين تقضيلوا بعمشيدى عند ظهور الجزء  
الأول وأخص بالشاء أعلام الصحافة فإن ما أسدوه الى من السطف والتشجيع والتقد  
كان له أحسن الوقع في نفسي . فلم على " فضل ان أسماء  
وأسال الله تعالى أن يديم صاحب الجلالة ملكتنا للنظم ويحفظ ولى عهد حضرة  
صاحب السمو الملكي الأمير فاروق انه جميع محبيب .

عبد الحليم

( ١٣٥٤ - ١٣٦٥ م )





## قائمة السلاطين الغوري

كلية عامة - القاهرة كما شهدنا ابن ياس - مزيج دابق - طومان باي -  
أعمال الغوري - السلطان سليم في القاهرة - العثمانيون يتقدمون في  
القاهرة - آخر السلاطين للمصريين - تدمير القاهرة - السلطان سليم  
يظفر القاهرة

اتسمت القاهرة في أيام المماليك الجراكسة بمصر  
انسابا كبيرا وتفتت بين أطوار المعلة والمدار تبعاً لما  
أصابها من معارك السماء ونكبات الوباء ومجاعات الفلاء  
وحوادث الاعتداء . واستجبت فيها جهات كما تخربت  
جهات فكان يتحول العامر دارساً والمدارس عامراً  
بحسب أمزجة السلاطين ومماليكهم وأتباعهم !

وكانت القلعة من الأجزاء التي للبيت عناية  
كبيرة منذ قيام الدولة الأيوبية فشيدت فيها المباني  
الفاخرة والقصور الزاهرة وعمر ماحولها فامتصت  
ياسوارها المأثر بالمحجر والرميلة وكانت مقر  
السلطنة ومسكن المماليك السلطانية وخواص  
الأمراء ودواوينهم وطبختاناتهم وشرابخاناتهم



باب ذرية

ومطابخهم وكان بها عدة أبراج لسجن الأمراء والمماليك ويجب حائل مظلم كرية  
الرائحة عميره السلطان قلاوون عام ٦٨٩ وأبطله التاصر محمد بن عام ٧٢٩ هـ  
واستجبت في أيام الجراكسة عمائر نعمة بالقاهرة وبلاط ومصر للقدمية وكثرت  
القصور والبساتين في أرياض المدينة وأخذ نطاق المعلة ينمو ويتسع . وتنافس الأمراء  
في بناء الدور والمدارس والمساجد والرباطات والأصبلة والمشاهد

وعمرت في أيامهم جهة الحسينية وباب اللوق وحكوت بعض البساتين وزاد مظهرها روثقا ونحسبنا وأدخلت في أيامهم القباب الجركسية العظيمة والقاعات المصرية فبنى السلطان حسن بالقعة قاعة اليسرى وأتمها سنة ٧٩٠ هـ وبلغ ارتفاعها فوق وجه الأرض ٨٨ ذراعا وعمل بها برجاً بينت فيه من العلاج والأبنوس المطعم تلوذ قبة بمقد مقرررض قطعة واحدة يؤخذ الناظر إليها بحسبها ويدهش لجمالها ويجعل نوافله وشرفاته من الذهب الخالص . قيل إنه صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف متقال من الذهب لقد سبق الكلام عن قلعة هؤلاء للمليك البحرية والجرا كسة في الجزء الأول وسأقصر الكلام في هذا الفصل عن القاهرة في أثناء الفترة القصيرة التي سبقت دخول العثمانيين فيها واستيلائهم على البلاد

## القاهرة كما شاهدها ابن إياس

في آخر شهر المحرم ( ٩٧٧ هـ - ١٥١٦ م ) أمر السلطان النوري بعرض الجنود تجلس باليدان و عرض قواته التي تألفت إذ ذاك من أرج طباق وجد أيام أعاد السلطان عرض الأمراء المتقدمين وأمراء الطليخانات والشركات ثم أكل عرض جميع جنوده وتفقد آلات القتال واللعينات والتخيرة فدخل إلى قاعة اليسرى وشاهد ما فيها من « بكاتر وقرقات وجواشن »

في تلك الفترة احتضنت القاهرة بلوالد النبوي الشريف فأقام السلطان الخيمة العظيمة التي صنعها الأمراء قايماى وقد بلغ ثمنها ستة وثلاثين ألف دينار . وكانت على شكل قاعة فيها ثلاثة لوابين في وسطها قبة على أربعة أعمدة عالية « لم يعمل كما قيل في الدنيا لها نظير » . وصنعت من قماش ملون يقيمها ثمانية رجل من النواية فنصبها بالجوش ونصب الشربارية فيه أحواض جلد مغطاة بالماء السكر . وجلس السلطان في الخيمة وحضر الأتابكي ( قائد الجيش ) سودون السجسي والأمراء من المتقدمين والقضاة الأربعة والأعيان وقراء المدينة والعواظ ثم مد السلطان الساط الحافل فأكلوا وشربوا هنيئا . وكان ذلك اليوم أجمع أيام للوالد السابقة

وفي أواخر ربيع الأول أمر السلطان النوري بصرف الأموال للأمراء المتقدمين فأرسل للآتابكي سودون بمحة آلاف دينار وأمراء الطليخانات والجنود الثمانية السفر منه للشام لعبد تخدم السلطان سليم ونادى للنادى بأن السفر سيكون في أول ربيع

الثاني - واضطربت أحوال الجند وقامت القاهرة ونذر وجود الخيل والبنال وهجم المالك على طواحين الغلال ليأخذوا منها الخيول والبنال . ضقت الطواحين وقيل الخبز في الأسواق وكثر الغناء على السلطان واختفى الصانع واضطربت أحوال القاهرة . وكان بعض الناس قد عاب على السلطان عرضه لجنود مصر في أربعة أيام فحشوا أن يشاع هذا الخبر في بلاد الشاميين فينبههم إلى قلة

خرج السلطان القوي قاصدا الريادية للاجتماع خواته قبل السر الى الشام . واستمرت قوات المالك تخرج من القاهرة حتى كملت كلها فخرج السلطان من باب الأسطبل الذي عند سلم للدرج بالقنطرة وأمامه النصر السلطان وهو في موكب عظيم أوله الأتياك الثلاثة مزينة بالمتاجي ثم ترادفت صفوف الجند يتقدمهم بعض الناس يمسحون الطريق ثم الأمراء الطليعات والأمراء المشرات ثم أرباب الوظائف فالسادات الأشراف فالأمراء القدامى وصحبهم أمير أخو والي جانبه الأتابكي سودون العجمي ويهدم السادة القضاة الأربعة بحفهم أمير المؤمنين للعوكل على لفة جدين للتمسك بالقبض يوقب القبايى ونجمه الحرس السلطاني . ثم أقبل السلطان لتلك الأشراف أبو النصر قصوه القوي يعملي ظهر فرس أشقر حال بسرج ذهب وخطفه الصنمجي السلطاني . وسار المهرجان من باب زويلة فشق القاهرة وارتفعت له الأصوات بالثناء واطلقت له النساء بالزغاريد من الشرفات ومر من باب النصر حتى وصل الى خيم الجيش بالريادية

تحرك الجيش خيابة السلطان حد ان وثى على القاهرة الأمير ألباس وأوصى بالمحافظة عليها حتى عودته . فطلب الأمير ألباس إلى الأهالي تجميع بعض الحارث والاذقة . فمروا دربا في رأس سوق الدريس ودروبا في الحسينية وآخر على قنطرة الحاجب ومنته عتلقفى وسدعة خوخ وأصغر أوامره بأن يطلق على كل دكان قنديل وألا يخرج أحد من بيته بعد العشاء ولا يلقى بسلاح

وعين السلطان الأمير طومان باي الهوادر ثانيا عنه في الحكم بمصر فقبضطأحوالها في غيبته ولم يقع أى حادث . وكان الأمير يركب كل يوم ومعه الأمراء والجند الذين بمصر فيسير نحو للطرية وبركة الحاج فنادد دخل من باب النصر تحف به الجنود والأهالي احتفل في ذلك الحين بوفه النيل وفتح السد فوجه الأمير طومان باي فصبه فزل في سفينة كبيرة وتوجه الى القياص وعاين ارتفاع النيل ولما انتهى الاحتفال عاد الى داره في موكب حافل

ومن أوامر الأمير أنه منع الناس من السكن بالجسر القدي بركة الرطل وبالمسطح  
ومنع السفن من التخليق في البركة فصارت بيوت بركة الرطل غلابة وخسر أصحاب  
الأموال أموالا كثيرة وفي ذلك قال الشيخ بدر الدين الزحون :

وأصبحت بيوت الجسر خالية فلا لأصحابها سكنى ولا واحد يكرى  
وقد أصبحت تلك القصور خواليا فياوحشة السكان من كل ذي قصر  
على بركة الرطل نوحوا وعدوا لاسحل منها من نكل ومن خسر  
رعى الله أيما تقصت يطيبها ونعت بمصر في أمان وفي بشر  
وكان النوادر الكبر هو القدي أشار بهذا للنك بالهي والأمم  
تلك صورة من صور القاهرة في أواخر أيام المماليك الجراكسة اقتبسها عما كتبه  
للزحون للماصر لحوادث ذلك العصر الأديب الكاتب عبد بن إلياس ( ٨٥٢ - ٩٣٠ هـ  
١٤٤٨ - ١٥٢٣ م ) صاحب « بذائع الزهور في وقائع الدهور »

### مرجع سابق

قضت مدة طويلة لم تصل إلى مصر في أثناءها أخبار الجيش المصري في الشام  
حتى أشيع أن السلطان النوري قد هزم . ومخلص ما حدث أن السلطان النوري خرج  
من حبلان متوجها إلى مرج دابق واستقر فيها استعدادا للركة لكنه بوغث بالقوات  
الثانية فقاتلت القوات المصرية قتالا عنيفا وهزمت الثمانية وأسرنا سبعة صناعيق  
وبعض المكاحل وحاول سليم الفرار بعد أن قتل من جنوده أكثر من عشرة آلاف .  
لكن دارت الدائرة فها بد على الجيش المصري وقتل قائد الجيش « سودون » وملك  
الأمراء « سياب » وغن خي بك نائب حلب الجيوش المصرية فتهازم أمام الترك  
لاتفاق سابق بينه وبين رؤسائهم ف عزل السلطان وجهه مع خير قليل من ماله ليه وحاول  
أن يتحصن من بقوا حوله من الجند لكن كانت قوات الأعداء قد اشتد هجومها فوقع  
تحت سناك الخيل وهرسته أقسامها ولم تظهر جثة بين أشلاء القتلى

زحف السلطان سليم بجنوده إلى مسكر السلطان واستقر في خيامه واستولى على  
ما فيها من سلاح وابل وتحف . وعيول بعد ذلك عن مرج دابق قاصدا حلب فاستولى  
عليها وحصد إلى قلعتها مرض عارنها ومحتوياتها وقيل إنه كان فيها من المال ما قيمته  
ألف ألف دينار غير المروج الذهبية والطبول والأجر للرصعة بالمقصود من التينة والسيف  
المسجلة بالذهب والورد والخوخة . . . الخ

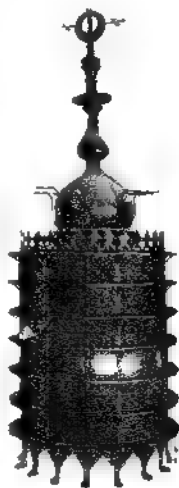
## طومان باى وأيامه فى القاهرة

سود الى القاهرة بعد أن وصل إليها ثانياً مرة  
التورى هربى أنه لا ثبت للأمير الدوادار موت  
السلطان لم يدع الخطباء يوم الجمعة باسمه بل دعوا  
باسم الخليفة فقط واستمرت مصر بدون «سلطان»  
مدة . وفى هذا الشهر (شعبان ٩٢٢ هـ) عرض  
الأمير جنود القاهرة وخطب فيهم بأن يحكوتوا  
على استعداد

بعد أيام عاد بعض الأمراء الذين كانوا مع  
السلطان فى الشام فاستقبلهم الأمير الدوادار خارج  
القاهرة وانفقوا على أن يولوا السلطة فامتنع  
فى أول الأمر ثم وضع أخيراً لطلبهم

فى يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان  
(٩٢٢ هـ ١٥١٧ م) اجتمع الأمراء وعلى رأسهم  
أمير المؤمنين حقوق والد الخليفة لتوكل على الله  
وكان فى أسر سليم بالشام فباجه هذا بياضة عن ولده  
بعد أن أظهر هو بصا مطلقا من ابنه . فلما تمت البيعة  
لطومان باى وعمره اذ ذاك ثمانية وثلاثين سنة أحضروا  
له خاتمة السلطنة وثقوب بالملك الأشرف وأقبل  
الأمراء أمامه يقولون الأرض ودقت له الدواب  
بالقلعة وودى باسمه فى القاهرة كما ارتفعت له الأصوات  
بالدماء ورالت دولة التورى وغربت شمسها

استطاع طومان باى أن يدمشع بما ليك ليحاول أن يكسر شوكة عدوه العثماني فاشترى ثمانين  
مدهما كبير امي جمهوري قلاتندقية ولكن قيل (إن المالك لم يحسوا الاستعادة هـ) بهمهم طريقة  
استعملها وطن العثمانيون أقوى منهم فى أسلحتهم الحربية بالرغم من استعداد طومان باى  
وحشده عددا كبير امي الر حال . وفى أوائل شهر ذى الحجة عام ٩٢٢ راجت إشاعة فى



نور (شربا) من مجلس عزم بأشكال  
جملة كبيرة الاختلاف عليه أفتاب  
السلطان التورى وتاريخ منه  
(٩٠٩ هـ - ١٥٢٢)  
هـ مجموعة در الآثار له به .

القاهرة مؤداهما ان السنين وصلوا إلى الزيادة فخرجت بعض قوات المليك لصدوم ولكن اتضح ان القادمين كانوا قوما من الأعراب نخب عليهم للمليك دون كبر صعوبة قامت القاهرة على قدم وساق وانتظر الجند أوامر السلطان للصراع القتال وجمعت كيات كبيرة من اللؤنة والقذوة من عجلات ومكاحل وبنادق وحواب . . الخ وأمر السلطان بمرض قواته وهم بملابسهم العسكرية الكاملة وأسلحتهم وفي طلبهم الأمراء الذين عينوا للتجربة . وفي اليوم للعودة خرجت الجنود إلى الزيادة وقد سدوا القضاة واجتمع السواد الأعظم من الناس كما ارتفعت الأصوات بالثناء السلطان بالنصر وخروج السلطان من وطاقه إلى السلطة فجلس فيها وتادى قوادسهم بأن يكونوا على استعداد السفر إلى الصالحية بعد ثلاثة أيام . وبدأ الجند في السير إلى الصالحية وهو يشرف على حركاتهم ويراقب سيرهم حتى مضوا جميعا وطاد هو إلى القلعة مطمئنا بما كان السلطان يستعد مع أمراء جيشه لصد أعداء البلاد كان تهاجم القاهرة يتقلون أمتهم وأموالهم من بعض الحوايت التي في الأسواق ودخلوها في الأماكن المهجورة وترك كثير من الأهالي أطراف المدينة ودخلوا إلى القاهرة وسكوا حتى أحيائها وهزل أعيان المدينة فانسهم إلى القبائر والمدارس والزوايا والتي بيوت الفقراء لكي تسلم من نهب القوافل.

ثم وردت الأنباء بخروج القوات السنين من عزة ووصولها « قاطية » داخل الجنود المصرية تقابل الجيش المصري هذه الاشاعة بصحة الزيادة تحصينا كاملا وإقامة سور لصد المكاحل التي أقيمت ثم حمرت خنادق كبيرة وعرض السلطان قواته كلها ثم تقدم بها حتى بركة الحاج . وكانت الجنود تمتد من الجبل الأحمر إلى حقول المطرية وبعد أيام وصلت أخبار بعيد أن السنين احتلوا بليس ونحووا منها إلى بركة الحاج فاضطربت أحوال الجيش وخلق باب الفتوح وباب النصر وباب الشرية وباب البحر وباب القنطرة وغيره من أبواب القاهرة وغلقت أسواقها وتسلط الطواحين

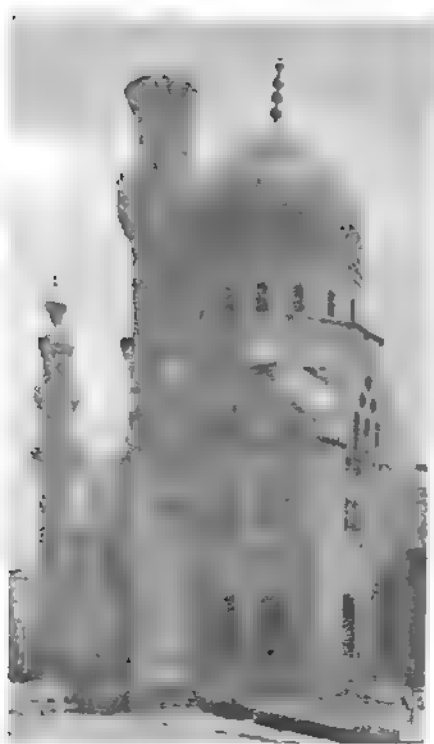
ولما تمت السلطان وصول مقدمة الجيش السنين إلى بركة الحاج جمع قواته وصار يرتبها في مواقعها بل زيادة وحصن وطاقه بالمكاحل والبنادق وكان الخندق الذي أكل حفره تمتد من الجبل الأحمر إلى حقول المطرية ويجعل خلف للمكاحل نحو ألف رجل عليها للزونة . وبدأ يضطر وصول السنين مع أنه لو تقدم لمقاتلتهم بركة الحاج لكان من المحتمل أن يتصر عليهم . ولكن بعد أيام زحف السنين حتى وصلوا إلى الجبل الأحمر فلما سمع طومان باي تقدم الأعداء قام في الحال بقواته التي تلاقى مع الأعداء

في أوائل الربدية . وفي ذلك الميدان حدثت المعركة الفاصلة بين المصريين والعثمانيين .  
كان ذلك اليوم الأسود هو التاسع والعشرون من ذي الحجة عام ٩١٢ الموافق ٢٣  
يناير سنة ١٥١٢ وهو اليوم الذي فقدت فيه مصر استقلالها  
لم تدم معركة الربدية أكثر من ساعة وبلغا من ساعة أثمة قضى فيها على الجيش  
المصري قضاء تاما فأصيب في صميم كبير ياله وفر أكثر رجاله نحو القاهرة  
أما السلطان طومان باي فقد صمد في مكانه وهو يقاتل بنفسه في نفر قليل من  
الرماة والملايك السلجوقية . لكنه لما رأى قوة عدد من أصبحوا حول خشي أن يذبح  
عليه ويشكل به عطوى صنيعة السلطان وولى واختفى وقيل انه قصد طره . لما كان من  
إحدى فرق الجيش العثماني إلا أن اتخذت طريق تقدمها من تحت الجبل الأحمر حتى  
نزلت على الوطاط السلطاني منهته واستولت على جميع معدات الجيش فيه . بينما استطاعت  
جماعات عدة من فلول الجيش العثماني دخول القاهرة من نواح شرق وأحدث تهبها تقع  
عليه أيديها . وما لاشك فيه أن احصار العثمانيين كان نكبة على مصر وللمصريين . وفي  
ذلك قال الشيخ بدر الدين الزرقاني :

نكس على مصر وسكانها قد خربت أركانها الباهرة  
وأصبحت بالقلل مقهورة من جد ما كانت هي القاهرة

## أعمال النورى

أعود الى ذكر ما أنشأ النورى من المباني في القاهرة فمنها الجامع والقرعة اللذان  
أنشأهما متتابعين . والآفة التي أنشأها في الجامع الأزهر وهي ذاتوا من وانشأ أيضا  
الرج والحوايت التي كانت بالسوق خلف مسجد وأشأ بضعة ربيع في خان الخليل  
كما شيد في باب القنطرة وبيع ودكا كج وأشأ يطولس في البتة قايين وبنال في زخرفته  
وأشأ هناك أيضا ر بما ووكالة . وأمر بإنشاء الميدان الذي تحت القلعة قبل البلاشجار  
من الشام وأجرى اليه الماء من السواقي وأنشأ به المتلطر والمقد والميت وأنشأ جليما  
خلف الميدان المذكور ووجد معظم عمارة القلعة منها الدخشة وقاعة البيسرة وقاعة  
الاعمدة وأنشأ المقعد القبطي الذي بالمحوش ووجد أيضا عمارة للمطبخ الذي بالقلعة  
وأشأ سوقا قريب بالقرب من خان الخليل . ووجد عمارة ميدان المهارة الذي كان بالقرب  
من قناطر السباع بناء بالمجر بعد ما كان بالظوب القين . ووجد عمارة المتباس وأنشأ به



جامع شريف (۱۹۷۷-۱۹۷۸)



قصرًا ومقعدًا مطلقًا على البحر ويحدد عمارة الجامع الذي هناك . ويحدد عمارة قنطرة  
 بنى وإيل والقنطرة الجديدة وقنطرة الحاجب وقنطرة القروى وعلاقتها حتى صارت  
 السفن تمر من تحتها ويحدد أيضا عمارة قناطر السباع وأشياء بمدينة الطينة على ساحل  
 البحر الأبيض قلعة لطيفة بها أبراج كما أصلح طريق القبة  
 وقد قام السلطان النورى بانشاء وتجديد كثير من الآثار الإسلامية فى مصر وبلاد  
 العرب والشام وأعد لنفسه ضريحًا ولكنه لسوء حظه لم يدفن فيه مقبرة التى بناها لنفسه  
 ولقى يعرف الآن بالمنزلة الركبة سبة الى شيخ العروة للرحوم أحمد زكى باشا

## السلطان سليم فى القاهرة

فى اليوم التالى دخل وزراء السلطان سليم القاهرة بصحبهم أمير المؤمنين محمد التوكل  
 على الله وملك الأرماتخى بك الذى خان سيده السلطان النورى وأخضع الى السلاطين .  
 دخلوا من باب النصر واخترقوا القاهرة وأمامهم للشايعات تنادى بالأمان . والراعى من  
 ذلك فان الجنود السلاطين كانوا يتهبون بيوت الناس للأغنياء والفقراء واستعمر النهب  
 ثلاثة أيام وفى يوم الجمعة خطب بسم السلطان سليم شاه على منابر مساجد مصر والقاهرة  
 بدأ رجال السلطة الجديدة يقبضون على رجال العهد الماضى ويختلوهم ويشهرون  
 بهم ومهمهم والى القاهرة الأمير كرتباى الأشرفى غزوا رأسه وعلقوها فى وظائفهم وولوا  
 مكانه « يحيى بن مكار » . ثم قتل السلطان سليم ومطافه من الريداية ونصبه فى بولاق  
 بالقرب من الجزيرة الوسطى وقيل ان معانيج القلعة أحضرت إليه فلم يسر إليها وفصل  
 أن يقيم على شاطئ النيل

وفى يوم الاثنين ثالث المحرم دخل السلطان سليم الى القاهرة من باب النصر واخترق  
 المدينة فى موكب حافل وأمامه الجنود للشايعات والحق وصل باب روية ثم عرج من تحت  
 الريع وتوجه من هناك الى بولاق حيث أقام ومطافه

وفى يوم الأربعاء بوغت سليم بهجوم طومان باى عليه قتل كثيرا من السلاطين  
 وأحرق معظم الخيام واستولى للصريون على رأس الجزيرة الوسطى الى قنطرة باب البحر  
 والى قنطرة قديدار واستمرت الحرب بين الفريقين من القجر الى ما بعد المغرب . ثم  
 اشتد القتال ونادى طومان باى فى جهة القاهرة وقناطر السباع بأن كل من يقبض

على ضئافى يأخذ ما عليه ويقطع رأسه ويحضرها بين يدى السلطان . وقد نجح المصريون فى طرد التتايين من بولاق وبجزيرة القيل وامتلكوها كما طردوهم أيضا من الجزيرة الوسطى الناصرية . ودمروا عقدة قنطرة قديدار خوفا من هجوم التتايين واستيلائهم عليها . وزل السلطان طومان باى فى جامع شيخو بالصليية وصار يركب بنفسه ويجول فى قر قليل من جنته من الصليية الى قناطر السباع . ثم أمر بحفر خندق فى رأس الصليية وآخر عند قناطر السباع وآخر عند رأس الرملة وآخر بالقرب من جامع ابن طولون . وأمر السلطان طومان باى بحرق خان الخليلى وقيل ان بعض الأمراء منه من ذلك

ادن القاهرة فى ذلك الأسبوع كانت ميدانا لمسكرين ... هناك فى الشمال المسكر التتاي ... وهناك فى جنوب القاهرة المسكر للمصري يحتله جنود طومان باى ومما ليكه . وبذلك لقارئه أن يلم ببعض الحركات العسكرية التى اتبعها المصريون للاستيلاء على القاهرة بعد أن احتل التتايون جزءا منها . فقد قسم طومان باى جنوده الى أربع فرق : الفرقة الأولى احتلت منطقة قناطر السباع والفرقة الثانية احتلت جهة الرملة والثالثة جهة جامع ابن طولون والرابعة جهة باب زويلة . وبينما كان هذا الاستعداد تاما كنت ترى بعض عماليك السلطان يخشون فى الاسطبلات خوفا من القتال ويطش جنود ابن عثمان . وقيل ان فرقة عثمانية عيوت القيل بالقرب من مصر القديمة وانجحت الى القرافة الكبيرة واستولى رجالها على للمنطقة للمتنة بين باب القرافة الى مشهد السيدة نجسة فقتلوا ضرعها وامتنعوه ومروا قتاديه القضيية وبسطه النجسة وقتلوا كثيرا من الناس الذين احتسوا بالفرج . وبينما استمر القتال فى تلك الجهة ادا بعض الجنود التتايين القارين أمام المصريين قد صعدوا الى مأذنى الجامع للزمنى وصاروا يوجهون رصاصا ينادقهم نحو المارة ويمتنعونهم من الدخول الى باب زويلة واستمروا على هذه الحال حتى صعد فريق من المصريين وقطروا فى قبة المأذنة شرقة . وكان للره أيضا قاده قدامه يرى جيش القتل من القريتين ملقاة مشوغة فى الطرق بين بولاق وقناطر السباع والرملة والقنطرة . وفى تلك الفترة القصيرة خطب بلم طومان باى على منابر القاهرة لكن لم يدم الأمر طويلا فى جانب المصريين . ففى يوم السبت ثامن من المحرم ( ٩٢٣ هـ ) خربت ممة الجنود وتكسلس معظم الأمراء ولم يبق بجانب طومان باى الا نفر قليل من عبيده ومما ليكه المخلصين منهم « شاديك » الأور . فلما لاح له أن نجده قد أهل وبنت المريية أمام عينه فرقا صاذا بركة الجيش ثم توجبه الى البنسا

## العثانيون يتقمون في القاهرة

لما انهزم السلطان هجمت جنود العثمانيين على حي العيلية وأضرمو النار في جامع شيخو فاحترق سقف الأيوان الكبير والقبعة وأحرقوا البيوت التي حول الجامع وقبضوا على الشرفي بن العباس خليف الجامع وأحضره بين يدي السلطان سليم فبهم بضرب عنقه لما بلغ الخليفة ذلك ركب قاصدا السلطان وشنع في ابن العباس وأخذته من القتل . وبدأ الجنود انتقامهم من الأهالي بجائحة فظيعة فكانت الجثث ملقاة في كل مكان وبلغ عدد قتلى تلك المأساة فوق العشرة الآلاف في مدة لا تتجاوز أربعة أيام وصار العثمانيون يهجمون على بيوت للمالك الجراكسة ويضربون أعناق من عجزوا عليه منهم . وتحول المجرمون إلى الساجد قصصوا الأتربة والحاكم وابن طولون وضربا من المدارس والأضرحة وقطوا من وجدوه فيها من للمالك . وقول إهم قبضوا على ثمانية منهم ضربوا رقابهم كلهم بين يدي سلطانهم . ولما انتهى انتقام العثمانيين عاد السلطان سليم إلى وطائه في الجزيرة الوسطى وأعلن الأمن لكل من يظهر من الأمراء على اختلاف مراتبهم ووجهه إلى مدرسة السلطان النوري فظهر الأمير أركاس أمير السلاح والأمير أنصباي أمير أخو كبير والأمير عمر الحسن رأس قوة التوب وغيرهم من الأمراء الطليخانات والشرقات . فلما اجتمعوا قابوا السلطان سليم في وطائه فويعهم ثم أمرهم بالإقامة في القلعة

وفي يوم الخميس عشرين من المحرم نادى السلطان سليم في العيلية وقطار السباع بأن يجلي أصحاب الأملاك في العيلية ويجمع ابن طولون بيوتهم لأنه سيقصد القلعة للإقامة فيها فاطاع الأهالي ذلك الأمر وخرجوا من بيوتهم فحطها العثمانيون في الحال وأصبحت مناطق العيلية إلى جامع قوصون إلى قطار السباع انتهاء من باب زويلة يشغلها العثمانيون . وبعد أيام صعد السلطان سليم إلى القلعة في موكب عظيم وحوه جنده وكان ذلك أول صعوده إليها واحتجب عن الناس ولم يظهر لأحد ولم يجلس على التكة بالجوش السلطاني كما جرت العادة من قبل . وأملت في أيامه القلعة أهلا شائتا . فقد ربلت الخيول في الحوش إلى باب القلعة إلى الأيوان الكبير وجامع التناصر وخربت أكثر الأماكن التي فيها . وأمر السلطان غك رخاميا ليضعه إلى الاستانة بوضعه في صناديق من الخشب ومن أم ما فكه رخام قلعة اليسرية التي كان السلطان النوري

قد اغتصبه بدوره من أولاد ناظر الخاص حيث كان يرزق قاعتهم الحماية بمصر فاديا  
سلط الله تعالى يده موده من اغتصبه من اليسرية . ولم يقصر السلطان همه على نقل  
الرخام والصف والآثار الى بلاده بل رحل طوائف من البنايين والمهندسين والنجارين  
والنجارين والمزجين والمبلطين من المسلمين والمسيحيين الى الأستانة ليعملوا في المدرسة  
التي أراد بناؤها في الأستانة على طراز مدرسة السلطان النوري

## آخر سلطان مصري

وفي شهر صفر ( ١٨٩٣ ) أشيع زحف طومان باي على البنايين في الجيزة فوكت  
بعض اضطرابات في القاهرة ثم دارت مفاوضات بين السلطان من سلطان ما انتهت بالقتل  
لنفاض وجهي النظر . ثم أشيع أن جنود طومان باي وصلت الى ترسه بالقرب من  
الجيزة فاجاز السلطان سليم النبل بالقرب من الجيزة لا يلفه وصول طومان باي الى  
« المناوت » وتلاقى الفريقان عند وردان فدارت معركة شديدة بينهما انهصر فيها المصريون  
على البنايين ولكن تكرار البنايون بعد ذلك وتخلوا عليهم فهرب طومان باي الى  
« البوطة » ولما تم لنصر السلطان سليم على الجنود المصريين قطع رموس المالك الجراكسة  
والمربان ووضعها في سفينة الى بولاق ثم حملها النوبيون على أكثافهم وعرواها وأمامهم  
الطبول والزومر وزينت المدينة بأكلها لهذا النصر المشهود

وقد أقام في الجيزة أياما زار في أثنائها الأهرام التي دهش من بنائها الخالد ووقف  
أمامها تلك الوقفة التاريخية التي وقفها من بعده ثلاثة قرون نابليون بونابرت على رأس  
جيشه الفرنسية على مصر

أما طومان باي فانه بعد هزيمته توجه الى « تروجه » في مديرية الغربية كاعدا صديقه  
حسن بن مرعي وابن أخيه في ضيعة تسمى « البوطة » بالبحيرة وأقام ضيفا عندهما  
واستوثق من وقائهما بأن أحضر مصحفان رفعا حلقهما عليه ألا يجوز له وأن لا يشرأ به .  
فلما استقر عندهما أحاط به الأعراب من كل جانب ووصل للسلطان سليم خبر يفيد  
وجود طومان باي في ذلك المكان فأرسل اليه جماعة من جيشه قبضوا عليه وهو مصنف  
في ردى الأعراب وكلوه بالحديد وتوجهوا به الى السلطان سليم فلما كاد يراه حتى وقف  
وطأ بغير أمر موضعه في الحظ في الوطاق الثاني ببابه وهو مكبل في الحديد سبعة عشر يوما  
الى اليوم الثاني والعشرين من ربيع الأول ( ١٨٩٣ ) حتى ذلك اليوم صبروا به النهر من

إمابة إلى بولاق قلعص وأعلمه نحو أربعمائة عماني فشقوا القنطرة حتى وصلوا إلى باب زويلة وهو لا يدرى من أمره شيئا . فلما أتى تحت الباب أنزلوه من على فرسه وأرخوا له الحبال ووقف حوله الجنود الثمانية شامري سيفهم استعدادا لتنفيذ أمر السلطان سليم بقتله . فلما تحقق من مصيره قال الناس الذين اتفخوا حوله : « انظروا إلى الناعمة ثلاث مرات » . وكان هو أول من بسط يدهم قرأ السورة ثلاثا وقرأها الناس معه ثم قال للبلاد :

« اعمل شغلك »

فقام الجلاد يهيمه ووضع الخيل حول عنته وفي لحظة قصيرة كلز جثة هامدة . صرخ الناس من الرعب وكثر الحزن عليه . فقد كان سلطانا شابا في نحو الراجة والأربعين من عمره شجاعا نهت أمام أعداء بلاده وقد غيت جثته ثلاثة أيام معلقة على باب زويلة حتى فاحت ريحتها فأنزلوها ووضعوها في تابوت وتوجهوا بها إلى مدرسة عمه السلطان النوري حيث غسل وكفن وصلى عليه . ثم دفن في الخوخ الذي خلف المدرسة ومضت أخباره وعنه قال للروح الكاتب ابن إلياس :

لمنى على سلطان مصر كيف قد ولّى وزال كأنه لن يذكر  
شعوه ظلما فوق باب زويلة ولقد أداؤه الولي الأكبر  
يؤرب قاعفوا عن عظام جرمه واجصل بجناات النعم له قرا

ولما تخلى السلطان سليم من مناصه غادر وطاقه بإمابة وتوجه إلى القاهرة وشقها من باب الخرق ودخل من باب زويلة وتوجه إلى الجامع الأزهر فريفت للمدينة وصلى فيه صلاة الجمعة ونصلى ببلغ من لال ثم طد ثانية إلى بولاق من الطريق الذي أتى منها . وفي شهر ربيع الآخر اجهاز الليل ونزل بالمقياس بالروضة . وكانت في ذلك اليوم رياح عاصفة كانت ترقق سيفه . وبعد أيام نقل مصكرة إلى الروضة ومصر القديمة وأمر بطرد سكانها واحل الثمانية منازل الأهل . وكان يردد عليه وزاؤه يوميا يظالمونه بالأمور التي يظلمونها ويأخذون منه أوامره وكان ينقل كثيرا بين القلعة ومقياس الروضة

في الشهر الثاني عرض السلطان سليم جيشه للجوزقوعين منه جماعة للسر مناه إلى الاسكندرية حيث قضى فيها خمسة عشر يوما ثم عاد ثانية إلى القاهرة وقصد لمقياس بالروضة

## تدمير القاهرة

وباليت الأمر اقتصر على ما اختاره مطرك الجند في أحياء القاهرة أو ما أمر السلطان بتركه من رخام القلعة ونقله مع نخعها وأكلها إلى حاصمة ملكه بل كان وإلى القاهرة « يحيى بن تكار » يأخذ معه جماعة من الرعحين يهجمون على بيوت الناس المهادنين ويأخذون منها الرخام للتنوع الألوان يغربوا بذلك عدة بيوت كاملة في بولاق وعلى بركة الرطل كان يملكها تجار وأغنياء وأمراء وقواد . وبينما كان هؤلاء يهدمون في أعمال التضرع كان الوزراء القهابيون يهرون الكتب القيمة من المدرسة المحمودية والمؤبدية والصرخشية وغيرها من المدارس التي اشتملت على المكاتب القيمة . فكان التدمير مزدوجا تدميرا في السمارة وتدميرا في الأدب . وتمت بسبب ذلك أجيبة كثيرة كما فقدت حلقة من حلقات الأدب المصري

ولم يقصر القهابيون منهم على نقل الآثار للصرة إلى بلادهم بل كانت القاهرة كما يحدثنا ابن إياس تبيع وتوحيج وصار رجال الحفظ يفتون القبض على كل من يتخرق أبواب المدينة سواء أكان رجلا أو ضيفا ويضربونهم في الحبال ويأخذونهم إلى القلعة لسحب اللصاح الصاحبة للضعة التي كانت مركبة في أسوارها ثم يزلونها في السفن لتقلها إلى استابول . وكانوا قبل ذلك قد نقلوا العاودين الرخامين للمروحة في الأيوان الكبيرة للقلعة وقد أعجب السلطان سليم بمنطقة القياس فبنى عليها قصرا من الخشب بالقرب من القصر الذي كان أشاء هناك السلطان النوري وقد انتهى من بنائه بسرعة عجيبة

وفي شهر رجب عام ٩٧٣ هـ احتل يفتح السد ويجرى ما للنبيل في الخليج الحامكي وللقناصري وقد حضر الاحتفال يونس باشا نائب السلطان وكان احتفالا هادئا . ولما اجلأت بركة الرطل بلباء قصبتها جماعه العنانين وأجبروا أصحاب البيوت للطل على مغادرتها وأخذوا أبوابها وشرقتها ودرابزيناتها وأضرموا فيها النار

وكانت الجزيرة الوسطى قد خربت من آخرها نتيجة القاراك التي دارت حولها أو ميا ولم يبق منها سوى بعض الجدران . ونقل أصحاب الأملأك سقوف بيوتهم وأبوابهم وتوافدوا إلى حيث أودعوا في أماكن مستورة . وفي بركة الاز بكية خط القهابيون معسكرهم ومنعوا تسرب المياه إليها وخرّبوا كثيرا من بيوتها وسرقوا ما فيها من أخشاب وكذلك عملوا في منازل حي بولاق

وللقاضي أبو الفتح السرايى أحد أبواب الخشبية وكان مجلسه بمطجع ابن طولون مربية تضمنت أكثر حوادث التاريخ مصر أقدس منها الآيات الآتية :

توجهوا على مصر لأمم قد جرى من حدث عمت معصية الورى  
 زالت عساكرها من الأتراك في غمض العمون كأنها سفلكرى  
 لحق على شيخو ويصامع الذى قد كان قصوات مجتمع الورى  
 درست مطاله بحرق صار من بعد التخرق والرأضة أغبر  
 لحق على سوق الصلية كيف قد أخذت حوائت به مما جرى  
 لحق على فلك الرخام وهله من كل بيت كان زاه أزهر  
 زالت عمار مصر من أشياء قد كانت بها زهر على كل القرى  
 لحق على الأمراء كيف تشقوا وخط منازلهم ومات مغرورا

### السلطان يغادر القاهرة

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من شبان ( ٩٧٣ هـ ) خرج السلطان سليم من  
 بيت ابن السلطان قايتباى الذى كان خلف حمام القارقالواخترق للصليبة وصعد الى  
 الرملة وخرج من القلعة بحوكب عظيم يسبقه ملك الأمراء خيم بك نائب حلب ورجال  
 بردى القزائى نائب الشام وأمام الحرس السلطانى فرقة موسيقية . وكان السلطان يتطلى  
 ظهره بغطاء صفراء عالية قيل إنها من خال السلطان النورى . وكان معه فى اللوكب بونس  
 بنش والدفتردار وخية الوزراء والأمراء وأعيان البلاد . وصل للوكب الى الصوة  
 فقيرة الأشرف قايتباى حيث وقف السلطان لقراءة سورة الفاتحة واستمرقى سمره حتى  
 وصل الى وطاق بركة الحاج . ولاندبى لما لم يغترق للوكب السلطانى قلب القاهرة  
 وفصل السلطان السير فى طريقها على حين حياة

بعد ذلك سار للوكب الى الغاتاه فزل للاستراحة . وقيل إن السلطان سليم خرج  
 من مصر ومحبته ألف رجل معه ذهباً وفضة ونمغا وسلاحاً وأانى من الخرف والصينى  
 والتماس والخيول والبغال والجمال . . . الخ

أقام السلطان سليم فى مصر ثمانية أشهر إلا أياماً قليلة قضى أكثرها بالقياس ولم  
 يجلس على سرر الملك بالقلعة

وقادر السلطان سليم حاصدة البير للنصرية دون أن يترك فيها أثراً كأنها يكون قد كادرا  
 لتحصه بلاد القراغة أو كقارة عما تركته جيوشه فيها من آثار الحراب والدمار وما سلبها  
 إياه من تحف وصناعات كان لم بعد ذلك فصل كبير فى خلق صناعات عديدة  
 لزهده فى الإمبراطورية العلية

# فكرة البتوان والبتوان

نسكى على مصر وسكانها قد خربت أركانها العامرة  
وأصبحت بالقل مفهورة بعد ما كانت عى القاهرة

« بدر الدين الزىنى »

الأتراك فى مصر - خيربك - صور للقاهرة العثمانية - القاهرة  
كما وصفها بعض الرحلة الأجانب - القاهرة فى أثناعشر القرن السادس  
عشر - القاهرة فى أوائل القرن السابع عشر - قلعة الرحلة ودى  
تيفنو - قلعة القاهرة - سلبو القنصل دى مايه - قلعة واعط -  
القاهرة بين الأميين بشر كس ودى القفار - مشيخة عثمان بك - القاهرة  
بين الأميين إبراهيم ورسوان - أسر القرايى - الحيات العفوية - الرحلة ان بوكوك ووردن -  
قاهرة على بك الكبير - أبو القحبق القاهرة - قاهرة عبدالرحمن كعثدا - سوينى وسافرى -  
القاهرة تسقبل الولى - القاهرة بين البكوات اسماعيل ومراد وإبراهيم - القاهرة بين  
الأميين إبراهيم ومراد - ثقافة القاهرة فى مصر التركى - هل تطورت القاهرة خلال  
الحكم التركى - مهرجات القلمة - الخاتمة



## الأتراك فى مصر

لعل تاريخ مصر الإسلامى لا يشمل فترة أكثر غموضا من العصر الذى كانت فيه  
البلاد ولاية عثمانية تحت حكمها ولاية يرسلهم السلطان الثانى من قبله أو عبارة أخرى  
العصر الذى يبدأ باستيلاء السلطان سليم على مصر عام ١٥١٧ ويتهى قيام الدولة للمصرية  
الحديثة على يد منشئها للتغور له محمد على بنش سنة ١٨٠٥

قلماء التاريخية عن هذا العصر ليست وافرة وإن يكن بعض الأدباء المصريين  
وكتاب الاقترع قد دونوا حوادثه فان للورخ لايسته إلا ملاحظة ما فى كتاباتهم من  
نقص وغموض وإيهام



ومهما يكن من شيء فقد كتب المؤرخ المصري محمد بن أحمد بن إيس « تاريخه المشهور » يوصف فيه حوادث السنين الأولى لفتح المماليك حتى سنة ١٥٢٢ . وألف ابن أبي الفضايل كتابه « تاريخ سلاطين المماليك » وقد ترجم الى اللغة الفرنسية . كما أن كتاب « عجائب الآثار » للهيئتي مصدر أساسي لتاريخ مصر قبل الفتح الفرنسي وفي خلاله . ومن المحتمل ان تكون في اللغة التركية كتب بعضها مؤرخو المماليك في ذلك العصر باللغة التركية عن ولائهم الذين أوذم الخليفة ليحكموا مصر السوط

وقد زار مصر كثير من الأجانب في عهدهم الأتراك ووصفوا أحوالها وأثرها وعادات سكانها في مؤلفاتهم . وفي مقدمة هؤلاء الدكتور القس « ريشارد بوكوك » الذي زار مصر عام ١٧٣٧ م وكتب مؤلفه الضخم « وصف الشرق وبلاد أخرى » وفي خمس ذلك الوقت زار مصر « فردريك توردون » الضابط بالبحرية الدنماركية وكتب عنها كتابا ليست له قيمة من الناحية التاريخية . كذلك كتب للسوي « دى مايه » قنصل فرنسا في مصر في عام ١٦٩٢ كتابا قيسا عن أحوال مصر في أواخر القرن السابع عشر وأول القرن الثامن عشر للميلاد \*

استولى السلطان سليم على مصر وشرع في تأكيد سلطته على البلاد فجعل عليها حاكما يلقب بالباشا وخشى أن يخرج الباشا على الأمانة ويستقل بمصر فاحدى الى طريقة تضمن له بقاء البلاد تحت سيطرته . فجعل في مصر ثلاث إدارات كل منها ترأب أعمال الأخيرين فلا يخشى من اتحادها وتمردا . فاقوة الأولى « الباشا » أم واجباته إبلاغ الأوامر السلطانية لرجال الحكومة والشعب ومراقبة تنفيذها وليس له أن ينادر القلعة بأي حال من الأحوال والقوة الثانية « الوجاقات الستة » وواجباتها حفظ النظام في القنطر للمصري والمخاض عنه وجباية الخراج وقصدور هذه الوجاقات في القاهرة وفي المراكز الرئيسية من القنطر وكان عددها ستة آلاف خيال وستة آلاف من المشاة وكان تنظيم تلك الوجاقات كما يأتي :

- ١ - وجاق المتفرقة وهو مؤلف من نخبة الحرس السلطاني
- ٢ - « الجاويشة » « من صف ضباط جيش السلطان سليم وعبد الهم بجباية الخراج
- ٣ - وجاق المبطنة

\* انظر للمراجع آخر الكتاب

٢ - وحقاق التوكيدية

٥ - « الانتكشارية وهو أمرها

٦ - « العزب

وكان كل وحقاق تحت قيادة « أنا » يتوب عنه في الاسانة ضابط برتبة « سكايز  
بلنى » وهي رتبة تعادل النائمقام اليوم

أما القوة الثالثة فهي المالك وم يهايا للمالك البحرية والجرا كمة وواجبهم حفظ  
الوارنة بين الباشا والوجاقت لأنهم أعداء لكلا الفريقين ينصرون الفريق الأضعف  
ليجروا القوى من الاستبداد . وكانت متاجق للقطر للمصرى وعددها اثنا عشر بمكها  
اليكوات المتخزون من أمراء المالك

وقد ظل هؤلاء الأمراء أصحاب القوة الفعلية في البلاد وإن كان السلطان هو الذى  
« يمين الباشا » فقد كان ميسورا لم الاتفاق على عزله بما يذبرونه ضده من اللزامرات  
وبغير ذلك من الوسائل . ومهما يكن من شئ فقد كان الباشا يعزل الى مصر تحف  
به حشوية مؤلفة من اثنى عشر شخصا فيحرق أكياس الذهب بئمة ويسرة في الأعياد  
والحفلات ولكن ذلك لم يمنع ثورات الجند مما أدى الى زيادة هود المالك حتى  
أصبحوا لا يتقهم الا لقب السلطة الذى استبدلوه ب لقب « شيخ البلد »

كان كلما قلص هود الباب العالي قل هود ولامه في مصر يزيد هود اليكوات المالك  
الذين شيدوا القصور الضخمة على حافة بركة الأزبكية أو بركة القليل وفي الضليمة وفى  
حتى سوق السلاح . وسكن بالقرب منهم أتباعهم للسلعون الذين كانوا يجمعون على  
أحياء متافسهم بأشارة من مولاهم فيسرقونها ويهينونها ويقتلون في الشوارع ويتقادفون  
الرماس من التوافد وللشريات . وزاد الطين بلة ذلك المنصر الشاكس الذى تألف  
من أفراد الأورطعين التركيين أورطة العزب وأورطة الانتكشارية ومقرها نكسات  
القلمة . وكان قائد الأورطعين من أقوى الأمراء أعوانا وهودا في القطر ولم تخطف  
أخلاقها كثيرا عن أخلاق المالك الأول

إذا كانت مصر في عصر السنانين لا تزال يحكمها للمالك بولاسيا أن ولايتها الباشوات  
كانوا دائما يستبدلون بأوامر الباب العالي . وكانوا يجاهون هود زعماء رجال حليتهم  
ويخشون بأس بكوات للمالك الاقوياء الذين كانوا يضمون صغوف بعضهم إلى بعض

ويكونون شبه الخلاف فياينهم كالتسمية والقنارية وكانوا يتهمزون القرمس أحياء  
للمشارك في الطرقت أو محاصرة جتود أورطة الغرب

وقد قلبه رجلهم إلى امكان الاستيلاء على القلعة إذا احتلوا القل الخلقى القنى يشرف  
عليها . وكثيرا ما قرأ في تاريخ الجيزى أخبار الجنود الذين احتلوا في مساجد ابن  
طولون وألماس والمحمودية . . . الخ وأطلقوا كرات المدافع من الأذن المجاورة . وقد  
وصل العصف والاستبداد إلى حد لا يمكن وصفه فقد كانت الطرقت تخلوا ألبا من  
الآثار . . والبيوت حجم عليها لتهب . ولم يكن بمصر انسان على القناب إلى بولاق ومصر  
القديمة . فلما مضت تلك الفترة الخفيفة أعقبها فترة أخرى سادت السكينة وشملها الهدوء  
لماذا ؟ لأن أميرا قويا قلب على منافسه ففصل عنهم واستطاع أن يمد إلى البلاد  
طما يمتها . ومن الصعب جدا ان نتر على أمير من أمراء هذه الطبقة لى قناره بأحد  
أمراء الممالك السابقين الذين جلسوا على عرش دولة قوية . . عرش مصر القوية المستقلة  
القنية للخدمة . كانت القرمس ألبهم قلية لم يقوموا بالحروب الجيدة في الشام أو  
آسيا الصغرى . وكانت بعض الفرق المصرية التى تنهب للخدمة في بعض نواحى السلطنة  
ينظر إليها كأنها وحدات من جيش الامبراطورية الثانية ولم تكن لهم أو لجنودهم  
شخصية مستقلة فكانوا كالفرق للمراكشية أو الجزائرية التى تعتمد اليوم بإرث الخدمة في  
حمايتها كوحدة من وحدات الجيش القرمسى

### خير بك

كان أول الولاية الذين ولاهم السلطان سليم على مصر «خير بك» وكان من كبار رجال  
قنصوه القورى انضم إلى الأراك في الشام وكان يشغل منصب نائب حلب . وعده  
السلطان سليم بأن يوليه ولاية مصر جزاء له على مآوته في فتح مصر وقد بر السلطان  
بوعده .

فى يوم الأحد سادس وعشرين شهر شعبان سنة الخمان خير بك إلى قلعة الجبل  
بجوك عظيم وأمامه بعض رجال القنانيين كخندق الصلبة في القجر وأمام بالقلعة .  
ورغب بتعليقها ليعيد إليها شيئا من مجد القديم فأرسل في طلب القنانيين والنجارين  
والبلططين ليرموا ما أفسده القنانيون فيها . ثم أسند خير بك ولاية القاهرة لرجل تركى  
كان يملوكا له اسمه كشيكا كما أسند عدة وظائف لبعض رجالة المختلصين . أما يوسف باشا الذى

كان السلطان سليم عيه قائما عنه في مصر وكان أعظم وزرائه قد فقهه وليس  
السبب معروفا

وفي يوم من الأيام أصبح عقد قران «خير بك» على «خوند مصر» زوجة النظام  
قنصوه . وقد تحققت تلك الانعقادا طلعت إلى القلعة قبل شروق الشمس وفي مصبتها جماعة  
من ساء الأعيان ذاكيات الحمير . ولكن حذمتى خمس سنوات على زواجهما غضب عليها  
«خير بك» وأزاعها من القلعة وأمرها بأن تسكن في مدوينة التي ياب الوزير ورغب  
لها في آخر كل شهر ما يكفيها من التمتع . وقيل إن سبب ذلك قدوم زوجته الأولى من  
الاستانة . فقبل خير بك أن تكون الزوجة الأولى صاحبة القاعة عوضا عن «خوند  
مصر» . وبعد شهر وصلت الزوجة للذكورة فصعدت إلى القلعة ليلا في عملة على  
ضوء الشاعل

كانت أم حوادث القاهرة في أول ولاية خير بك زبادة أذى للمنايين للظاهرين .  
ومن سيات أعمالهم سطوهم على حي الأربكية ونزعهم الأبواب والسقوف والشبابيك  
الحديدية فكانوا يعملونها على الجمال ليسها في الأسواق بأجنس الاتان كذلك كانوا  
يزعمون أخذت طباقي القلعة لاستخدامها في النار للسلطة لطهي طعامهم . ولما زاد الأمر  
تدخل قاضي القضاة وأصل خير بك حصل على تهدئة الأحوال وإن لم يكن قد نجح  
في الوصول إلى ذلك دفعة واحدة قل الأمن أخذ يستعب شيئا فشيئا وساعد على ذلك  
رحيل عدد عظيم من الجنود الانكشارية والبلالة ( Spahis ) الذين كانوا يصحسون  
الأوامر بجمارا ويرتكون كل محرم علنا وبجها وماليت خير بك أن يخلص من بجزء  
كبير من الجنود المنيانية

في أواخر شهر ذي القعدة عام ٩٧٦ هـ وصل إلى مصر متعوب من الاستانة يحمل  
بأمر السلطان سليم وتولية ابنه السلطان سليمان . فأمر خير بك في اليوم التالي بأن  
يخلو في القاهرة أربعة «مشاعلية» اثنتان يتأدين بالقوة العربية واثنتان بالقوة المنيانية  
العبارة الآتية : «ترجوا على تلك للظفر سليم شاه وادعوا بالنصر لتلك للظفر سليمان»  
وفي اليوم التالي وكان يوم الجمعة أمر خير بك بالصلاة على السلطان سليم صلاة  
النية بجامع القلعة وفي سائر جوامع القاهرة وللصلاة السلطان سليمان على المنابر في ذلك  
اليوم . ثم أقيمت معالم الزينة في القاهرة ثلاثة أيام في مناسبة ارتقاء السلطان الجديد  
عرش الدولة المنيانية فزعت للديعة نياح الفرح لاسيا خان الخليل إذ قام تجاره بزيته

ريشة فاخرة وصار والى القاهرة الأمير على الكبخيا بطوف يوما عدة مرات يمرض  
لثام على ألا كتار من عالم الرية !

زبنت مصر وأضحت بعد حزن في تان

مذ غدت بعد سليم ليليات الزمان

وفي يوم الأحد ( ٢٤ ذى القعدة ٩٢٨ هـ ) مات خير بك ومعى بالقلة حد الظهور  
وبات تلك الليلة فيها وفي اليوم التالى غسلت جثته وكفنت وحمل الناس حشه وصلوا  
عليه ثم نزلوا به من سلم المدرج وسار أمام جنازته الجنود العنابية وامراء الجراكسة  
والقضاة الأربعة الذين التقوا بالوكب عند مدرسة آيتش بقرب باب الوزير وساروا  
به إلى مدرسته التي أشتأها هدى مع أخوته . وكانت مدة ولايته على مصر خمس سنين  
وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما وخلفه أموالا تقدر سبائة ألف دينار ذهب

تولى الأمير ستان بك ولاية القاهرة بصفة مؤقتة حتى وصل والى الجديد من  
الاستانة وهو الوزير مصطفى باشا . وصل بولاق وكان في استقباله الأمير ستان المذكور  
والأمير خير الدين نائب القلة وبعض الأمراء . ارتدى خلة السلطان واستلم ظهر  
فرس من الجياد الخاصة وسار موكب إلى باب البحر واستمر إلى باب القنطرة وشق سوق  
مروجوش غفرقا القاهرة . وكان الأمير ستان عن يمينه والأمير جهم الجراوى عن يساره  
وكانت ترضع له أصوات النساء كما أطلقت زماريد النساء وكان يوما مشهودا ثم وصل  
الوكب إلى الرملة ودخل إلى الليدان ثم صعد إلى القلة وتسلم معانيج بيت المال

لم يدم مصطفى باشا في منصبه هنا أكثر من تسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما  
ثم أبدل بأحمد باشا الذى قطعت رأسه وعلق جسمه على بابخوية . ثم أرسل السلطان  
عالم باشا قاهرهم باشا فسلطان باشا . وكان السلطان راضيا عنه واتقاه منه فأبناه في الولاية  
تسع سنوات وأحد عشر شهرا حتى استدعاه إلى الاستانة ليعلمه قيادة حملة أعدتها  
لحاربة القرس والمند . وقد أقام في أثناء حكمه بتأملت كثيرة من حملتها جامع سارية  
بالقلة . ويعرف بجامع سليمان باشا وكان أول جامع شيد في مصر على الطراز العثمانى



الربح من ثنائى صانعة لا يخلو أصلها من المجمع الأزهر من القرن السادس عشر الملاح

1.  $\frac{1}{2} \log 2$  is the entropy of the source.

## صور للقاهرة العثمانية

ولقد وصفت مدينة القاهرة في عام ( ٩٢٣ هـ - ١٥٢٦ م ) في مؤلف ألابي نشر  
تحت سنة ١٥٧٤ جاء فيه مايلي :

ان الكاير ( Alcaire ) مدينة مصر الكيرة هي التي يدعونها كيروس ( Cairus )  
ويدعونها العرب مارار ( Mazar ) أو ميزر ( Mizar ) واقعة في نقطة حسنة مناسبة  
أى حيث يتحدى النيل بالانقسام إلى فروع عديدة هي شبه سد للنيل  
ولمدينة ضوايح كيرة جدا يحوى بعضها على ثلاثة آلاف منزل والبعض الآخر على  
اثنى عشر ألف منزل ويقال ان ( الكاير ) القاهرة يحوى على نحو ثلاثين ألف منزل وعلى  
دور كيرى غيرها والكثيرون من أهلها مساكن كيرة جدا وفيها قصور وفيها كل نفحة  
عديدة تدعى ( جيوما ) جوامع وكثير من المسنجات والدارس والجامعات التي يستعملونها  
لتقديم الضحايا وقانا لعاداهم ( ١ ) . ووجد في المدينة عددا لا يحصى من المحاكم وللواحد  
وفيها أيضا مبان كيرة يحمل منها الوجاهة منافعهم ( أصرحة ) . ويظن حكام القاهرة  
الظالمون أنهم يستطيعون ان يكفروا عن دوهم السنة بجناة يوت عظيمة قرب  
أضرحتهم ووقف مبالغ عظيمة عليها للفقراء والحجاج والطلبة والزهاد وللمساكين  
وقد وجدت الفقرات الآتية في دليل قديم عن مصر :

« الكاير » مدينة جميلة تليق أراحة أضفاف حبيبة مدينة باريس وفيها كثير من  
الكتائس للسجدة وشوارعها مزدهرة أودعها عليها الناس والحيل والجمال فلا يستطيع  
أحد أن يمتي بدون عائق . ويشتمل الصناع أمام المنار في الشوارع . وقليلون يطبخون  
طعامهم في منازلهم لأن بعض الناس يدعون جميع الأطعمة في الشوارع مطبوخة أفضل  
طبخ ووجود في القاهرة أكثر من ثلاثين ألف مطباخا  
وقد أرفق المؤلف الأتالي هذا الوصف بخرطة طريقة للقاهرة في عصره وبين  
عليها مجرى النيل ونخلة المدينة وواحي العمران ومحال التسليف وميادين عرض الخيل ..

### القاهرة كما وصفها بعض الرحالة الأجانب

وصف القاهرة في مصر التركي موجود في طائفة كيرة من المراجع العربية والافرنجية  
وفي مقدمة المراجع العربية تاريخ الجبرتي وابن أبي السرور . وفي هذين المرجعين يصل

الباحث كثيرا لأسباب عدة أهمها ذكر التفاصيل الثانوية عن الحوادث الثانوية التي لا يهتم بها القارئ الا لتسليته وان كان لبعض تلك الحوادث أهمية اد يستطيع ان يرجع اليها للورخ فيستخرج منها كثيرا من الحقائق ومهما يكن من شيء فانه ان لم يكن قدبرا موقفا فان عددا كبيرا من اللصوصيات الهامة يقوم في هذه القصص والتكررات

أما المراجع الاخر فيجيبه فتعصر فيها كتبه السباح الأحامق في انما زيارتهم لصرأ والتقارير الوصية التي كتبها بعض الرجال السياسيين وأكثر هذه التقارير ليس ممعما بحيث يصف بجملة مسائل الأحوال المصرية أو يصف بوضوح ما كانت عليه البلاد . فهو لا الأجانب أكثر من مخرجون يشاهدون عن يد ويتهمون أحكامهم على أسس غير موثقة وعلى كل حال فان آراء أغلبهم سطحية مريضة . غير ان علينا رغم ذلك ان نلم بما نثر عليه في تلك للوقائع القديمة . ونذكر بين آراء كل منهم حتى نستطيع ان نمطي صورة صحيحة للقاهرة في اثناء العصر التركي

هؤلاء الرحالة الأوروبيون لاجبا الذين زاروا مصر في اثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر كانوا ينعنون مذاهب شتى في تحليلهم وكتاباتهم عن مملكة البلاد المصرية فلما وطأت أقدامهم القاهرة وشاهدوا ما وقع ظلم عليه خابت آمالهم ودكت صروح أحكامهم ولم يستطيعوا أن يلمسوا عنب الحياة للمصرية ولعل خير مصدر يسطى صورة جيدة للقاهرة حين استولى الثعانيون على مصر هو كتاب « الحاج الفرنسي » « جريفا أفجار » (Greffin Affagart) برأيه Relation de Terre Sainte وكان قد رار القاهرة عام ١٥٣٤ ووصفها في عدة صفحات من كتابه قال :

تقدر مساحة للقاهرة بثلاثة أمثال مساحة باريس وهي ذات شوارع ضيقة ومظلمة وقصيرة وأكثرها غير منظم ومن هذه الطرقات ملو منطى بألواح الخشب أو القماش السميك لشدة حرارة الصيف والتي يسببها يثقل أصحاب الحوايت متاجرم تطل الحركة ويبقى الناس داخل بيوتهم وفي اثناء الليل نساء المدينة بمصايح يلقها أصحاب البيوت أمام منازلهم

وتعجب القاهرة خليط من أجناس وأدين العالم المختلفة فهم الأتراك والعنارية والعرب والسجم واليهود والمسيحيون واللاتينيون والروم والمثود والارمن واليعقوبيون والنسطوريون . وبالإختصار كان حكومة البلاد تسمح لكل هؤلاء بالمعيشة على قوانين بلادهم لأن القاهرة مدينة الحرية



وقد كتب ليون الأفريقي قبل ذلك عدة سنوات فقال :

« والقاهرة مملوطة بالتجار والصناع ولكل أصحاب حرفة من الحرف حتى خاص بهم ومقر أصحاب الحرف الرقعة وتجار الأقمشة والحراير والأصواف والمعدونات الواردة من بلاد الفلاندر وتجار السجاجيد الفارسية غلخ الخليلي وكان مؤلفا من ثلاث طبقات وفي القاهرة كثير من محال بيع أنواع الخمين للشعبة بالزيت وحوادث للشراب في أوابها البلورية الخشبية وكذلك حوادث بيع الفطائر الدسمة والحلوى المصنوعة من عسل فننحل أوسكر للشعب

وذكر الرحلة « كاريه دي نو » (Carbier de Pinon) أن القاهرة أرحب من الاسنة وقال هيرمانل ( Fermanel ) وقد زارها أثناء القرن السابع عشر ان القاهرة كانت مصادرة لأعظم المدن الأوروبية كما أنها أكثر مدن الأموطورية الفسافية ازدهارا . أما الرحلة « ديلا فالى » ( Della Valle ) فتقدمها بتقديرها حق به الاسنة ورويه وكل البلدان التي شاهدها في أثناء رحلاته . فلما زارها كوبان ( Coppin ) وصفها بأنها أصغر من باريس وأقل سكانا على عكس ما ذكره فيا بعد تبعنو ( Thévenot ) وزار مصر في القرن الثامن عشر ثلاثة من الرحالة أجمعوا على أن القاهرة تساوى بربر في المساحة وعدد السكان وأولهم الطبيب جرانجر ( Granger ) وكان قد استهوته القاهرة كما وصفها إليه صديقه للسيد « بينون » فتصل مرسا في القاهرة وتانيهم « لوماسكريه » ( Le Mascrier ) بوثالهم داغيل ( Danville )

ووضع بروين ( Bruyn ) مدينة القاهرة في مرتبة استردام أوروبا . فلما اطلع فان اجمون ( Van Egmont ) على ما كتبه اجمع على تقديراتهم جميعا لاسيا الذين قالوا بأن القاهرة أعظم مدن العالم ودهش كيف أن « لوماسكريه » قد رعد سكانها بالملايين

ولانرى أيضا كمية متفقة عن مساحة القاهرة لفستدل منها على حالتها الحقيقية في القرنين السادس عشر والسابع عشر فيينا ذكر « هاكلو » ( Hakluyt ) في القرن السادس عشر ان دورة القاهرة أى محيطها ٣٣ كيلومترا قال كورديه دي بتوان طول القاهرة بدون مصر القديمة هو ١١ كيلومترا وعرضها خمسة كيلومترات ونصف . وذكر « فيرمال » أنها ٣٦ كيلومترا في محيطها . وذكر « بوفو » ( Beauvan ) أن القاهرة وضواحيها محيطها ستة وعشرون بخمس القاهرة منها أربون حتى إذا وصلنا

إلى القرن الثامن عشر وجدنا « بوكوك » ( Pococke ) وجرانجر ( Granger )  
 يقولان إن محيطها لا يزيد عن أربعة عشرة ميلاً ذكر بروس ( Bruce ) وروين  
 ( Le Bruyn ) أنها قطعاً بعدها الطولى في ثلاث ساعات مشياً على الأقدام  
 ولا شك أن ذلك التناقض في التقدير وتضارب الآراء في الأبعاد يجعلنا نفرق  
 الحد الذى يجب أن لا يتجاوزه في الالمتمتان إلى مثل هذه التقديرات والوقوف بموضعها  
 فيما يتعلق بالقاهرة وغيرها من العواصم التى ينهب بعض الرحالة إلى أن في استطاعتهم  
 إعطاء صورة صحيحة عنها بعد إقامتهم فيها مدداً متفاوتة في القصر . فليس كل رحالة  
 يستطيع أن يقدر في أثناء إقامته القصيرة في القاهرة ما يجب أن يقوم به الباحث  
 الجغرافى أو للتؤرخ الاجتماعى في شهور وسنوات

كانت مساحة المناطق المزدهرة الآهلة بالسكان من أحياء القاهرة كبيرة لكنها  
 كانت ضيقة أيضاً ! فضيق الشوارع يوم بارهاق مياؤها للقاعة على جانبيها مع أنها  
 تكون عادة للو . كذلك ندرة مرور الناس في الممرات الواسعة أحياناً تجعلنا نؤمن  
 أن للديرة أو الحى خال من السكان . هذه الاعبارات لم يلفت إليها أكثر الرحالة

## القاهرة أثناء القرن السادس عشر

رأت القاهرة في أيام السلاطين المماليك الذين عرفوا بتشجيع الفنون والآداب  
 أنواع الفنون الجميلة تشيد في جميع أقطانها . فلما جامعوا للباشوات الأتراك يحملون  
 أذواق تمييزهم من الغلبة المتأني ليحكموا بلاداً لا تربطهم به أى عاطفة من حب الوطن  
 ولا يرون فيه إلا أشبه شئ بهزعة عليهم أن يحسبوا استقلالها ليكونوا لأنفسهم  
 بعض الثروة كان لذلك عواقب وخيمة على مصر بيدى المزال على وجه القاهرة وبلدت  
 حبيبة وما لبث أن تطلب الناس عليها فتامت نوماً عريقاً . وأهملت وقضت جاذبيتها  
 الرشيدة وأصبحت في أكثر مبانيها وعمائرها الجميلة التى كانت رمزاً لمصورها الزاهرة  
 وظهرت عليها كل عوامل الفساد ولكن مع المالحق للقاهرة من تشويه كبير في أيام  
 العثمانيين رأينا بعض المساجد أقيمت وبنى الأبنية والحمامات والدارس شيدت . .  
 أقامها بعض الولاة ومشايخ البلد وأعيان المماليك

وفي سنة ( ٩٤٥ = ١٥٣٨ م ) عهدهت ولاية مصر إلى داود باشا فسقى عليها  
 إحدى عشرة سنة ونماية أشهر وقد حشر الأهليون في مدة حكمه بالعدل والطمأنينة

# THE STATE



وعند وفاته (١٩٥٦ هـ) تولى مكانه على باشا الذى قام بترميم عدة مباني عمومية في القاهرة واستنسخ كل ما تفرغ به من الكتب غير المطبوعة فبمع مكتبة عظيمة وجاء بعده آخر حكم عليه بالقتل (١٩٦٣ هـ)

كان الولى بطر الآخر حتى أمر السلطان سليم الثانى بنقل ستان باشا والى حلب إلى مصر فامسج بتأييد النظام وحفظ روق البلاد وبنى في بولاق شارعاً ووكالات وجامعاً لا يزال معروفاً باسمه اليوم . وبمونه خلفه حسين باشا الذى لم يحكم أكثر من ستة وتسعة أشهر وتبعه مسيح باشا فوجه أهليهم إلى إبطال السراقات وبلغ عدد قتلاه من اللصوص عشرة آلاف ومن آثاره مسجد عظيم في ضواحي القراة عرف باسمه وقد خرب الآن . وتولى بعده واليان لا يجب أن صرف عن أمورهما شيئاً

تولى عويس باشا حكومة مصر سنة ١٩٩١ هـ وأراد تدريب الجنود فمسموهمجسوا عليه في الدبوان وأهانوه ونهبوا يته وفي جملة ما نهبوه منه ساعة كبيرة تعرف منها الأيلم وقاموا بثورة في جميع أنحاء القطر وأخرج الاستقلال من ولاية مصر (١٩٩٩ هـ — ١٥٩١ م) وخلفه خادم حافظ احمد باشا الذى شيد في بولاق وكالين وعدة قصيريات وميوت خصص ربحها لعمل الخير . وتبعه السكوردي باشا وكان عبيداً لمساعدته للقراء ووطابه للأئيلة . وخلفه السيد عبد باشا ومن أهم أعماله أنه أعاد بناء الجامع الأزهر ورمم للشهد الحسين . وفي أيامه قامت ثورة عسكرية فشل في اخضاعها وانتهت باستبداله بنضرب باشا في عام (١٥٠٦ هـ — ١٥٩٨ م) وتولى مكانه على باشا السلحدار وكان يحكم الجند سفاكاً للدماء لم يكن يخرج في موكله إلى المدينة أو ضواحيها حتى يقتل عشرة أشخاص على الأقل تحت حوامر بجياده . وفي أيامه حدثت مجاعة وعم الحراب فترك القاهرة فراراً من العاقبة واستعطف على الحكومة «بى بك» ووفاته انتخب السناجق الأمير «عثمان بك» ليقوم مقامه حتى عين الباب العالي ابراهيم باشا تار عليه الجند وقطوه وحلوا رأسه مع رأس أحد أعوانه وطانوا عما شوارع المدينة إلى أن علقوها على باب زويلة . ثم أرسلت الاساتذة عبد باشا السكورجى فاستطاع يقظته معاقبة للمسدين من الثائرين وقتل منهم نحو مائى رجل

## القاهرة في أوائل القرن السابع عشر

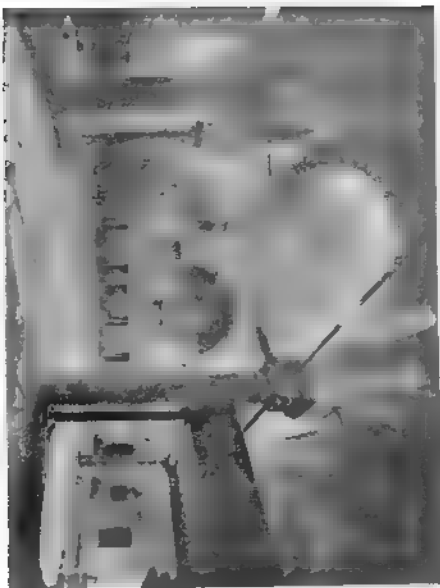
وفي سنة ( ١٠٢٢ هـ - ١٦١٣ م ) أرسل السلطان عشرة آلاف جندي الى اليمن لإجابه لطلب حاكمها لامتداد ثورة هناك . أرسل هؤلاء الجنود عن طريق مصر ومعهم أمر إلى الوالي بامتدادهم بالثورة الضرورية وبوسائل النقل داخل البلاد وتشجيع الحملة الى اليمن . فلما أرسل محمد باشا للقلب بالصوفي نصبا لهم ليدفعوا أثمان ما اشترؤا دعوا أنهم جاءوا ليعلموا في مصر وقد رافقت لهم الميمنة فيها . ولم يدعوا لأوامره بالسفر واحتلوا بالقوة الحلي المجاور لباب النصر و باب الفتوح وطردوا أصحاب البيوت من الى الشوارع وأقاموا للتأسيس في أبواب الحلي وأغلقوا باب النصر ونحوها للدفاع في برجه . فاضطر الباشا الى اقناعهم بالثورة وكلفت نذهب وسأله أوداع الرأب حتى تمكن أحد أمراءه وهو عابدين بك من الدخول الى صهرج مياه قارغ لاحدى للدارس المجاورة المدعوة بالجابلاطية وسلط على الثوار فراحهم لدخل استحكامهم قويتوا وسلوا ولكن نهبت كل عاولة لما قبلهموس الثورة وتسلوا قودم وأمروا بخادرة البلاد مسافروا

بعد قليل عزل محمد باشا الصوفي فاعزل في قبة الحديدية ولم يرجعها إلا بعد أن علم بوصول خلفه احمد باشا المندردار ( ١٠٢٤ هـ = ١٦٥١ م ) الذى جاء الى القاهرة ودخلها بمرك حافل . و بينا هو في موكبه بالمدينة رماه بعض الناس بحجر من سطح بيت فكسر الحلال الذى كان فوق عمامته ولم يؤده . فضبط القاعل واعترف بذنبه وقفل في ذلك المكان

تبعه سلسلة من الولاة تالاً تراكم بينهم الورير « فرغل مصطفي » و « جعفر باشا » و « مصطفي باشا » فلم يدم ولا يجمع أكثر من بضعة أشهر . ثم جرم باشا قوس باشا والوالى حسين الدالى وأيوب باشا وغيرهم ممن لم يكن لهم قودما . وأخيرا تحولت الثورة الى المالك البكوات الذين كانوا يعدون أنفسهم من أبناء البلاد وليسوا كباشوات الأتراك اذا أتوا مصر كان مهمهم اكتساب للثورة قبل أن يأنهم الأمر العالي بالزل

وفي أيام الوالى مقصود باشا ( ١٠٥٢ هـ - ١٦٤٢ م ) ظلت مصر و باد الطاعون وقد ظهر في بولاق في أوائل شعبان ١٠٥٢ هـ . وبعد ذلك امتد الى القاهرة ولم يكن يسع إلا بالوفيات للتساقط في كل ساعة وكانت للجثث تنقل بالشرشات دفنة واحدة فيمرفى

Fig. 1. - 100 ft. 100 ft. 100 ft. 100 ft. 100 ft.



الطريق الواحدة أحيانا ثلاثون أو أربعون جنازة . وقد روى ابن أبي السرور وهو من مؤرخي ذلك العهد أن جملة من صلب عليهم من المتوجين في الجوامع الخمسة الرئيسية في القاهرة أمان ونسجامة وستون في خلال ثلاثة أشهر . وصار الناس في آخر الأمر يفتنون موتهم بلا صلاة وعدد هؤلاء لا يقل عن عدد الذين صلب عليهم . أما خروج القاهرة فلم يكن الوباء أقل فتكا وقيل إن مائتين وثلاثين قرية أصبحت خرابا لآصابة سكانها جميعا بذلك الوباء . وقد ذكر المؤرخ شمس الدين عبد مولى الوباء من أصحاب الحواشي وعمل الوكالات بالقاهرة سبعمائة وثلاثين ألف غس غير الذين ماتوا في أماكن أخرى . وبالرغم من أن هذا التقدير فيه مبالغة ظاهرة فإنه يدل دلالة واضحة على تلك الوباء بسكان القاهرة في تلك السنة

وبما ذكر أيضا شمس الدين أن عدد الفساجين للصرب في القاهرة وإمابها والمجزة كان يبلغ في أيامه ١٧٠٠٠ أكثرهم من المسيحيين

### قاهرة الرحالة دى تيفنو

زار الكاتب الرحالة « دى تيفنو » ( de Thevenot ) القاهرة بين سنتي ١٦٥٦ و ١٦٥٨ م ) وذكر عن قناق كتابه عن سياحته في بلاد الشرق ما يسبح لتأكيده فكرة مما كانت عليه القاهرة في سنة ١٦٥٦ أى منذ نحو ثمانية سنين قريبا

أراد « دى تيفنو » أن يقيس طول القاهرة وعرضها وجمعها فركب حمارا ودار حول المدينة والقلمة فقطع تلك المسافة في ساعتين وربع ساعة . ومضيا عن ذلك فإنه صار من أول الخليج إلى آخره مشيا على القدمين ليرى امتداد المدينة . فقال إن طولها بلغ مائة وخمسة آلاف خطوة وبجمل كل خطوة قدمين ونصف قدم وأنه رأى حول المدينة بعض أماكن غير مأهولة وبركا صعدة يحيط بها منازل كثيرة

ومعظم الذين قالوا إن القاهرة أكبر من باريس ( ومنهم أحد الرحالة الألمان الذي قال إن القاهرة تبلغ أربعة أمثال باريس ) ضموا إليها مصر القديمة وولاق وقال « دى تيفنو » في ذلك الصدد أنه إذا جاز ذلك فيجب أن تضم إلى باريس القري المجاورة لها لأن مصر القديمة كانت متصلة عن القاهرة الجديدة وكان حتى ولاق ضاحية ذات حقول خضراء .

وأشار « دى تيفنو » إلى حي بالقاهرة بالقرب من الطريق للؤدية إلى ولاق أمثاله

لزيك (الازبكية) وذكر أن الماء كان يظل فيه نحو أربعة أو خمسة أشهر كل سنة وبعد ذلك تزرع أرضه . وكانت حوله قصور جميلة للبكوات ولكبراء البلاد أقبلوا فيه من وقت إلى آخر بضعة أيام طلياً للراحة . وإن كان « دى تيفنو » لم يذهب إلى أن القاهرة كانت أكبر من « باريس » في ذلك الوقت فقد قال إن الأولى كانت تفوق الأخيرة في عدد السكان . وقال أيضاً إن الشوارع كانت مزدحمة في كل وقت الناس وكانت منازل الفقراء مملوءة بالنساء والأطفال وأنه عند ما جرف الطاعون ماتى ألف سمة من مكانها لم يكده أحد يشعر أن عدد السكان قد نقص !

وكتب كثيرون من السياح أنه لم يكن القاهرة سود . ولكن « دى تيفنو » قال إنها كانت محاطة بمجدران جميلة جداً وكثيفة ومشيدة بمحجارة ورأى هذه المحجارة البيضاء ناصبة المحال كأنها بليت من عهد قريب . وكان في تلك المجدران فتحات مزخرفة وأبراج لا يعد أحدها من الآخر أكثر من مائة خطوة ويمكن أن يمتد فيها كثير من الرجال . كانت المجدران عالية جداً لكن بعضها كان مطبوعاً بين الأضراس . وكانت الطرقات قصيرة وضيقة . وإذا استقى شارع البازار ( بالقرب من خان الخليلي ) والمليج الذى كان يحف ثلاثة أشهر كل سنة فلا يكاد يوجد شارع كبير في القاهرة إذ لم يكن فيها سوى أزقة وحلقات . وكانت للنارل نيتى بدون أن يراعى في بنائها إنشاء مدينة . لم تكن هناك لأشعة لتنظيم حلا وكان كل إنسان يقى بيته حيث رغب وكان شامذوق مهتم به دون أن يكثر نخط للشارع أو استقامته ويظهر أن « دى تيفنو » حاول احصاء عدد أحياء القاهرة لم يستطع ولم يذكر سوى أن كل حى احتوى على عدة شوارع وبحرسة رجال مرصوص كل منها الآخر بسلسلة لكي لا يسير كل منهما في جهة ! وكان الرجال الذين عينت اليهم هذه المهمة يمدحون عليها من طيب خاطر لأنهم كانوا يقبضون أجرة حسنة . وكانت السلاسل تنقل بأقال تحفظ مفاتيحها عند وكيل حاكم الحى فيقتضها أو يعلقها بواسطة أحد أتباعه . وكان بالقاهرة عدد كبير من الجوامع العظيمة للصنعة للبناء ذات الأفنية والأبواب الجميلة والتي تعلوها المآذن العالية للمشرفة للهند . وكانت منازل القاهرة مؤلفة من عدة أدوار ولها أسطح مسطحة منظرها من الخارج كان قبيحاً لكن داخلها كان مزبناً أجمل زينة بالألوان القهية والزرقاء لاسيما بيوت البكوات والكبراء . إذ كانت دورهم تحوى على غداغ بدية



وصالات كبيرة مرصوفة بالرخام ومزخرفة بالذهب لها حدائق تحديق فيها المياه وتندفع  
نواميرها الى علو شامق . كانت جميع الاقوال والقائيج من الخشب حتى اقفال ابواب  
اللدنية ومفاتيحها يسهل فتحها بدون وجود القائيج . وكان من اجل شوارع القاهرة  
شارع ابيازار الذى كان يقام فيه سوق كل ايام الاثنين والخميس . وفي نهاية ذلك الشارع  
كان يوجد شارع قصير عريض اسمه خان الخليلى وهو يجرى على جانيه مخازن للضائع  
الحريرية ويتصل به خان كبير يجرى على قناة واسعة كانت يباع فيه الأرقاء البيض  
رجالاً ونساء . أما الأرقاء السود من الحبسين فكانوا يباعون في خان آخر على  
مقربة منه . وعلى مسافة غير بعيدة بعد خان الخليلى كان مستشفى الجذائب أو الورستان  
ويجمع متعل به من أكبر جوامع القاهرة . وفي هذه النواحي أيضاً كانت مصانع  
السجاد وكان يشتغل فيها عدد عظيم من الناس ينهم كثيرون من الأولاد وكانوا  
يصنعون سجاجيد جميلة ترسل إلى الأمثلة وأوروبا

وكانت مصر القديمة الواقعة على بعد نحو كيلومترين من القاهرة على شاطئ النيل  
في حالة خراب على أنه كان لا يزال باقيا فيها كثير من الأخية الجميلة من أهمها كنيسة  
أبو مارجيس ودير مار جرجس . وكانت في مصر القديمة يجرى المياه التى كان ينقل فيه  
الماء من النيل للامام بالقاهرة . وفي أعلاه ثمانى سواقي تدبرها الجواميس فترفع الماء وتصبه  
في حوض كبير يجرى منه نحو القلعة

### قلعة القاهرة

كانت القلعة أشهر مكان في القاهرة تشرف على المدينة ولها مركز هام لتعزيز قوة  
حكام مصر . وقد تهدم في ذلك العهد أكبر قسم من مبانيها لكن بقيت فيها بعض  
الأبنية الصغيرة الجميلة احوث على زيارات رجة . وكانت قلعة يوسف بأعمدها الثلاثين  
من حجارة طيبة قد أصيبت بأضرار جسيمة ولكن نقوش جدرانها الذهبية كانت باقية  
وغيرها قلعة حاجب يوسف التى كانت معبأة بأضرار أكثر من ما فيها فلم يكن باقيا  
منها سوى اثني عشر عمودا . وكانت في القلعة أيضا قلعة كبيرة جيدة البناء يسهل فيها  
ستار الكعبة ويرسل سنويا لمكة باحتفال عظيم . وكانت القلعة تحت أوامر أغا  
الاكتشارية الذى يقيم فيها وإلى جانب القلعة قصر الباشا يفصل بينهما جدار وكان  
قصرأ جميلا جدا يشرف على منظر جميل من مناظر القاهرة وأراضيها . وكان أهل ما في

القصر المديوان الكبير وقد علفت على جدرانها عشرة تروس من الخشب مخزومة بطعنا  
 رماح . قيل ان السلطان مراد وكان قويا يحسن الرماية أصابها برمح دفعة واحدة ثم  
 أرسلها مع الرمح المعمر ليظهر للمصريين قوته . وقد آثار منظر القلعة دعة «دى نغو»  
 وقال فى كتابه : إنه لم يرقط فى العالم كله لأجل وأقنم من ألبيتها وأمنع منها  
 وتاريخ القلعة فى عصر السنانين ملوح بالحوادث الجسام . وقد ذكر العلامة «كازانوفا»  
 كثير من أحوالها فى عهد الباشوات متناصلى السلطان سليم على مصر . وقال ابن إيس :  
 ولما أقم ابن عيكن بالقلعة ربط الجنود فى الخوض الى باب القلعة عند الأبواب  
 الكبيرة وباب الجامع الذى بالقلعة وقد صار زبل الخيل هناك كالكيان وخرب أكثر  
 الأماكن التى بها وكن رساما وزل فى المراكب وتوجهوا به الى استانبول

وذكر الفرج المصرى «الجبرى» وأيده القنصل الفرنسى «دى مايب» «لن  
 استاعيل الباشا التركى (١١١١-١١١٦ هـ) قام بإصلاحات كثيرة فى مباني القلعة لاسيما  
 فى زاويتها الجنوبية الغربية حيث سكن الباشوات . ومن ما سره أيضا أنه عمّر الأبرسين ؟  
 الذى بجوار باب قره ميدان وأنشأ فيه جسما وأنشأ فيها وبن بستان التورى حماما  
 فسيحا بالرغام اللون ويحدها بستان للذكور وغرس فيه الأشجار ورمم قاعة التورى  
 التى بالبستان وبني صهرجا بداخل القلعة

وكان من عجائب القاهرة حوض العشاق وهو مضوى الشكل مصنوع من قطعة  
 واحدة من الرخام الأسود طوله ستة أقدام وعرضه ثلاثة أقدام على ظاهره كتابة دقيقة  
 بالخير وعظيمة ويقص بعض الإحالي قصصا عديمة عن هذا الحوض يحضون فيه اعتقادات  
 مخرافية كثيرة . وهناك تفاصيل كثيرة ذكرها «دى نغو» يمكن جمعها ومرددها لرمم  
 صورة واضحة جليلة لما كانت عليه قاهرة البكوات منذ خلقها عام . وهذه الصورة تختلف  
 اختلافا عظيما عن صورة قاهرة اليوم لاسيما فى القسم الواقع بين الخليج والقلعة وباب  
 التتوح . فمنا منخرق القاهرة من باب زويلة الى النبال سائر فى شارع العسكرية  
 فالغردجية حتى جامع الحاكم وزجج من باب النصر من طريق الجمالية الى الأزهر  
 نجد أقساما من آثار الصور للأضوية ذات الروعة والجمال والفن والهندسة ولا سيما تلك  
 الأبواب التى مرّت بها الأجيال جيلا بعد جيل فهى الآن تعد لنا عما رآته من عظمة  
 ماضيها ومجد ظاهرها

## فانسلب والقنصل ديماييه

جاء بعد الرحلة « دى تفتو » في عهد باشا الزكي إبراهيم رحلة آخر اسمه « فانسلب » ( Vansleb ) . زار مصر عام ١٦٧٢ م وكان يقيم في مصر اليهودى « دمايه » قنصل فرنسا في القاهرة . وكان عمره يقرب من الثلاثين عاما لما جاء الى مصر يمثل الملك لويس حيث قضى في مهمته ستة عشر عاما وكان مغرما بالمأدبات الشرقية والأبحاث المصرية وتعلم اللغة العربية وأخرج كتابه القيم في وصف مصر عام ١٧٣٥

وفي أثناء وجوده بمصر حيث في القاهرة عاصفة شديدة ( ١١٠٥ هـ - ١٦٩٤ م ) فظن الناس ان الساعة قد أوشكت وان يوم القيامة قد دنا وأظلم الجو من التراب الكثيف وكان الناس في صلاة الجمعة في رمضان وسقطت للركب التي على منارة جامع ابن طولون وأصيب جزء منه بأصنام وهدمت دور كثيرة

وفي العام الأخير من القرن السابع عشر تولى للورخ شمس الدين من مشاهير علماء مصر الأقباط وقد كتب عدة مؤلفات علاوة على ما كتبه في تاريخ مصر بما يصير مرجعا أساسيا لحوادث ذلك العصر ونصن مقتطف هنا شيئا مما كتبه عن القاهرة دى ماييه القنصل الفرنسي فنذكر ان القى كان يشغل منصب الوالى حينئذ هو اسماعيل باشاينا كان هوذا شيخ البلد ( حاكم القاهرة ) يرايد يوما جديوم . وكانت هناك أسمرتان تتنازعان السلطة هما القفارية والقاسمية . وقد كتب « دى ماييه » في كتابه إجماعا طويلة عن الكنيسة المصرية وعلاقاتها مع الحبشة . وذكر ان عدد سكان القاهرة بلغ آنذاك نصف مليون نس لكن الطاعون والمجاعة أقمصتا منه عددا كبيرا

وقد تولى على مصر من سنة ١٠٩٣ هـ الى ١١١٩ هـ اثنان وعشرون واليا وفي سنة ١١١٩ هـ في أيام السلطان أحمد خان تولى مصر حسن باشا وكانت مشيخة البلد في يد قاسم عيواظ بك وبوقاه تولى مشيخة البلد من بعده ابنه اسماعيل بك فظل فيها ست عشرة سنة فطلب في أثناءها على مصر عدة باشوات كانوا لا حول لهم وأوشأنوا تهى أمره بأن تولى يد أحد ماليك « دى القفاريك » فكانت نهاية مشيخته عام ١١٣٩ هـ ومن الحوادث التي ذكرها القنصل الفرنسي وأبدًا للورخ الجبرني ما حدث في الأزهر عام ( ١١٢٠ هـ - ١٧٠٩ م ) بعد وفاة شيخه الشيخ عبد القسرى فقد وقعت بعد موته فتنة بالأزهر بسبب المشيخة والتدريس بالأقباضة واتهم الأزهريون

قسمين . مرة تريد الشيخ أحد النفاوى وأخرى تريد الشيخ عبد الباقي الغلبي ولم يكن حاضرا عصر . فصدر الشيخ أحمد النفاوى للتدريس بالآقباناو بفنمه طلبتها وحضر الغلبي فصعدت له جماعة للشرقي وحضر جماعة النفاوى إلى الجامع ليلا ومهم البتادق وصوبوها إلى المسجد وأخرجوا جماعة الغلبي وكسروا باب الآقباناو وأجلسوا النفاوى مكان الشرقي فبهجت جماعة الغلبي على الجامع وقلوا أبوابه وتضاربوا مع جماعة النفاوى فقتلوا منهم نحو عشرة أشخاص ونهبت خزائنه ونحطمت القناديل . . وأخيرا حضر الوالى فأخرج القتلى وهرق الطلبة ولم يبق بالجامع أحد . وفى اليوم التالى صعد النفاوى إلى ديوان القلعة ومعه كشف بأسماء القتلى فلم يلبث الباشا إلى دعواه وأمره بلزوم جميعهم أمر بنى الشيخ أحمد شخ من الزعماء إلى بلدواستقر الغلبي فى المصلحة

## قصة واعظ

وذكر الجبرتي بين حوادث عام ( ١١٣٣ هـ — ١٧١١ م ) أن رجلا روميا واعظا جلس يستل الناس بجامع المؤيد وازدحم عليه المسجد وأكثروا من الأتراك ثم انتقل من موضوعه إلى ما يقوله أهل مصر بأضرحة الأولياء وإيقاد الشموع والقناديل عليها وشنع على ذلك وذكر أنه لا يجوز بناء القباب على الأضرحة والتكليف ويجب هدمها فلما سمع وجهه بذلك خرجوا حد صلاة الأرواح ووقفوا بالنبايت والأسلحة فهرب الذين وقفوا بالباب قائلين : « أين الأولياء » ونهب بعض الناس إلى علماء الأزهروا خروما بما حدث . فأتى الشيخ النفاوى والشيخ أحمد الغلبي بأن كرامات الأولياء لا تنقطع بلوت وإن على الحاكم زجره عن ذلك وأخذ بعضهم تلك القنوى ودفعها لواعظ وهو فى مجلس وعظه . فلما قرأ ما غضبوا قال : « أيها الناس إن علماء بلدكم أحوالهم ما ذكرت لكم وأريد أن أباحهم فى مجلس قاضى السكر هل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق » فقالوا له : « نعم منك لا غارتك » فزل عن الكرسي واجتمع به نحو ألف من ومنهم من وسط القاهرة إلى أن دخل بيت القاضى قرب العصر فزعم القاضى رسألم عن مرادهم فقدموا له القنوى وطلبوا منه احضار القتين والبيعت معهم فقال القاضى : « اصرفوا هذا الخم ونسمع دعواكم » . فقالوا ما تقول فى هذه القنوى ؟ قال : « هى باطلة » . فطلبوا منه أن يكتب لهم حجة يطلونها . فقال إن الوقت قد ضاق والشهود

قد ذهبوا إلى منازلهم . وخرج المرحوم وقال لم ذلك مصرويه واحسن القاصي محرمه .

وفي وقت الظهر اجتمع الناس في ساحة الواسط على ماذهبهم ثم محصرهم الواسط من نواحي الساحة لمصوره . فقال مصمم . اطلب ان القاصي قدمنه من الواسط فقال رجل منهم : أيها الناس من أراد أن يصير اخي صليبه ممي . هذه الحمة الصبر فمعي هم في جيس القاصي . فلما رآهم القاصي ومن في امهكه حارث طوفهم من الخوف وفر الشهود ولم يبق الا القاصي مسطوح عليه وقالوا له ان شيعه . هذا لا أدري . فقالوا له . ولم تترك من ان ادوا ان ( الفلقة ) لك في هذا الامر وسأله ان يحضر لنا أشخاصا الذين قصوا جنل شيعتنا وتباحث معهم فأن ثبت دعواهم مجوا من أيدنا ولاقتناهم . فركب القاصي معهم مكرها وتبعوه من حلقه



صورة حيا القاصي (في وسطه) في أول عهد الشيعين

وأما من ان طغوا إلى الدون من سنة ثمان من سب حصوره في مير وقته . هذا . فاطرا إلى هؤلاء الناس ملأوا الدوان واحرقوا فيه الذين نوا به . وعرضه عن قصتهم ووافع منهم بالامس واليوم . وأهم مصروا . فترجموا وأو اليوم وأركوه فيها . فأرسل الناس إلى كعبه الاكثرية وكعبه العرب وقال لها

« أسألا هؤلاء عن مرادهم »

فسألام فقالوا « نريد احضار الشراوى والمخيط ليحبسا مع شيخنا » فاعطام  
الباشا مهلة ونزلوا إلى جامع للؤيد وأتوا بالواعظ وأصعدوه على الكرسي فصار يحطمهم  
ويجرحهم على اجناسهم في القند بالؤيد لينهبوا جميعا الى القاضى وحضهم على الإلتصاف  
للدين واقترحوا على ذلك

ثم جمع الولى الأمراء السابقين والأقوات قواد الأورط في بيت الله فتردوا وأجمعوا  
على ان ينقوا الواعظ من القاهرة

لم يظهر الواعظ بعد ذلك اليوم وقيل انه قتل فسكت الفتنة وعن ذلك قال الشيخ  
حسن المجازى :

مصر قد حل بها واعظ عن منبج صدق قد أعرض  
فأساء الظن بسادات أحكام الدين بهم تنهض

القاهرة بين الأميرين شركس وذى الفقار

( ١٧١٩ — ١٧٣٠ )

استطاع الأمير شركس بعد بضعائه أن يثق مع الولى راغب باشا بعد قتله الأمير  
استاعيل وتولى حكم البلاد وشيد قصرا جميلا وقد رجا له أم متعصب الحكم في مصر  
وقد قاست القاهرة في أيامه كثيرا من حوادث مماليكه واجتداعاتهم وصرفاتهم . فقد  
اعتدوا على الخانات العامة في أثناء الأوقات المخصصة للسيدات والأطفال واختطفوا  
ملايين وأظهروهم عرايا على قارعة الطريق . ولم تنه تلك الحوادث حتى عزل الولى  
فانحد مع أحد البكوات واسمه ذو الفقار وألف الائتتان حزبا لم يلبث طويلا حتى مشلت  
إغراضه

جاء بعده الولى الجديد فجمع حوله فريقا من أعداء شركس وسلحهم بالابتداع  
والنداع وحاصروا قصره وكلن يعمدون مبدأه قبيح من رجال حزبه المخلصين فتبادل  
القربان النيران مدة طويلة وفي نهاية الأمر تمكن الأمير شركس من الحرب تاركا وراءه  
قصره وما احواه من الرشاى القصصة والآفات التي لا يلبث التائبين التائبين عليه الذين  
قبضوا على أعوانه وتكثروا بهم تنكيلا

لم يمحى عام على هذه الأساة الحربية حتى ظهر الأمير شركس ثانية فكان

الحوادث لم تقه بعد وطله لا يزال يحتل موره وإن كان قد اختفى قليلا خلف  
الستار . وكان بعد هزيمته عام ١٧٧٦ قد ولى شرطه نحو طرابلس الغرب فاستقبله والياها  
بإجلال واحترام . وسهل له جمع أربابا مغربيين من لترتقة قام بهم في أوائل عام  
١٧٧٨ قاصدا الصعيد حيث ألف جيشا مؤلفا منهم ومن بعض الثاقين على دى الثقار من  
أعدائه السابقين واشتعلت بران الحرب الأهلية بين الفريقين . وكان ذو الفقار قد جمع  
ثلاثة آلاف من أشياعه القاهريين ووضعهم تحت قيادة عثمان بك فانتصر عليهم الأمير  
شركس وقتل قائد القوة ولكنه لم يستطع دخول القاهرة بالرغم من هذا النجاح  
في ذلك الحين قام في القاهرة منافسان من البكوات كلاهما يريد اغتصاب القاهرة من  
الآخر فانتصر شركس تلك الفرصة واشترك في اللينان ولم يطل الأمر حتى استولى  
ذو الفقار على المدينة وملك اللناسان . وفي إحدى الليالي كنت ترى اثنين من بكوات  
الممالك هما يوسف بك وسليمان أبو دقية على رأس ثلاثين من الشجعان يجسرون في اللور  
بين بوابات قصر دى الثقار ويذبحونه . وكان هذا قد أمر فيل مؤامرة ذبح البكوات  
بجريد قوية بقيادة على بك ومع حيلة شركس تلك اللقاة قد هجمت على رجاله  
وأفنتهم . وحاول شركس أن يجر الثيل فأصيب بجواده برصاصة لم يستطع أنهما أن  
ينجوا بنفسه . وعقب للمركة كان يفتل طلاحان بين بحث القتل لاختلاس ماتع عليه  
أيديهما من اللناتم موقع ظرهما عليه لما حاولا انتزاع زرهه . وفي ذلك الحين لمح أحد  
للمالك فرصه في الحال من خاتم أصيحه فقدموه للناقد على بك فأمر بضرب عنقه ولجده  
بحزام وأخذ رأسه وقدمها للوالى ليشتها إلى الخليفة . ودخل على بك مدينة القاهرة  
ظافرا وفي ركة الممالك والحشم والأتباع وأسلمهم للموسيقين يمزفون بلبوهم وزمورهم  
ويدفون الصابج اللصامية

## مشيخة عثمان بك

ابتدأت بعد ذلك مشيخة عثمان بك فاشتهر ببلده وحزمه وحسن تدبيره للأموار وكان  
يلتزمه في مجالسه العالم الفاضل حسن الجيرى والد للزورخ اللامعبد الرحمن الجيرى .  
وفي أيامه استراحت القاهرة قليلا . ومع ذلك لم يستطع النجاة من مكائد نوى اللطامع  
وفي مقدمتهم الأشمران إبراهيم كعندا الانكشارية ورضوان كعندا العزب وأولها من  
طاعة القزدغلية وثانيهما من طاعة الخليفة وقد تزوج إبراهيم من ابنة محمد الباردى أحد

نهار القاهرة الاغنياء فاستغاد من ملأ الكبح وارفع شأنه حتى ارتقى الى رتبة البكوية  
 فقره من بيت شيخ البلد . وتشاء المدة أن يرقى صدقه رضوان في ذلك الوقت  
 فيعرف اسم رضوان بك فاعمد الاثنان قلبا وقاليا وتوليا أمور القاهرة فيما بينهما  
 فلما رأى عثمان بك موكة هذين للتاسعين الجديدين ضم اليه ثلاث أحزاب :  
 حزب ابراهيم بك قطامش وحرب على بك المياطي وحزب على بك الطويل وشاويهم  
 في الأمر فأقروا على قتلها ولكن لم يطل أمر تحالف عثمان معهم فقد أجد عن مصر  
 بحيلة وكيله فوصل سوريا ومنها إلى الأستانة . واستمر ابراهيم بك قطامش إلى النهاية  
 مع خمسة بكوات من حزبه تحصنوا في قصره القاهرة . فلما علم بذلك الوالي اتصل  
 بالأميرين ابراهيم ورضوان فأخذ كل منهما وقصدا قصر قطامش وصبوا جران  
 بنادقهما نحو القصر فقاومتها قوة قطامش عدة ساعات واستمرت النيران متبادلة بين  
 الفريقين حتى أتى الليل واستطاعت جماعة قطامش ان تنجو بفسها فالت الأدبر  
 قاصدة الوجه القليل

## القاهرة بين الأميرين ابراهيم ورضوان

ومع ذلك لم يصف الجوألم ابراهيم ورضوان . فكان في انتظارهما كثير من  
 الجوادث الجسام وسرى القاهرة وقد تحولت الى مسرح تمل عليه مشاهد المأساة .  
 فلقد صمم الزعيان على المدة فقة البكوات الباقية وانحفا على ذلك مع الوالى « كيورأجد »  
 واستأثروا بالمؤامرة والبال . فقتلوا على بك المياطي بيد وكيله سليمان ثم أمر  
 الأميران ابراهيم ورضوان بقتل جميع منافق القلة ويجعلوا الحرس على باب الانكشارية  
 والحرب من جنودهما المخلصين واعداً للذبحة الرحمة فكانت المذبحة تلقى من التوافد  
 والمدرج وسائل الملة في جميع نواحي القاهرة  
 وكانت مؤامرة ناجحة . فخلصت القاهرة في أثرها من مكائد الأحزاب وأغنية  
 رجالها وأصبحت في رمة اثنين من الأمراء الأقوياء . وسرى شأنهم في القاهرة من  
 أمثالها .

لكن لكل من هذين الأميرين صبه وجهه اليه في ريسه فكان ابراهيم صاحب  
 السلطان وقائد الجيوش ومدير السياسة على حين كان رضوان مؤلف القلوب بوقلة القصاص .  
 وكان الأميران على اختلاف اتجاهيهما متفقين متآكفين تقصيا في ريسهما صبيح  
 سنين وبها



هناك على ضفة الخليج المصرى اشترى رضوان دارا أصلها بيت القاجار الذى  
 الشرايى وهى التى كان بها العمودان اللذان للمروحة « بثلاثة ولىة » كانت واقعة على  
 بركة الأزبكية . وموضوعها اليوم مابلى حديقة الأزبكية وميدان الأوبرا . وكانت  
 تلك البركة اذ ذاك منزهة من منزهات القاهرة المحبوبة تحيط بها بيوت أعيان التجار  
 والأمرء . طما اشترى الأمير رضوان بالغ فى زخرفتها وعقد على قاعاتها العالية قبابا  
 عجيبة المصنعة متفوشة بالذهب المطول واللازورد والزعفران الملون . وكانت الأنوار تستطع  
 فى هذه القباب اثناء الليل فيكاد يحطف بهاؤها ورواؤها الأبهار . وكان للأمير  
 فوق ذلك فى الناحية الشمالية الغربية من هذه البركة منظره بديسة تعلل من القرب على  
 الخليج للقاهرة ومن الجنوب على بركة الأزبكية ومن الشمال على بركة أخرى امتدتها  
 الأمير جوسيع بحرى الماعق الخليج القاهرى مما يلى قطرة الدكتور شاذى فى صدر البركة  
 عجلسا خارجا بعضه على عدة قناطر لطيفة وبعضه داخل النيط المعروف خطب المعبدة  
 وبوسطه بحيرة تملأ بالأمم أعلى وينصب منها الى الخوض من أسفل ويجرى إلى  
 البستان لسقى الأشجار ويبنى قصرا آخر بناخل البستان مغطا على الخليج . وكان  
 يقتل فى تلك القصور التى نسفها أبداع تفسق

وقصارى القول ان قصور رضوان كانت تتألف دائما بالأزوار الساطعة ويملع عليها  
 الفن المصرى آليات الروعة والابحاج ويجتمع فى أبنائها عائلت المصر من الأبناء والبنات  
 فلاغروان تحق الشراء فى مدح رضوان وفى العمل على الاتصال به . من هؤلاء  
 عبد الله بن سلامة المعروف بالأذكوى سبى الى بلدته التى ولد فيها « أدكو » ومصطفى  
 القيسى والميد السندى وقلم القوسى وغيرهم . فقد مدحه هؤلاء جميعا وأمشاوا  
 فيه الغفامات والتوشيعات . ورأينا الأذكوى يجمع كل مله لشراء فى هذا الأمير  
 ويتخذ منه مجموعة يسميها « التوائج الجنانية فى اللباغ الرضوانية » ولا يكاد يوجد  
 شاعر فى ذلك العصر لم يحصل بالإمير رضوان . الآن رضوان قد أصله مله من  
 سبى ترك أمر البلاد واتبع طريق الشهوات وجاهر بالمصاى . وقد ذكر الجبرنى أنه  
 أصدر أوامره لرجال الأمن بضم المروض لاهل المحيون فصار القاهرة ميادين  
 للفرلان وسيا المشاق

ظل الأميران يقيمان على دفة الحكم فى البلاد حتى أتم الأمير ابراهيم ربنة  
 البكية على أحد رجاها فشق ذلك على ابراهيم بك الشركسى ومعت يهما الصفاين حتى  
 قتله بيده فأصبح الأمير رضوان شيخ البلد وحده الى أن ظهر شاذى عبدالرحمن كصعدا

الانكشارية فأخذ بضد ممالك الأمير ويقربهم على أسراء رضوان وآمروا على احتيال الأمير رضوان والقتضاء على سلطته فقبه رضوان لذلك واسموا على القلعة وبعض أبواب أحياء القاهرة وجامع الشمودية وجامع السلطان حسن . واجتمع اليه أغلب أسراؤه وكانت تم له القلية لولا أن سرى اليه الأمير عبد الرحمن كصفدا وأعوانه لأجراه الصلح وطلع بهم الى الأمير رضوان وخذعوه بكلامهم فسلمت يده وسلم بنصحبهم

وبعد ان نزل إلى داره في « قوصون » اغتم اعداؤه الفرصة ويبتوا أمرهم ليلا واستولوا على القلعة وحض الأجواب فيها كان رضوان آمنا في يده فلم يشر الاوهم يطلقون عليه للدافع . وكان الحلاق يحلق له رأسه فسقطت الجمل على داره . فأمر بالاستعداد وطلب من يعتمد عليهم فلم يجد أحدا منهم يقف بجانبه فخارب فيهم إلى قرب الظهيرة حتى أصيب في ساقه برصاصة من مملوكه الصغير « صالح » الذي التجأ إلى خصومه . ولما أصيب رضوان طلب الخيل وخرج من قبة قبه في جدار مستانه وخرج قاصدا للساتين فلم يقبه أحد ونهبوا داره ثم التجأ إلى قرية للشيخ صبان بالصعيد حيث مات بشفق أولاد محبي ودعي فيها وعمر رضوان بك باب القلعة بالرمية وهو الباب المعروف باب العزب وعمل حوله حائين البدينين العظيمين لباقيتهن إلى اليوم

## أسرة الشرايبي

ولم يكن الأمراء وحدهم من الذين يتكئون القصور الجميلة في القاهرة فقد كان من بين قصور الأريكة قصر القاجر التي الشيخ أحد الشرايبي الذي استطاعت أسرته أن تنجب أسراؤه وإن يكون لها ممالك وإن تشتهر بوفرة الثنى وسعة الثراء . وقد عرف أفرادها كيف يستغنون أموالهم بما يغيد . فأمهم أهل العلم ولا أدبوا امتلاث خزان كتبهم المخطوطات الثمينة النادرة وأشتهر كتب للراجع . وكأوا يدعون أي من لا شيء كتاب يعرض في الأسواق إذا لم يكن موجودا في مكتبهم فكانا اردنا أن به جلوه تحت تصرف كل زائر بقصدهم . وكان الأديب اللطيف اذا رغب في كتاب قصدهم وهو لا يشك في أن سيجده في مكتبة الشيخ الشرايبي وكانت له الحرية بين استعارته أو امتلاكه إذا أراد من غير أن يسأله أحد اعادته إلى مكانه . وكان أفراد هذه الأسرة الفاضلة

من أشد التمسك بمنهج المالكية ويترويعون من بين أفراد أسرهم وكأول غاية في .  
 الصلح لا يخرج بناتهم من بيوتهم إلا عند رواجهن فقام لمن حيث قد خللت حدث عن  
 عظمتها ولا حرج . . . اقرأ عنها في « تاريخ الجيوش » لصرف عنها الكثير .  
 فقد كانوا على كثير من الحذر لا يظهرون بناتهم أمام الناس . كانوا يظهرون مرساة صلاة  
 للدعوى في جامع أزيك ( الذي شيده الأمير للشهور أزيك طوطوش ومنه انخفضت  
 الأزيكية اسمها وقد هدم عام ١٨٦٩ ) اللوارج لينهم يأخذون القروس ويسرعون بها  
 نحو روسيا السعيد إلى جنبها السامر الجديد تحت حراسة أعوانهم من المايك والصيد . ثم  
 تطلق الموارج ويقاذف الناس للشاغل بين التليل والنقاء

### الحياة العقلية

وعناية هذه الأسرة باقتناء كتب العلوم والدين والآداب المختصة على ضوءها ساطعا  
 نرشده عن حال الفرية والعلم في تلك الأزمان . فلقد أنشأت المكتبات الجديدة في  
 القاهرة في أيام المايك الأولمرا أكثرها كان منبوها من مساجد الشام . ويستطاع تكوين  
 فكرة تامة عن الحالة القهنية خلال القرنين السابع والثامن عشر عندما تقرأ « عجائب  
 الآثار في التراجم والأخبار » المؤرخ العلامة عبد الرحمن الجيوش . فقد ذكر الكثيرين  
 من الشعراء والأدباء والعلماء الذين طشتوا في عصره . وأورد في تاريخه بالجزء الأول  
 مناقشة حدثت بين الوالي أحمد باشا والشيخ عبد الله الشراوى شيخ الجامع الأزهر في  
 عام ( ١١٦٣ هـ - ١٧٥٠ م ) وكان الباشا من أرباب الفضائل ميالا للعلوم الرياضية .  
 فلما وصل إلى مصر واستقر بالقاهرة وقابل كبار العلماء في ذلك الوقت وهم الشيخ سالم  
 الشراوى والشيخ سليمان المنصوري والشيخ عبد الله الشراوى تكلم معهم وتناقشهم ثم  
 حشهم في الرياضيات فأجمعوا وقالوا : « لا نعرف هذه العلوم »

فصحب وصكت وكان الشيخ عبد الله الشراوى له وظيفة الخطابة بجامع سارية فطلع  
 إليه كل يوم جمعة ويخجل عند الباشا ويحدث معه ساعة وربما تتدلى منه ثم يخرج  
 إلى المسجد . وفي ذات يوم قال له الباشا :

وهنا ننقل ما جاء بتاريخ الجيوش :

« عندما بلغنا الزمعة فإن مصر منع الفضائل والعلوم وكنت في غاية الشوق إلى الجيوش  
 إليها فلما جئتها وجدتها كما قيل تسمع بلعدي خير من أن تراه . فقال له الشيخ « هي

يا مولانا كما سمعت موطن العلوم والمعارف » فقال وأين هي وأنت أعظم علما لها وقد سألتكم عن مطلوب من العلوم فلم أجد عنكم منها شيئا وثاية بمصليكم التفقه والمقول والوسائل ونيتكم المقاصد فقال له : نحن لسنا أعظم علما لها وإنما نحن للتصديرون لخدمة الناس وقضاء حوائجهم عند أبواب الدولة والحكام ونائب أهل الأثر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية الاقدر الحاجة للوصول الى علم الفرائض والوارث كعلم الحساب فقال له : وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية بل هو من شروط صحة الصلاة كالمعلم بدخول الوقت واستقبال القبلة وأوقات الصوم والأهلة وغير ذلك فقال نعم معرفة ذلك من مروض الكفاية انما قام به البعض سقط عن الباقين وهذه العلوم تحتاج الى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور دقيقة كرفة الطبيعة وحسن الوضع والمخط والرسم والتشكيل والأمور الطاردية وأهل الأثر بخلاف ذلك غالبهم الفقراء واختلاط مجتمعة من القرى والاكثاق تنشر فيهم الغالبية لذلك . فقال وأين البعض ؟ فقال « موجودون في بيوتهم يسمى اليهم » . ثم أخبره عن والده الشيخ الجبرتي وعرفته عند وأطرب في ذكره . فقال . « اتيسر منك إرساله عندي »

فقال « يا مولانا انه عظيم القدر ليس هو تحت أمري »

فقال « وكيف الطريق إلى حضوره »

قال « تكتييون له رسالية مع بعض خواصكم فلا يسهل الامتناع » فقبل ذلك وطلع اليه ولبي دعوه ومر برؤيه وراى له بالمر والاكرام ولازم المطالبة عليه مدة ولايته . وكان يقول « لو لم أغتم من مصر الاجتماعى بهذا الاستاد لكفانى » واتفق لوالى انه لم يوفق في حل مسألة من المسائل فاشتغل ذهنه وتغير فكره الى ان حضر اليه الاستاد في ليلاد فاطمه على ذلكوعن السبب في عدم المطابقة فكشف له على ذلك . فلما انجلى وجهها على امرأة عتقه كاد يطير فرسا وحطت أن يقبل يده ثم أحضر له فروة من ملبوسه السمور بانها ( والده الجبرتي ) بقاتاة ديتار . وكلت يشعل يرسم الزاويل على ألواح كيرة من الرخام صناعه وجفرا بلازيريل وكان يتقش عليها آياتا من الشعر للنسابة ومها :

مزولة متقنة \* نظيرها لا يوجد \* راسمها حاسبها

هنا الوزير الأتيد \* تاريخها اختها \* وزير مصر أحد

وسبب واحدة بالجامع الأزهر في ركن الصحن على يسار الداخل وأخرى بسطح جامع الإمام الشافعى وأخرى بمشهد السادات الوفاية

ويمكن ان يستنتج مما ذكره الجيوق ان دراسات العلوم لم تكن عميقة بل سطحية  
 يعكس دراسة العلوم الدينية التي كانت أعمق . والواقع ان ذلك كان في أغلب الأحيان  
 ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية في مصر الإسلامية ومن عجائب حوادث ذلك العصر  
 ان أشيع بين الناس بمصر ان القيامة ستقوم يوم الجمعة في السادس والعشرين من ذي  
 الحجة ( ١١٤٧ هـ = ١٧٣٤ م ) فودع الناس بعضهم سجنًا وكان يقول الانسان  
 رفيقه بقي من عمرنا يومان وخرج الكنديون من الناس الى الشيطان ولتفتحات قائلين  
 لبعضهم البعض : « دعونا نودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة » . وطلع أهل المجيزة  
 نساء ورجالا للاغتسال في النيل . ومن الناس من طلاه الحزن وداخله الحلم والوهم  
 ومنهم من صار يوبس من ذنوبه ويدعو ويتهل ويصلي وكثر فيهم المرحج والرج إلى يوم  
 الجمعة المحدد ليوم القيامة فلم يقع شيء . ومضى يوم الجمعة وأصبح يوم السبت وم  
 يقولون فلان العالم قال ان سيدي احمد البعوي والهموق والشافعي تشفعوا في ذلك  
 وقيل الله شفاعتهم يريد عليه الآخر « اللهم اغصنا بهم قاتلًا يا أخى لم شفع  
 من الدنيا ... »

## الرحالتان بوكوك ونوردن

وفي أثناء ولاية أمير أخور مصطفى أنا ( ١١٥٠ هـ - ١٧٣٧ م ) زار مصر الرحالة  
 الانجليزى القس ريشارد بوكوك ( Richard Pococke ) وكتب مؤلفه النفيس  
 « رحلة للشرق وبلاد أخرى » في سفرين كبيرين . جاء هذا القس العالم عن طريق  
 الاسكندرية وقصديرشيد لزيارة قبر بطريرك « كومماس » وتعرف الى كبار المسلمين ورجال  
 الكنيسة الرومانية الكاثوليك من رهبان الفرنسيسكان وكانت بينهم الدينية تحت رعاية  
 الانجليز وزار الرحالة مدينة المحلة الكبرى . ثم قصد القاهرة وقضى فيها أياما لدراسة  
 أحوال أهلها وأسوارها وآثارها . وزار القديس وبلاد منها الى النيل فركب سفينة لمشاهدة  
 بلاد الوجه القبلي وآثاره

وفي نفس العام ( ١٧٣٧ م ) جاء مصر الرحالة « فردريك نوردن » من صباط  
 البحرية الدنماركية بأمر ملك الدنمارك وكتب عن رحلته كتابه « رحلة الى مصر وبلاد  
 النوبة » في ثلاثة أجزاء وبعد مؤلفه من أمم ما كتب في الرحلات وأدقها وأوفىها وله  
 ملحق مصور فيه بعض اللوحات لمدينة الاسكندرية والبيضاء الشرقية وقلعة قايتاى

وقلعة أبو قير ورشيد والبحيرة ومصر القديمة وغير ذلك من بلاد مصر وأقاليمها المأمنة  
 وفي عام (١١٥٦ هـ - ١٧٤٣ م) شاهدت القاهرة واليا جدينا هو «عبدالقادر»  
 وكان يريد القيام بحملة إصلاحية . فخرج للتسحين وكان يرسل كتيبة ضباطه على رأس  
 الجند لتصطف في طرقات القاهرة لتعيش المادة والقبض على الملتجئين أو الذين يحملون  
 الفسخ ولا تزال أشد العقاب بمن يصبطونه متلبسا بالجريمة ! لكن لم تحل مدة الحملة  
 هنا الوالي واستدعى للإستانة . وجاءه من بعده «رابع جد» ثم الوالي العالم أحمد  
 باشا الوزير الكبير (١٧٤٨ م) الذي ذكره في عدة مناسبات للتورخ الجليل الشيخ  
 عبد الرحمن الجبرتي

## قاهرة على بك الكبير

(١٧٥٥ - ١٧٧٢ م)

كان قلعة ذلك العصر التريب قد رُخا ان ترى عجايبا بعد عجب ! طوائف كنت من  
 أحياء ذلك العهد واتبع لك أن تركب متن طائرة تعلق بك في جو صعيد مصر إن  
 رأيت في أعماقه ويضئ نار تشتعل لهيبا وقتا قد تخاف من شرها

حكم القاهرة بريلون أن يسيطروا على الأرياف وحكم الأرياف بريلون أن  
 يحتفظوا باستقلالهم الإداري يستمعون بما جنوه من أموال وخيرات . ومن هؤلاء  
 الحكام حروب لا ينجدها لهيب والناس لا تعرف من الأمن الا اسمه . فدا مسافر  
 الناجر أسطوله النبل المحمل بخيرات البلد من منطقة الى أخرى وجب عليه دفع الأتاوة  
 إلى شيوخ قطاع الطرق وهم طائفة أخرى مستقلة عن كل الطوائف انحدت السلب  
 حرفة اختفت أساليبها وحملت منها على القروا الطائفة وتختل فيه وأثرت منه . وإن  
 لم يقل أصاب أسطوله الوب والتعظيم

في ذلك الجو الخافت ظهر على بك الكبير وكان كبقية أمراء هذا العصر بملوكا .  
 وكان واحدا من بين أئني بملوك للأمير ابراهيم . لكن كتب له أن يكون له شأن  
 عظيم في تاريخ مصر . مات منذ حومة أطفاله . بين مؤامرات الخيانة طليح برؤس  
 الأمراء . مات بملوكا جزءا كبيرا من حياته تحتل في سياسته أساليب القسوة والفساد .  
 لكنه كان بملوكا أكثر ذكاء وأشد صلابة وأكثر اطمانا من غيره . كان يحبه مولاة

فيله حامل سيفه وكان الحظ يريد دائماً أن يطيه فصب سببه مع قائده الى بلاد  
 التي وكان قد رماه كاشفاً فسار في طليعة الركب . وهنا كانت القاهرة تسير التقت بها  
 عصبة من قطاع الطرق فتاوهم على بخل ثابت وحرهم طناً طناً الأمير ابراهيم الى  
 القاهرة عزم على مكافأة على برية و بك « لكن صغرت ودميسة أحد رؤساء المالك  
 حالا دون ذلك . واستمر القدر يخدم عليا حتى سلم مشيخة البلد في القاهرة ( ١١٧٧ هـ  
 = ١٧٦٣ م ) وتخلت فيه ساعات اللذات فتسلط أن يستخلص نفسه حكم مصر كما  
 سرى وبدأ يستخلص تدريجياً من مراحمه زعماء المالك للشاعين وروى اتباعه المختصين  
 وكان أعزهم لديه واحداً منهم اسمه محمد . قلده البكوية ثم لقب بأبي القلب وسرى  
 أنه لم يكن مثلاً حسناً لفرقان الجليل بل أن فضل سيده عليه لم يزد الا كفراً بتسميته



ويضيق بنا المقام لو أردنا أن نتتبع هنا ما حدث في أيام مصر أثناء سيادة علي  
 بك الكبير لكننا لا يسمن الا التوجه بإعلانه استقلال البلاد عن الدولة العثمانية فقد  
 انهى فرصة اشتغال الدولة العثمانية بحربها مع روسيا ( ١٧٦٨ ) وأعلن استقلاله وبدأ  
 ينظم دولته الجديدة في جميع مراحها وعين على ماليتها مدير الخزانة القديم الملقب « رزق  
 القبطي » ونظم التجارة الخارجية والمواصلات واستعنت البلاد في عهده بالأمن وبنى  
 من الطماينة ثم تستمع هما في عهد صيره ونهى في البلاد نوع من الشعور الوطني اد  
 رأت حاكمها العظمى يقطع صلته بالدولة العثمانية ( ١٧٦٩ ) ويحصل لمصر مركزاً ممتازاً  
 بين الدول

وفي أيام علي بك الكبير مر على القاهرة الرحالة الانجليزى « جيمس بروس »  
 ( James Bruce ) في طريقه الى « أنيوبيا » وقد تقابل مع الملم رزق الذى كان  
 من المشجعين في علم الملك . فاستفاد الرحالة من علمه كثيراً . ولما جاء الى القاهرة أرسل  
 الرحالة الى الملم رزق هدية قيمة اعترافاً بالجميل . ولكننا نراه وقد أهداه اليه بوسجتها  
 هدية منه وأعطى رسوله خطاباً دعى فيه الرحالة الى زيارته في بيته بعد الاستراحة من  
 عناء رحلته لكن بطلمه على عدده وآلاته الفلكية . ثم قال اذاً من علي بك الكبير  
 لى يقوم برحلته وهو فى أمان واطمئنان . وقد أشار عليه الملم رزق بأن يقضى أيامه  
 في القاهرة ضيفاً في حى قلعة بالجبلين وأوصى بالطريق بأن تباح له بعض الغرف . وبعد  
 أيام استأنف الرحالة رحلته النيلية الى الأقصر ومنها أخذ طريقه الى القصير فاجتازها  
 عن طريق البحر الأحمر . ولما حاد بعد انتهاء رحلته لم يجد على بك قد انتقل الحكم الى  
 مملوكه ابن القلب كإسبجى .

## أبو الذهب في القاهرة

ان قصة للمارك التي دارت بين علي بك الكبير وعبدك أبي الذهب طويلتولست من أعماق هذا الكتاب لكنها تدل بوضوح على ما كانت عليه أخلاق أبي الذهب من نكران الجميل والسكر والبهاء . وقد تجادى علي بك في إرسال التجديدات العسكرية للقضاء على مناصبه في الشام والحدود . وأخيرا تحصن مع جيشه الباقي عند دير البساتين الذي استولى عليه من الأقباط ويصله حصنا حريا . وبين الماقل والحصون والطوائف من نهاية ذلك المهر الكائن على شاطئ النيل حتى فتح القطم ووضع للذائع الكبيرة في ذلك المخطط الحربي لطويل بين تلك الاستحكامات القوية . ومع كل تلك الاستعدادات الحربية قلن أبا الذهب يد غمار به وتطلب عليه وهزم جيوشه التي خانته أغلبها واضم إلى جيوش أبي الذهب

دخل أبو الذهب للقاهرة دون أن يضطر لعل حربى لأن الأهالي وعددا كبيرا من الأشراف والماليك كانوا من أعرافه ولكن مع سnoch تلك الفرصة لأبي الذهب وامتلاكه البلاد بهذه السهولة قلن أول أعماله كانت جلب دير البساتين وأصرام النار فيه ثم دخل القاهرة دخول القمامع للتصحر

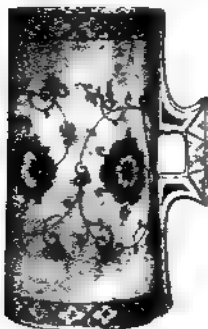
ولا شك أن علي بك الكبير يعد من بين شخصيات أواخر القرن الثامن عشر لكن اشتغاله بالسياسة والحروب التي استلزمها عمارته الاستقلال عصر لم يجعله قادرا على تخليد اسمه بما يتركه العطاء مادة يعد وقامهم من الآثار الجيدة . ولولا تجديد قبة الإمام الشافى وتشييده سور عظيم في بولاق وبناءه سوقا كبيرة وتزيمه بعض المساجد والمدارس والسبل والجسور لما ترك أى أثر في أبنية القاهرة ومعمارتها . ولولا تلك الاختلافات العظيمة التي شيدها أحد أمراء عصره وهو عبدالرحمن لناسينا عهده وأهلنا من الناحية المملوكية

دخل أبو الذهب للقاهرة متبصرآ ولكنته لم يتم طويلا بفار مصره إذ توفي ودن بجناحه الذي شيده أمام الأزهر . وكان خاتمة الجوامع العظيمة التي أسست في القاهرة في عهد حكم الباشوات الأتراك

ولقد تمتصت مصر في أيام أبي الذهب جهد من الرخاء والطمأنينة وترك له الباب العالي الأمور بحري كالأرد . وفي أواخر عام ( ١١٨٧ هـ - ١٧٧٤ م ) شرع أبو الذهب



في بناء مدرسته نجاء الجامع الأهر . وكان عملاً دافعاً متحرراً فاشترها من أحمد ٣٠  
وهدمها وأمر ببنائها وهي على طراز جامع السانية بولاق . ولما تم البناء فرشت  
جميعها بالحصر ومن فوقها الأسطة حتى فوجأت الشاسك وفقرهها التدريس على المذهب  
الحنفية والماسكية والشافعية ورنم الشايخ الثرمنات والتعينات التسعة وفي يوم افتتاح  
المسجد صلى الأئمة الخمسة ( شعبان ١١٨٨ هـ ) ولا انقصت للصلاة أحضرت الخبز  
والفراوى فألبس الشيخ الصميدى والشيخ الراشدى الخطيب والتعيين الثلاثة فراوى  
متمور وباقي المدرسين فراوى بيضاء وزع في ذلك اليوم على الخدم والمؤدبين الذهب والفضة  
ومن آثار عهده أيضا سبيل السلطان مصطفى بالسيدة ريفو جامع الهياثم وبنت الست  
حبيطة ( سبى البارودى بها هند ) باب الخلق . ووكالة أنى الذهب والصناديق وسبيل  
محمد انى الذهب شارع النبطية وسبيل الشيخ المطاهر بالدرجة وقصر المسافر حاه  
بقصر الشوق ( ١١٩٣ هـ )



كوب من خزف صالحة  
تكون دعارقه الرطب من  
مروج دارة وبه من أعلى ومن  
أعلى شريفان من دحاز  
نفسه ( القرن اعلى عشر  
للجبرى - الصالح عشر  
الملاى ) - مهذبة من  
حجرة صاحب قسور الامير  
يرى كمال قمار الآثار العربية

## مشاهدة مسجد الزهر كنيسة

ليس من شك في أن عبد الرحمن كنعنا يحترق أمير المجددين وفي مقدمة الساعين في تجميل وتعمير القاهرة . وكان صاحب غيرة عظم قبل أيام على بك الكبير . وقد وردت عبد الرحمن ميوله الحمية عن أبيه عثمان كنعنا الذي استطاع أن يشيد ما جمعه من ثروة لا بأس بها مدرسة ومسجداً وقاهرة بالقرب من بركة الأزبكية . وفي يوم افتتاحها ملأ حوضاً كبيراً وكل ما وصلت إليه يده من الأواني بالشراب ليسقى الأهالي وبني أيضاً مدرسة للبيان في الأزهر ومفشات خيرية أخرى

أما ابنه عبد الرحمن فقد قام في هذا المظهر اذ جمع في أكثر مبانيه الجمال والفن وجعل ذلك في سبيله الطيف الواقع في ملتقى شارعي النحاسين والجمالية والمعروف اسمه حتى اليوم . له ثلاث وجهات والحدود الأرضية منه الكتاب . وأنشأ عتبات الفتح ومسجداً ظريفاً بنبارة ومهريج وكتاب . وأنشأ بالقرب من قراة الأزبكية سقايق وحوضا لسقي الدواب وكتبا . وأنشأ وزاد في مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولاً وعرضاً ويشتمل على محسن هامودا من الرخام تحمل مثلها من البوابات والرحمة للقبلة للشيد من الحجر للنحوت وبني به محراباً جديداً وأقام له منها وأنشأ له بلا عظيماً جهة حارة كتامة وبني بأعلاه مكتبة بقطر مقنونة على أعمدة من الرخام لتعلم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن . وبني للمدرسة الطيرية وجعلها مع مدرسة الأقباطية المقابلة لها من داخل الباب الكبير من أحسن الباني نظاماً وعظمة . كما أنه بني للشهد الحسين وأنشأ عند باب الريفة المعروف بالقرب جامعاً وصهرجياً وحوضاً وسقاية ومكتبة . وشيد جامعاً بمحمة الأزبكية ومكتبة وحوضاً وميضأة وساقية وعثارة . وبني مشهد السيلة ريب بقطر السباع ومشهد السيدة سكتة بقطر الخليفة والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة والسيدة قطمة والسيدة رقية وعمر المدرسة السيوفية ويعدو للارستان المنصوري وغير ذلك من المساجد والأسبلة والقطر والمسجود التي شيدتها

خارج القاهرة

لـ الدين مـيل عد الرـس مـكتـبـا ( ١١٥٧ هـ - ١٢٤٤ م ) وفي السار وكـا



ومن عمائر عبد الرحمن كصعدا دار سكته بحارة عابدين وكانت من العهد العثمانية المحكمة الوصي والامتحان لم تاعلمها دار مصر في حشوها وزخرفة عمارتها وما بها من النقوش والرحام والقاشاني والذهب للموه وأنواع الأصباغ وغرس بها بستانا بديبا بناخله قاعة منسقة مرصعة الأركان بوسطها نافورة مصروشة بالرخام وأركانها مرسية على أعمدة من الرخام الأبيض . وبلغ عدد المساجد التي أشتاعها وجددها وأقيمت فيها الخطبة والجمعة والجماعة ثمانية عشر مسجدا خلاف الزوايا والأسبقة والسقايات والمكاتب والأحواض والفتاخر . وكان له في هندسة الباني وحسن وصنع المعمار ملكة يقتصرها على ما يروم من الوضع ولو لم يكن له من المآثر إلا ما أنشأه بالجامع الأزهر من الزينة والعمارة التي تفتخر عنها هم الملوك لكانت

عظم شأن عبد الرحمن حتى بدأ أمره على بك الكبير « يستعمل فأخرجه منقيا إلى الجناز ودفع في أوائل ذي القعدة ( ١١٧٨ هـ ) فأقام بالجناز اثنتي عشر سنة حتى أحضره يوسف بك أمير الحج في ( ١٧ صفر سنة ١١٩٠ ) بعد أن استولى عليه إلى الحرم فدخل إلى بيته مرصعا فأقام فيه أحد عشر يوما ومات ودفن بالمدن الذي أعده لنفسه بالأزهر عند باب القبلى وسار في جنازته الأطباء والأساتذة والطلبة وجميع الذين استفادوا من خيراتهم ونصحه وإحساناته

### سو نيفي وسافارى

مد مرشد عشر سنوات على بعث الرحلة الانجليزية « بروس » أودعت الحكومة الفرنسية للسيد سونيني ( Sorini ) فيما بين عامي ( ١٧٧٧ و ١٧٨٠ م ) لؤلوف على الأحوال السياسية والعلمية التي احتاجتها حكومة الملك لويس السادس عشر لوضع خططها في الاستيلاء على مصر . تلك الخطة التي لم تحقق الا على يد نابليون حين غزا مصر سنة ١٧٩٨ على رأس حملته المشهورة في أواخر القرن الثامن عشر . وقد كان للسيد سونيني باحثا وعلما إنما كانت طبيعته لا تتفق مع مهمته التي باعها أجلاها الى مصر . فكان يصدق كل ما يقال له وما يسمعه ممن اخطط معهم في انتهاء رحلته ولو كان ماقبل ضد المصريين أمهم أوليالمالك . ولقد قضى معظم سني رحلته في رشيد حيث أقامت بجالية كبيرة العدد من الأجانب . وذكر للسيد « سونيني » في كتابه الذي طبع على نفقة الحكومة الفرنسية بعنوان « رحلة في مصر العليا والوجه البحري » ان شوارع القاهرة

كانت أقدر شوارع رأيا في جميع البلدان التي شاهدها وأنه إذا سار أحد المالك أو رجال الدين أو المولفين في الطريق تحم على الأهلين السائرين سواء أ كانوا من الوطنيين أم الأوربيين أن يسبحوا له الطريق ويقفوا في أماكنهم ويصعوا أيديهم اليمنى على صدورهم تحية الاجلال والمخضوع ويستمرروا وقفا حتى يذهب عن أعيانهم . وإذا قصر أحدهم في تأدية هذه التحية عوقب في الحال فيحاط بستة من القواصين ويوسعون في في الحال ضربا مؤثما بصيهم الطويلة .

ومن الرحالة الأجانب الذين وفدوا على مصر للمسيو « سافري » الفرنسي ( Savary ) فقد جاءها عام ١٧٧٧ وقضى فيها ثلاث سنوات وألف كتابه في ثلاثة أجزاء واسمه « رسائل عن مصر »

## القاهرة تستقبل الوالى

وبسط طبع القارئ أن يلح صورة القاهرة وقد خرجت لاستقبال أحد الولاة الأتراك الذين وفدوا عليها للحكم باسم الخليفة من خلال ما كتبه « سافري » كما شاهد حفلة الاستقبال في ليلة التي قضى فيها في مصر بين مايو ( ١٧٧٧ و ١٧٧٩ م ) قال : « عند ما يصل الباشا الجديد إلى الاسكندرية يبلغ الديوان نيا وصوله فيرسل شيخ البلد ( زعيم المالك ) وفداً من أذكي البكوات لاستقباله والمعاونة به يقدمون له الهدايا ويظهرون له الطاعة وفي خلال مقابلتهم يصمسون ويستطلعون نيانه وأسراره مما يستغلونه من أحواله وأقوال حاشيته ويصرمون الأمور التي جاء بها من الأستانة فلذا رأوا أنه لا يوافق أهواءهم أرسلوا بذلك رسولا إلى شيخ البلد في القاهرة فيحقد الديوان ويبلغ الباشا أنهم لا يريدونه ثم يرسل إلى الباب العالي بأن الباشا الجديد جاء بنيات عداوية تزول إلى حدوث الفتنة بين رعاياه المظلمين ويطلبون استنطاقه فلا يرضى الباب العالي طلبهم . أما إذا آنس الرسل من الباشا أن لا يخيفه منه فتهب يدعوونه إلى القاهرة فيركبه الوفود سميعة ثمة ويشعلون في حميته غيط به السفن المزينة بالإعلام وفيها الطبول والزمور ويقدم الباشا هذا الأسطول مستقلا سفينة تتخلل في صرعا تصطحبهم السفن التي تلقاهم في الليل إلى أن يصلوا إلى بولاق وهناك ترسو السفن وينتدبوا شيخ البلد بعض الساجق لاستقبال الباشا في البناء أو استقباله بنفسه فيمنته

أمراء الملوك بالعلوم ويقدمه أنا الاسكندرية (محافظ القاهرة) معانيع القلمة  
ويدهوه الى الأمانة فيها »

قال سافرى : « وقد شاهدت حتى وصول الباشا ودخوله للمدينة في موكب وزيقته  
رأيت الوكب يتقدمه فصائل الجنود للمشاة يسرون صفين وموسيقا مع أمهم وأعلامهم  
خفاقة فوق رموسهم يلهم القوسا وعددهم من عدة آلاف الى ستة آلاف قوس  
يسرون بنظام حسن و يحملون الرماح الطويلة زينهم ملابسهم للصفاضة اللامعة  
وشواربهم الكثيرة فتكسبهم منظرأ حرا يابض الروعة في الشمس . بل هؤلاء البكوات  
مرندين باللاس البديعة وحولهم حاشيتهم من الملوك يتلون صهوات الجياد العربية  
الأصيلة وعليها غواش موشاة بالذهب والفضة . رأيت أجنة خيول الأمراء مرصعة  
بالؤلؤ والأحجار الكريمة وعلى خيولهم السروج تلالأ من الذهب . وكل « بك »  
يسر في الوكب على هذه الصفة . كانت جيادهم مجمعة نابة في الروق والصفاضة زينها  
جمال القوسا وشكل ملابسهم وحسن استوائهم على متون جيادهم يلهم الباشا يسر  
الموتى يتقدمه كوكبة من مائى قوس وفرقة موسيقيين وأمامه أربعة جياد يقودها  
أربعة من السواس عليها غواشها موشاة بالذهب مرصعة بالأحجار الكريمة . وكان  
الباشا محمليا بجوادا كريما ووضع على عنقه ريشة من قطع اللباس الكثيرة جوهج  
سناها في أشعة الشمس . رأيت في هذا الوكب صورة من مظاهر الأبهة الشرقية التي  
كانت تحيط ملوك آسيا وسلاطينها عند ما يظهرون للجمهور . بدأ الوكب في الساعة الثامنة  
صباحا واستمر الى الظهر وفي اليوم التالى جمع الباشا الديوان بالقلمة ودعا البكوات الى  
حضوره وجلس على منصة فكأنه السلطان على عرشه . وتلا كفاية ( وكيله ) كتاب  
الباب العالي . صاأا الصناجق ( البكوات ) احتراماً لولى الأمر وأمره وتمهلوا  
تقديراً لالاطراض امتيازاتهم

وبعد اغتراض الديوان أهدى الباشا الى شيخ البلد كركم سمور أخرا وبوادا  
مطهما وخلع على كل « بك » قباء ( قنطارا ) وبذلك تمت حفلة تنصيب الباشا . . .  
الباشا الذى لا يستطيع بعد تلك الحفلة العظيمة أن يخرج من القلمة الا بأذن من شيخ  
البلد ! »

ولا يعد أن يكون هذا الوصف هو الذى أعد لاستقبال امبايل باشا الذى عين  
لولاية مصر عام ( ١١٩٢ هـ = ١٧٧٨ م ) . وذلك في أثناء الفترة التى قضها بالمنسيو  
« سافرى » في القاهرة وكان على مشيخها إما « امبايل بك » أو « ابراهيم بك »

## القاهرة بين البكوات إسماعيل ومراد وإبراهيم

مات أبو الذهب تنوël الأمر بعد البكوات الثلاثة إسماعيل ومراد وإبراهيم وكأول من ثمايك على بك نقانق وخروجوا عليه . كان أولم يحكم مصر في أثناء فتوحات أبي الذهب في الشام وثانيهم تولى قيادة الجيش للمصري بعد وفاة أبي الذهب . وكان إبراهيم بك حاكماً للقاهرة ولم يمر الأيام على انعدام حتى انقسموا فريقين فاستمد إسماعيل نقانقة زميله ومناظريه على مشيخة البلد واستطاع أن يتخذ مهام الأمور منزله بكل وسائل الشدة والخشونة مستنداً إلى خود الوالي . ومع جبروته كان متافسوه للمال يكفونهم القمص وعمارته المخلص منه فألقوا في إبعاده عن مصر إذ فر مع أتباعه إلى الشام وبذلك خلا الجو لمراد بك وإبراهيم بك . واقسم أمراء مصر إلى قسمين : قسم قيل لهم المحمدية نسبة إلى عبد بك أبي الذهب وقسم يسمى الطولية نسبة لعل بك الكبير . وقد كان هذا الانقسام سبباً في هن وحروب ومكائد . وأحسن الطولية من مراد بك بالشر فجمعوا ونحسوا في حوش الشرقاوي وألقوا للتاريخ في جبة باب رويطة وباب الخرق والسرورية . أما إبراهيم بك فقد تحصن بالقلعة وصوب مداده على أحياء الطولية اثنين وعشرين يوماً بينما كانت جنوده تهجم على أتباعهم في الحارات والحدوب تغربوها . فاضطر الطوليون لفرار إلى الشرقية قسبهم أعدائهم وأقنوم عن آخرهم إلا القليل

وساد سكون وقتي وأقر الصلح على أن يسلم إسماعيل بك المهم وأعمالها ووزعت على بعض أتباعه مطلق لا يسطرونها . ولكن بعد قليل انقض الصلح وحدث الأمور إلى سابق مجراها وازداد اللؤلف تمقداً إلى أحدثته للنافسة بين الزعيمين إبراهيم ومراد ووقعت جيوش كل منهما أمام الأخرى بالرصاد . جوع مراد في الحيزة وجوع إبراهيم بك في مصر القديمة . واستمرت الحال عشرين يوماً بين قصف للدافع وأبرز الطلقات واشتد البلاء المالحى حتى عقد الصلح بين الأمرين . نغنى أمراء حزب إسماعيل ماقية هذا الصلح وهاجروا من مصر فسبقتهم جيوع إبراهيم ومراد وبعض قوات الحرب من خلف الجبل وقطعوا الطريق عليهم وقطعوا مهم عدداً كبيراً جداً ولما عدوا وضوا أيديهم على ملاكهم وأموالهم وأولادهم . وبالصخلص من إسماعيل بك عاد القعودا ية بين الزعيمين حتى سى بينهم بعض المشايخ والأمراء واصطلمة ثانية

وكانت سنة ١١٩٩ هـ من أسوأ المنيع التي عرفت مصر فاشترى وياه الطاعون وانحصر الليل واقطعت الطرق وخرت أقاليم بأثرها واشترى القلاحون في القاهرة بنسائهم وأولادهم صمغون من الجوع ويأكلون ما ينساقط في الطرقات من قشر البطيخ وأوراق الشجر. واشتد الكرب حتى أكلوا للينة من الخيل والحمر والجمال مما كان الأمراء كما دهم يهبون المدينة ورجلهم يسطون على الأرياف كأنهم لا يشاهدون أمامهم تلك الكوارث التي ختمت الأكياد. وكثرت حوادث الاعتداء على الأوربيين فأرسلت الدولة العثمانية عام (١٢٠٠ هـ) حسن باشا القبطان على رأس جيش عتاف جاء عن طريق البحر أي به عددا كبيرا من قوات الماليك في رشيد والإسمانية. ودخل القاهرة ونزل في بيت إبراهيم بك عند قصر الصفي على شاطئ النيل وعكف على إصلاح الإدارة. ثم استقدم اسماعيل بك وزميله حسن بك المنداري من الصعيد فأرسلهما في جيش بقيادة عابدين باشا ودرويش باشا قائد الحملة العثمانية التي جاءت مصر عن طريق البر للقضاء على مراد بك وأتباعه في الصعيد فهزمهم وظلوا تبعهم إلى الشلالات ثم عادت الجنود العثمانية منصوره إلى القاهرة

في تلك الفترة تقلد ولاية مصر عابدين باشا وانتهت مهمة حسن باشا القبطان. لكنته قبل مبارحته القاهرة أقام عليها اسماعيل بك شيخا البلد. شهد هذا إلى صديقه القديم حسن بك المنداري بأمره الحج وانقضا معا على اقتسام الأيراد. ثم أكل اسماعيل بك بناء قصره رشيد به مقمنا لم يكن له مثيل في مقاعد بيوت الأمراء (١). وفي عام (١٢٠٥ هـ) وفد على مصر وياه الطاعون وكل من شيعه الوطاة بلغ عدد موته نحو الألف في اليوم الواحد في القاهرة وحدها وتقلد حكمها في يوم واحد ثلاثة حكام وفي كل بيت اسماعيل بك. وقد أصيب بالوباء وتوفي. فتنازع على مشيخة البلد حسين بك المنداري وعلى بك القنديل وانقضا فيما بينهما على تأميمه عثمان بك طبل فسكن بيت سيده وتولى مشيخة البلد أيضا قلائل ثم سلمها لخصومه. وفي تلك السنة خلف عبد باشا عزت الوالي اسماعيل القنيسي. فلم يمدح إبراهيم بك ومراد بك فغخلا القاهرة في (١٢٠٥ هـ - ١٢٠٦ م) وفر حسن بك المنداري إلى الصعيد واستلم الأتقان أزمة الأمور بالتناوب أحدهما مشيخة البلد وتانيهما أمارة الحج

(١) ذكر الميرزا ابن اسماعيل بك شيد في طره على شاطئ النيل قلعة رجل بها مساكن وعطون وأربابها وابنة أغوى حصن القلعة إلى الخليل



وفي تلك السنة أشيع بين الناس أنه في ليلة السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى في نصف الليل سمعت رثلة قوية تستمر سبع ساعات . طما كانت الليلة للذكورة خرج أكثر الناس إلى الصحراء وإلى الأماكن القبيحة مثل بركة الأبركية وبركة القبل وغيرها وزلوا في السبع وأثروا ينظرون إلى الصباح . فلم تحدث رثلة وأصبحوا وم يضاحكون على بعضهم

وكانت يوم غيمت السماء كثيفا وهطلت أمطار غزيرة مصحوبة برعد شديد الصوت وبرزت مناجى قوى العان واستمر طول ليلة الجمعة الخامس من شهر صفر سقطت النور القديمة على ما كتبها وزلت السيول من ناحية الجبل الأحمر فلات الصحراء وأخرج باب النصر وامتدت إلى جهة الشمالية وجامع الحاكم إلى مساكن بعيدة في الحارات المجاورة وغرب بسبب البناء أكثر خطوط المسكنة وصادف ذلك اليوم دخول الحجاج إلى القاهرة فأظف مواكبهم وأخذ السيل صيوان أمير الحجاج بما فيه وخيام الأمراء والسكباء . وامتلات الحركات بالبناء وهدمت مئات القبور ونحوها خارج باب النصر إلى بركة عمدة كبدية

## القاهرة بين الأميرين إبراهيم ومراد

في أيام سطوة إبراهيم ومراد الأولى استأنف «سليم أغا» مستحفظان منهما في فتح الباب الكبير لجامع السلطان حسن المواجه لسوق السلاح وهدم الحوائط التي اشئت بأسفله وكان قد سد إحدى ومخمين سنة بسبب للمركة التي قتل بها أحد عشر أميراً من الأمراء عبد بك الدهر دار (١١٤٩ هـ) فأذن له بما أراد . فقصده نفسه إلى الجامع راكباً ومعه القعدة والصباع وفتح باب المستودع وصنع له باباً جديداً وبنى له درجاتاً واسعة ومصاطب وأحضر نظاره وأمرهم بالعرف عليه . وكان يأتي كل يوم لمباشرة العمل بنفسه وأصلح سبدهم من أجزاءه وحطف جدرانته ورخاهه وأطد إليه سابق روثه وجماعه على أن لا تمقف على شيء من آثار مراد بك أو رميه إلا ما وصفه بعض الكتائب الأوربيين عن قصورها الجميلة . فقد قدم إلى القاهرة «فيان دنون» بعد استيلاء الفرنسيين عليها عن طريق رشيد وألف كتاباً عن رحلته وصف فيه ما كان في قصر «مراد بك» بالجزيرة وصفاً دقيقاً بما فيه من طرقت وبساتين وأثاث . وكان القصر يشغل مساحة كبيرة من الأراضي التي عطلها اليوم حدائق الحيوان والقصور الطيفية

المواجهة لما وقل أن يجد المرء معجزة لهذا العصر عبر في الواقع فترة من تاريخ مصر لم  
تسجل لها حداثات تستحق الذكر بل كانت اضطرابات وقلاقلها أكبر مبدء الحوادث  
التي أدت إلى نجاح الحملة الفرنسية

كانت مصر مرعقة تقدم للأميرين مشاهدات أهواؤهم من المال وخيرات وكان اتباعهما  
يمرحون في المدن والأسواق يدخلون المحلات والوكالات ويهودو يسرقون ويحطفون  
ثم يقتلون ويمرحون ويولون الأندار . . إن تاريخ تلك الحقبة في الزمان وصحة سوداء  
في تاريخ هؤلاء الممالك الذين اتاحت لهم أسوأ الأقدار للتصرف في أمور مصر والتسلط  
على حكم أوطانها

فلقد نتجت حوادث الخراب حتى مات كثيرون من الجوع ليلا ونهارا في الطرقات  
يتناكفأ وحدهما بسطراب وشعران النسيم . وفي تاريخ الجورق من حوادث عام  
( ١٢٠٦ هـ - ١٧٩٢ م ) وصف حلة زواج ابنة ابراهيم بك « عذبة هامة » بالأمير  
أحمد ابراهيم بك المرحوب بالوالي أمير الحاج ساغا وأنه عمر لها بيتا خاصا بجوار بيت  
الشيخ السادات وأسرف أربحا في جهازها وشراطيلها والجواهر وغيرها من الأواني  
الفضية والذهبية . وأقام ليالى الأفراح بركة الليل حيث نصبوا أمام بيوت الزعماء  
المسوارى الكبيرة واللاهي وأصحاب الإلالب وقد دعا ابراهيم بك الأعيان والأمراء  
والشجار ودعوا للموسم آتبع الهدايا . كما دعى أيضا « الباشا » فزل من القلعة وأهدى  
للموسم جواهر ومصابغ قيمة . وأقيمت حلة العرس في رابع المحرم وخرجت  
للموسم من بيت أبيها في عربة عجيبة للشكل وسار أمامها الكتائب والأمراء

وحد انتهاء الأفراح بمبايحتها وأغابها خرج الأمير إن مراد و ابراهيم من القاهرة  
مع بعض أمرائها الى جهة المادلية حيث أقاموا مدة ومبا قصد « مراد بك » ناحية  
أبي زعبل وقصد ابراهيم بك وجماعته ناحية الجزيرة . وفي أثناء خروجهما نهب  
اتباعهما ماصادفوه من الغراب وجمعوا على الوكالات التي باب الشسرية وأخذوا ما  
عثروا عليه من الجمال والخير ولا وصل مراد بك أبي زعبل بب عرب الصوالة في  
خيماهم واستولوا على أغنامهم وقتل منهم نحو خمسة وعشرين شخصا ثم قبض على مشايخ  
أبي زعبل وحبسهم وفرس عليهم غرامة أحد عشر ألف ريال

وفي أيام مشيخة الأمير بن حصر الصدر الأعظم يوسف باشا للأسكندرية متوجها  
الى الحجاز صلى الأمراء باستقباله . ولا وصل القاهرة أعد له قصر البني وذهب

ان مراد وابراهيم لقائه في موكب عظيم تطلع عليهما خطايمية وقدم لهما جوادين . كذلك ذهب إليه الوالي مسلما عليهما ودأ إلى القلعة . وعين لحراسته عبد الرحمن بك فيمى وخصص 4 البيت للمواجهة قصر العيني . وبعد أيام صعد يوسف باشا إلى في موكب كبير وعاد إلى قصره محملا بالهدايا التي تقدمها إليه الرعيان وكانت عمالة قمع ومائة أردب أرز وأقمشة هندية . ولما انتهت زيارته سافر إلى السويس منها إلى جدة

، الوقت الذي كانت فيه مظالم الأمراء توالي كل مراد بك يشيد قصره العظيم بزة ووصفه وصفا بلغنا الكاتب الفرنسي « فيمان ديون » في كتابه قد ذكر السي « مارسل » ( Marcel ) المستشرق ومدير المطبعة التي أحضرها إلى مصر أن مراد بك فرض ضريبة كبيرة على اليهود ولما كانت قبيلة بل عنبها تلك الطائفة اجتمعوا زعماءهم وتناولوا في الأمر وقرروا بهم ارسال ن للاجتماع مراد بك واقناعه بأن عمرو بن العاص لما شيد جلسه دفن في أرضه عظيمًا فرغ مراد الضريبة وأمر في اليوم الثاني بترميم الجامع وكان غرضه الخفي به عن هذا الكفر الوهم . ولما تهدم الجامع ولم يجد شيئًا اضطر إلى إعادة بناء ع وصرف عليه أموالا عظيمة فأقام معظم أعمته وشيد منارتيه وجسد جميع بالخشب ويبيض جدرانه قم على أحسن صورة وصليت به الجمعة في آخر رمضان ١٢١٢ هـ وحضرها الأمراء والأعيان والفقهاء وأعلن قبله الرضاية لوح به فيه آيات من الشعور منها :

أنظر لمسجد عمرو بعد مدرست رسومه مبارمكي الكوكب الزاهي  
ثم الوزير الذي قد جعده مير الهواء مراد الأمر الثاني  
زلى أحد أبواب الجامع القوية اسم مراد بك طريح ١٢١١ هـ وستة آيات شعر منها :

أحيا لنا ربنا طاعة وكان من قبل مصباحها ضلطي  
واخص بناه وللعلوت غلوا من أجه قلصرت الباع في أسد

## ثقافة القاهرة في العصر التركي

كان الأزهر للمهد الوحيد الذى درست فيه العلوم ولولاه لاطفأت آخر شعلة العلم في مصر . ظلت الآداب العربية إلى عهد السلاطين البحرية والجزا كسة حافظة مكانتها التى كانت لها من قبل . وإليهم عاد الفضل في إحياء آداب اللغة العربية من غزوات المغول التى كادت تهبط على العلوم والآداب العربية في الشرق . وكانت مصر ملجأ الناطقين بالهند من فروا أمام الغارات في العراق وفارس وسوريا وخراسان واستظلت العلوم والآداب برعاية الملوك والسلاطين في مصر وبنح فيها طائفة من فطاحل الشراء والادباء والسماة كالبيروني صاحب القردة والمراج الوراق وابن بانه المصري والفقه شدى صاحب صبح الأعشى والأشبهى صاحب المستطرف وابن منظور صاحب لسان العرب وابن هشام النحوى وشمس الدين السكاوى صاحب الفوه الفلامع وابن خلكان للزوح صاحب وفيات الأعيان والسنن للزوح والمحدث وابن دقاق المقرئى صاحب المخطط وأبو الفداء الجغرافى للزوخ والفقيه والنورى صاحب نهاية الأرب وابن تيمى بردى صاحب النجوم الزاهرة وجمال الدين السيوطى والدميرى وابن إياس للزوخ الذى أدرك الفتح المماني

واستضافت مصر في ذلك العصر جماعة من أئمة العلم والفلسفة في الشرق كالامام ابن تيمية وفيلسوف المؤرخين ابن خلدون

أما في عهد الولاة السنانين والبكوات للمالكة فقد اصحمت الآداب العربية ووجدت القترائح . كانت القاهرة مدينة خليفة المسلمين وعاصمة دولة مستقلة ومن الشرق العرب فأصبحت حاصمة لولاية تابعة للأستانة وصارت غناطات السلاطين والولاة بالمالكية بعد ان كانت العربية لسان الحكومة حتى نهاية دولة السلاطين والشراسة كسة واندرت للندارس التى كانت زاهرة في عصور الفاطميين والأيوبيين وخلفائهم السلاطين البحرية والشراسة كسة وتبددت خزائن الكتب التى أنشأها الفاطميون ولم يبق منها الا بعض المكنيات للمصنفه بالمساجد ككنية الأزهر التى احتوت إلى عهد الحق القرسية نحو ٣٣٠٠٠ مجلدا . وآلت بعض للندارس النضبة والياقى العظيمة إلى روايا صغيرة تراها مغلقة في أغلب الأيام وبعضها زال وصارت زرائب أو أحواشا يسكنها البائسون

وقصارى القول أن العلوم والآداب اصحمت كثيرا في العهد المماني ثم ينبغ فيه

إلا عدد قليل جدا من الشعراء والأدباء والمعلماء على أننا لا نذكر نرى من يستحق الذكر منهم سوى شهاب الدين الخفاجي والسيد عبد مرتضى الزبيدي العالم القوي المشهور صاحب تاج المروس في شرح جواهر القاموس . وعبد الرحمن الجبري الموزع للشهود ولو تأملت في تراجم من ذكرهم الجبري في تاريخه من علماء ذلك الصالح لما رأيت منهم من يصح عنه عالمنا في الفلسفة أو العلوم أو الآداب . واقتصر التسويص في الأثر على العلوم التقنية والصنافية وطل تعليم العلوم العقلية والرياضية والطبيعية التي كان يدرسها أسلافهم . واعتدل أسلوب الكتابة حتى قرب من العامة واضمحلت روح البلاغة ولم يبق في تناول المجهود من آثار الآداب العربية سوى قصص أبي زيد اللؤلؤ وعقبة والزناي خليفة . وتضاءلت مكانة الشعر والأدب لحد أن كلمة «شاعر» كانت تطلق على جماعة يجلسون في القهوات ويقفون على مسامع الجماهير قصص أبي زيد والظاهر يبرس ويشدونتها على خيل الرباب !

## هل تطورت القاهرة خلال الحكم التركي

هل استغادت القاهرة في أثناء الاحتلال العثماني وهل امتدت مساحتها وازداد عمرانها ؟ إننا نجد جوابا سلبيا واحدا على هذين السؤالين . فقد تدهورت القاهرة وخربت في أثناء حكم العثمانيين . وعلى كل حال فإن نظرة واسعة إلى خريطة تخطيطية للقاهرة عتقنا دخلها نابليون وأخرى تخطيطها في أول الاحتلال التركي لكيفية بآفتاتها بأن ستة الف والارقاء لم تفسر عليها في عهد العثمانيين

دخل الأتراك مصر فوجدوا لها محمية زاهية عبيدنا حصفت نفسها مركزا ساميا بين عواصم الدول الشرقية والغربية فكانت مكانة القاهرة لا تقل عن مكانة الأستانة . ولم يكن مر عليها أكثر من ستة قرون منذ انشائها بجوهر . ووجد الأتراك مدينة منشأة زدهم بالقصور والمعابر والمساجد والوكالات والمدارس والقلاع فكان من المنتظر أن يزدها ويطبقوا فيها لكي تصبح جوهره إمبراطوريتهم العظيمة لكنهم أهملوها وأذلوا بها لأن كانت لها هيئة عبيدة

أنشأ الفاطميون القاهرة وجعلوها بابتكاراتهم في فنون العمارة وجاء الأيوبيون فحفظوها بالأبواب والأسوار القوية وجعلوها عاصمة جديدة بملكهم الواسع حتى إذا جلس على عرش الدولة سلاطين المماليك البحرية ظالمين الجرا كسراً بآفاتهم فانسون . . . السلطان

عقب السلطان . . . في تجميلها ورفع شأنها وأصبحت مهيمنة زاهرة للعالم الاسلامي  
ومقرأ غليظة للمسلمين

ولكن عمل باضاح عوامل الخراب التي شوهت آثارها بالقاهرة قبيل دخول  
الفرنسيين فتح السائح الأجنبي الذي وصل على ظهر السفينة النيلية إلى ميناء بولاق التي  
تحت بدون اعظام أمام الزوارق والسفن التي كانت ترسو أمامها . كانت بولاق تمتد  
أربعة كيلو مترات طولاً بدون عمق يذكر أشبه شيء بمدينة صغيرة معزولة احتوت في  
أواخر القرن الثامن عشر على ملا يزيد عن أربعة آلاف بيت وعشرين ألفاً من السكان  
واشتملت على عدد كبير من الوكالات والشون والمخازن والحمامات والأسواق بمحيطها  
بعض المناظر الجميلة والحضائق الرائعة وتلال من المواد التي يفر القوق السليم منها والمقابر  
للبرقة . ولقد تمت بولاق بنعيم الرخاء في أثناء منتصف القرن الثامن عشر أيام ولاية  
علي بك الكبير فكانت مقصداً للخاصة وملقياً للأعيان لاستنشاق نسيم الليل العليل  
بيداً عن غير القاهرة . لكن لم يمتنع ليلي بك الوقت لكي يجمع ما بدأ به من مشروعاته  
العمرانية في تلك الجهة فقد شغل بحروبه في سوريا وبلاد العرب واستمرت أعمال  
الحفر والأقباض تتوغل فواجباً وتحرقل تقدمها مدة ليست بالقصيرة

وحول بولاق من الجهة للقبالة للهر انخرشت الحقول الخضراء للتنوعة وهي تكسو  
أنخصب بقاح وادي النيل تنظيها مياه الفيضان بيجان ودعة  
وابداً من بولاق طريقان يؤديان إلى القاهرة . الطريق الأول زرع على جانبيه  
أشجار النخيل والتفاح انتهى أمام باب الحديد حيث كانت ترى إذ ذاك بقايا ميناء الملوك  
القديم

أما الطريق الثاني وهو أقصر من الأول فكان خلواً من الأشجار ينتهي بسالكه  
إلى الأربكية . وكانت تطل عليها من الجانبين المحوانيت والبيوت المأهولة بالسكان .  
واجتمعت على طرقة الطريق جموع الحولة والنعوذيين يسلمون ربانهم في اللقائى بينا  
ينسى للشراء على الرطب والخبز أو الخاى

بعد أن قطع السائح ما يقرب من الألف ومعمهاة مع مجده فسه أمام حدود القاهرة  
الأصلية . . . لقاهرة القاطنين . فيجتاز القناة النيلية مستأجراً البحر فيا يشبه ضاحية  
المدينة ثم يقابل سوراً شاهقاً أمام بوابة ضخمة يحدها خندق متوسط العمق ثم يرسى في  
شارع ضيق مزدحم قاصداً إلى الأفرنج . ويصل هذا الشارع بين بركة الازر بكين والخليج

وعند نهايته تجده مسدوداً ببوابة حديدية لها حراس أقوياء . وأرغمت اضطرابات تلك  
 الفترة أجناب القاهرة على أن يجتمعوا في ذلك المالح حول قنصل فرنسا بساكنهم ومطاعم  
 لياؤنا شر الفروغاء أو الجند عند مطا لبيتهم بمؤخرات صرتاتهم . وكان أم شوارح القاهرة  
 شارع الموسكى وبالقرب منه قنطرة بذلك الاسم شيد بها عز الدين موسى أحد قواد صلاح  
 الدين . وكان حتى الانفرج موطناً لمعظم السياح الأوربيين والرحالة الذين جاؤوا الى مصر  
 لزيارتها . وكان ذلك المالح من القاهرة في أيام الفريضان من أجل مناطق القاهرة تشرف  
 منافذ بيوتها على المياه من كل جهة وتمتكد من حدائقه بأشجار النخلة والرايحين والزهور .  
 فلما أقبل فيضان النيل تحولت البساتين الى بركة جملة تهادى عليها الزوارق المستاءة  
 بشفة ورشافة يزيد بها ملاحه أثنى النورق تحت ضوء القمر للتمش . فكان القاهرة في  
 ذلك الوقت « البندقية » عربوس الأحرى باتيك . وأشرفت على البركة من جوانبها الثلاث  
 قصور للمالك والأغنياء ذات البوابكى والأعمدة للنفوس والمنصهرات للشفة . وكان الجانب  
 الرابع من ميدان الأربكية محوم عليه بسض بقايا قصر زوجة قايتباى حتى أوائل القرن  
 الثامن عشر . وانخفضت خلف هذا الاطار الخليل مجموعة سبعة من الخرائب وللداقن  
 وطاحوة مهذمة وصهرج كبير وساقية وسيل مياه وأغراض . وعلى الجانب البحرى  
 من الميدان قام المالح القبطى ببيوته المتواضعة وشوارع الضيقة ومتطفاهه المظلمة كهذه  
 التى ملزنا نراها فى أزقة مصر الحقيقية

وفى طم ١٧٧٤ شئت حريقى خربت جانباً كبيراً من الأحياء المحيطة بالأربكية .  
 فانهز الأغنياء تلك الفرصة واشتروا بممتلكات الفقراء الذين لم يقدروا على إعادة البناء  
 وبدأ أصحاب الأموال يشيدون البيوت الوجيبة التى قامت على أنقاض بيوت الفقراء .  
 ومن ذلك اليوم بدأت أفاق بركة الأربكية وتفنن بمسناها القنان ومنظرها البديع الشعراء  
 والأدباء وعظماء الخيال والرحلة من الانفرج

واذا عبر السائح الخليج القاهرى الذى يحى اليهود بمحله شرقاً بين القصرين بنوغر يا  
 حتى الانفرج وشمالاً بيا سور القاهرة حيث بوابة القصور والقصر وهو مطهما جامع المالح .  
 وعلى مقربة من الباب الأول مقبرة باب النصر . وقد هددت تلك التحسينات الأماطار  
 النزرة التى تساقطت على تلال المقطم فهدمت بيوت الفقراء  
 وفيها وراء السور للقاهرى من الشمال شيد قراء للمالك طاقمة كبيرة من البيوت التى  
 انصصت بالسور فانخفضت مساهة فى تلك الجهة . وتكون الانفرج حتى الحسينية وما كاد

ينمو حتى وصل الأتراك الى مصر فغزوه تخريبا . ولكن بعد مضي زمن عمر الحى مرة أخرى . وما ساعده على التمهوض شراهه على الخليج من جانب الغرب وكثرة البساتين التى أشتئت على بركة الرطلى . ولم يبق جامع الظاهر خارجا عن حدود المدينة فقد امتدت اليه العمارات وبنا على ذلك الحى طابع ارسقراطى

هذا التوسع كان فى غربى الحسينية . أما فى شرقها فكانت لا تزال للسكان الوضيعة ياتية بالقرب من مدافع باب النصر ويحاط بها تلال القادورات للقراكة عند أجيال لم يصب قلب القاهرة تطورا أو تنحير فقد ظل على ما هو عليه حتى أواسط القرن التاسع عشر ولم يترك صفو ساكنيه سوى مبارك الجند والملايك كلها اشتاقت أمرتهم اليها . وكان أصحاب الحوانيت والوكالات اعتادوا هذه الحال . فكانوا إدارا أو اطلاقا الحركت العناية تضم نحو الحى أغلقوا أبوابها تجرم على أن تظل موصلة حتى تزول العاصفة وتعود الأمور الى نصابها

وإذا نأى السائح مسيره للجنوب عابرا باب زويلة تاركا خلفه مسجد للأوبى سارقى قسبة رصوان واحتلها الى الغرب بلحى ليدان الرملة أو اعرف الى باب سادقة قاصدا حتى باب الوق

والظاهر أن حتى باب الوق لم يصب ما أصاب الأحياء الأخرى من التخريب والفساد . كانت تحيط به من شماله حلة برك ومن جنوبه مدافع ومن شرقه مجموعة من الدروج وبركة الفراجين . واشتمل هذا الحى فى وسطه على ميدان واسع ظل عليه قصر الأمير يشيك ومدرسته التى عرفت باسمه كما غابت بعض المرافق ويوت القهوه وأما كن يجمع فيها أهل الشعودة . وكان حتى باب الوق يشبه جزيرة مستطيلة مفزقة عن المناطق المتصدعة القريه منها وأما ربحية أهل وكثرة عدم

أما جنوبى حتى بلاق فكان للمارسين المقابر والمزارع وعلى يساره اعتداد المدينة عازيا الخليج للسكك مزا بين بركتى السقاين وأى شمة . فلذا اجتاز قطار السباع رأى الخليج الخلف نحو الغرب متصلا بحراه الى الحقول التى لا تبد كثيرا عن قصر العيني . وكان هذا القصر منذ أربعمائة عام مقرا لعماليسه ثم أضيف الى بناءه الأصل مسجد . ثم شيد مدفن لعين واستخدمه الأتراك عند وصولهم لمصر قصرا أقام فيه من كانوا يرون بالقاهرة . وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر ازدهم حتى السينة زيبى بالسكان وكان يخدمه الخليج من الغرب بركة النيل من الشرق وأطلال الأثرية والاقاض من الجنوب



واسجدت منطقة بين بركة القليل والقلعة . . . حتى ابن طولون . مركزها جامع ابن طولون القائم على جبل يشكر . وكانت تملأ أحياء كلها ازدهت الاقراض وأقيمت بقايا الخراب . وبالنسبة لأهمية أكلت جبل يشكر من الناحية العسكرية في ذلك الوقت أصبحت مفتى الطوائف السياسية ووكرا لاجتماعاتهم . وكان أغلب سكان تلك الجهة من الفقراء والمقاتلين أولئك الصبيان ومعظمهم من سلالة الطوائف الشركسية وتسماء الأتراك . وبالإحصاء ظن هذا الحى في مجموع لم يضر الاقليلا عن حاله التي كانت عليه منذ القرنين الوسطى اذا استثنينا بعض الجهات القريبة من القلعة وجمع السلطان حسن فقد اخفى سكانها الأغنياء بعد ان اقرعهم حركات للشاغبين المستمرة . وفي ذلك الحى ميدان الرملة وحول جمع السلطان حسن وقره ميدان قامت الحوايت القوية تستند على جدران القلعة أو جامع السلطان حسن كما كان يقصدها التجار للتشؤون الذين يدفعون أمامهم عربات الأبدى . وبحوال الأيام تحولت منازل الأغنياء إلى أحواش سكنها الرماح . أما اغنياء الحى فقد هجروه إلى منطقة بركة القليل أو الأربكية التي أصبحت القرنين للفصلين لدى الأمراء والخاصة

وفي ذلك الزمن كانت القلعة دائما مدينة قائمة بذاتها تجمع بركة مستقلة لها مساجدها وميادنها ويونتها وحماماتها ومقابرها . فيها يت لقال ومأوى الباشوات وفرقة العرب ورجال الانكشارية . هذه القلعة للتنية التي بلغت ما بلغت من المجد والشرف في أثناء حكم سلاطين المماليك بدأت تتخذ بالتدريج مكانتها الأولى . . . نتيجة لاممال حكمها من الولاة الأتراك الذين كانوا لا يستقرون بالبلاد مدة حتى تعلم أوامر الياسلغالى بالعودة أو يخلد ولاية أخرى من ولايات الاميراطورية العثمانية . وفي غالب الأحيان كانوا يتسلمون أوامر العزل أو فصل الرأس اظم يكبد يتهى القرن الخامس عشر حتى آلت أكثر مشاآت قلعة الجبل إلى الخراب . ولما زار « سافرى » ( Savary ) القلعة في أثناء القرن الثامن عشر قال عنها : إنها لا تتألف الا من مجموعة خرائب وانقاض مخرنة ولم يبق منها سوى بعض أما كن قليلة صالحة للسكن . وفي صورة صادقة المدينة العظيمة التي تشرف عليها :

« Elle est l'image fidèle de la grande ville qu' elle surplombe. »

## مهرجانات القلعة

كانت تمام في القلعة للمهرجانات الرسمية لاستقبال الولاة أو حفلات الأعياد القومية والدولية كثيرة شهر رمضان وللولاء القوي ووقاء النيل كان الولاى العالى جريا على العادة إلى ألقها البلاد يحصل بزيادة النيل فيبدأ للوكب الرسمى من القلعة في صبيحة يوم الاحفال ويذل مع حشبه إلى بولاق حيث تنتظره سفينة مزينة أعدت له واستأجده وأمراته أمام دار صناعة السفن فيذل هناك بها ويقلع في حفلة السفن تبعه سفان الساجق ونضرب المدافع حتى يصل إلى القياس بالروضة . وكان يتم هناك يوما أو اثنين حتى ينتهى الاحفال وتعمل المراسم النفيسة ويحدث من التصف والبهو الشيء الكثير

وفي اليوم الذى يريد فيه الولاى فتح السديد تعاملوا قبل شروق الشمس الساجق وللجواريشة للضفة وغيرهم من الجند ويشترك في الحفلة قاضي مصر . وبعد الانتهاء يخلع الولاى على كاشف الجزيرة ( مديرها ) وشيخ عرب الجزيرة وحاكم القاهرة وبولاق ومصر القديمة وأمين الشون وحاجى بلنا وأمين البحرين وناظر الحسية وغيرهم .

ثم يذل مع قاضي السكر والساجق في السفن النيلية تحرق أمامه طول الساجق إلى أن يصل للسدي فيقى ثم يصعد من السد إلى القلعة في احتفال شاق

والى الطرف الجنوبي من قره ميدان والى الشرق من بحرى العمون للشهيرة كانت تقوم إحدى برابك القاهرة للؤدية إلى « القرافة » . وكان إلى شمال القلعة طريق مقرب يؤدي إلى حى باب الوزير ومته إلى مدينة الأموات

## الخاتمة

رأينا القاهرة في خلال القرن الخامس عشر فقدت أم عنصرين لماكانها الحقيقية وسكانها . فقد زلت عن عرشها مضطرة للاستاة وتنازلت عن أهميتها الروحية كقهر غلبة للسلعين . ولقدت أهميتها التجارية وأصبحت إحدى مدن ولاية كبيرة وكانت صاحبة سلطنة ذات سيادة . فصارت ضئيلة في أمين الشرق والقرب كما أنها لم تعد أكثر من مدينة قديمه ذات آثار فيستقرز كريت عجيبة . وحطت على أرضها الأوتة والمباجات وأصبحت فرسة لتطاع الطرق والممرور ولم يحتفلها من فة العناية غير الصالح العظيم عهد على بلنا

# فنون وآثار القاهرة العثمانية

( ١٥١٧ - ١٧٩٨ م )

قلنا بمعدل أحسن  
المسفر في الدين يشعلون  
في دراسة المارة الإسلامية  
في القاهرة أبحاثهم تمتد  
للعصر المملوكي مهم يعتبرون  
أن معظم الآثار التي  
شيدتها العثمانيون في مصر  
غير جذيرة بالغة ومن  
هؤلاء من يقول بأن  
طراز تلك المشيدات لا



يخرج عن طراز أبنيتهم  
تأثروا داخل بيت حمري « دار الإمارة »  
في إستانبول . فهي من هذه الناحية « عثمانية » محنة ليس ثمة كبرية علاقة بينها وبين  
الطرز الفنية التي شأت على ضفاف النيل وأكبر طلي أن في الفكرتين شيئا من الشطط  
وعما لا شك فيه أننا إذا نظرنا إلى بعض مشيدات القاهرة التي يرجع تاريخها إلى  
عصر الاحتلال من حكم المماليك وفتح العثمانيين وجدنا أمورا جديدة طرأت على طراز  
المعمارة التي كانت شائعة إذ ذاك . فهي ليست عثمانية من ناحية الشخصية كما أنها  
لا تندرج من الناحية الفنية . ولدينا من أمثلة الماني التي تعبر نمادج بارزة للمعمارة في  
العصر المملوكي مسجد خير بك ومسجد أمير أخور ومسجد بيرس الخياط  
وإذا اعترفنا أن سلاطين المماليك كانوا حقيقة قساة ساء كي دماء من لا يستطيع  
أن ننكر أنهم كانوا غزاة أقوياء لحسم نلاط من زهرة الأمراء للفرين بخلدوهم في  
شجعدهم وشمعلون مثلهم الآداب والقنن برطية سامية وعناية كيرة فلما انتهت

دولتهم وضاع استقلال مصر صار حكمها الى ولاية كل من يمشيهم سلطان الثنائيين  
لا يجمعون أكثر من لقب « باشا » ليست لهم صولة ولا قوة يزولون ويسبذلون بكلمة  
منه لا ينظرون الى خير البلاد بمقدار ما ينظرون الى خير أنفسهم

ودام الحال على هذا التوال حتى قبض على فاضية الدولة محقق أمل مصر - ذلك  
البطال العظيم جد على باشا فانتشرت في أيام حكمه البلاد للصرة وخلق لها مكانا ساميا  
بين دول التاريخ وأطرد إليها سائر مجدها كما أوجد لها مكانة محترمة

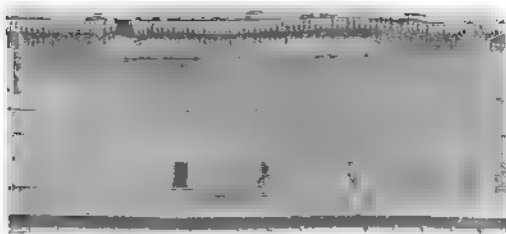
ويذهب كثير من المؤرخين الى أن الثنائيين لما قصوا مصر ودخلوا القاهرة  
عملوا على تهوير حوزن البصرة القاهرية مع أن الحقيقة التي يدركها كل مطلع على التاريخ  
للصري دلت على أن الأيام الأخيرة للحكم للملوك كانت مشبعة بجزائيم التهوير  
والاعطاط والآثار التاريخية خير دليل نستشهد به على ذلك

جاء الثنائيون وقد حملوا معهم أساليب جديدة فن البصرة . وعلى الأخص عمارة  
المساجد . وكان أم شيء في الوضع الجديد انقضاء القباب والافنية ذات الأروقة  
الستتمة من بناء الكتانس في الفن البيزنطي . وأول ما نلاحظه في التصميم الثنائي  
ذلك البهر الذي تطبق فيه يحيط بها نصفين أو أربعة أنصاف منها . ثم تلك  
المادة المشوقة الرقيقة ذات الشكل الأسطواني المنتهى بمخروط . وهذا الطراز الجديد  
المختلف لتقاليد البصرة القديمة اخص به العصر الثنائي في مصر فأصبح من أهم مميزاته  
وأصبحت القباب تنفذ في وسط المساجد بعد أن كانت إشارة الأضرحة والمقابر في  
الزمن السابق . وقبلنا نجد عمارات فيها آثار دقة الصنعة للعبادة في أيام المماليك  
الجزاكسة . وما نجد من أجنية فيها بعض الإبداع والإيمان إنما يرجع الى القرن  
الأول من حكم الأتراك في مصر مثل حبل خمر و باشا بالنتاسين . ومن بعد هذا  
المصر صار الفقر في الأساليب للبصرة يزداد وضوحا على مر السنين

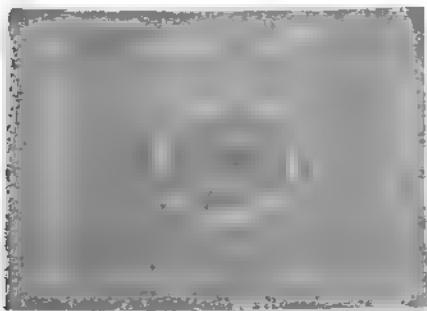


شيد في القاهرة في أثناء العصر الثنائي كثير من المساجد . أولها مسجد خير بك  
الذي دفن فيه بالخر بكية بجبة باب الوزير . وكانت أرضية هذا المسجد مربعة نحو ثلاثة  
أحاط وعفروشة بلخام الملون . ومسجد سارميا قلعة ومسجد المحمودية وجميع الستانية  
يولاق ومدرسة الملكة صفية ومسجد البردي التي لا نفى صيغته البديعة وأوصده  
للتنق وميناه الزرقاء والخضراء . وأسقفه المزوقة التي تميد إلى أذهاننا صناعة قايماي

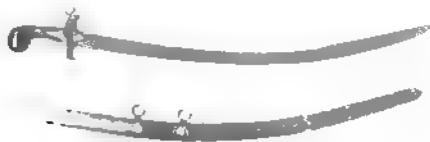
## صاعات قاهريه



ساعة قاهريه من القرن التاسع عشر



ساعة قاهريه من القرن التاسع عشر



سيف تركي على فصله من جانب واحد كانه كوفية وورقه من قرون سابعه مجموعه دار الاثار

وزيلجه الفاخر ومشرياه الجميلة . كذلك مسجد التكهاني الذي يحدده أحد الخربوطلي ( ١١٤٧ هـ ) . وأما جامع أبي الذهب الذي شيد على طراز جامع السنية . ولقد جدد العثمانيون عمار أرضه كثيرة ومساجد قديمة كجامع عمرو بمصر القديمة وأودفن الشافعي وسيدنا الحسين والسيدة نفيسة وأصلحوا أوضاعه فواضح في القلعة . وتوالت أعمال التصليح في الأزهر فقد أصلح الوالي سيد محمد ( ١٠٠٤ هـ - ١٠٩٦ م ) أروقته ودهنها باللون الأخضر . وجاء الممردلر حسن في رواقا للطلبة المبتدئين وبجوارها صغرى كما جدد أرضيته . وفي عام ( ١١٣٩ هـ ) أعيد دهان أسقفته . وبني عدا أبو الذهب أروقة جديدة لكل من المئذنة الشافعي وللاكي والحنفي . ثم أمد الوالي اسماعيل التونسي دهان جدرانها بالبوية ( ١٢٠٣ هـ - ١٢٨٨ م )

وكانت أم أعمال التجديد الأزهر تلك التي ظم بها غنان كصناديق الفزدجلى قدداشا رواق الميمان . ووسع عبد الرحمن كصناديق المدرستين القديمة الطيوسية والأيقناوية وأقام حسين طامودا من الرخام لحل العقود وأقام أيضا محرابا ومدرسة وصهرجيا ومسكنا وعملا لخدمة الفقراء القادمين من الوجه القبلي وشيد مأذنة كما شيد صهرجيا له أقام عليه قبة عظيمة . وكانت أعماله الخيرية تسير دائما بجانب أعماله في التشيد والبناء يوزع الصدقات والهدس والتمسح على الفقراء ويقدم لهم الطعام ويقدم لهم الأكل بالجمان . ولا شك أن عبد الرحمن كصحا كان أكبر مصلح للهجرة في تلك الفترة . فقد شيد أو جدد ثمانية عشر مسجدا وأقام الزوايا للدرس والأسبلة والصهاريج والبيوت والأسواق وأوقف على تلك المنشآت أوقافا هامة

على أننا لا نشاهد في ذلك العصر الآثار البديعة الخاصة بالأصرحة . تلك المنشآت التي أمتاز بها العصر للملوك الساجي شايها الجميلة للنقطة بالنقوش اللزركشة الرقيقة . وتلك الكتابات للنقوش على أقرضها . فإن المقابر السنية عليها طابع من البساطة . والنوع الوحيد الذي ظل كاملا سليما في تصميمه هو السور الكتاب . من أسفل ليناو وجعلت حشوات للشرب صهرجيا وفي أعلاه مدرسة لحفظ القرآن وتعليم مبادئ القراءة والكتابة وشيد من هذا النوع عدد كبير . لكن نلاحظ أن السور كان في العهد السابق يلحق بالمدرسة في زوايا البناء . أما في تلك الفترة فقد أصبح قائما بنفسه ومستديرا في تصميمه مع ما جعل فيها من ذوق في صناعة الرخام والتعاضد وتعمل تلك الأسبلة أجمل معاني الأجران والتفوق وفي القاهرة عذرات من تلك الأسبلة منها

سبيل خمر و ماشا للواجه لجامع قلاوون وسبيل عبد الرحمن كصفدا الذى لا يعد عنه  
صكها

واقتر في العصر العثماني بناء تكياء الهراويش والأسواق والوكالات وشيد أغنياء  
القرن الثامن عشر كثيرا من البيوت والقصور الأنيقة وجواسق الفضة على شاطئ النيل  
أو على الخليج للمصرى . وكانت ركة الأزيكيتو بركة القيل تحيط بهما القصور القديمة  
تلك التي لا تعرفها قلعة اليوم . ولقد وصف الجبرتي في تاريخه المشهور تلك البيوت  
ودورها ورسومها وبما لها . كما أن قصور الممالك التي كانت لا يزال قائمة في أيام  
الاحتلال العثماني جذبت أظار الرحلة الذين شاهدوها

## قصور القاهرة وبيوتها

ولا يزال قائما في القاهرة اليوم بقايا تلك القصور السامية التي حياها الجالية وباب الشرية  
بيت الشيخ أحمد موسى العروسي وبيت الشيخ محمد أمين السجيني بالقرب الأصفهاني  
( ١٦٤٨ م ) وبيت البكري بالخرقش ( ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٨ م ) التي أعيد تشييده  
في عهد والي مصر عباس باشا الأول . وقصر المسافر خاتة التي ولحقها الجديو اسماعيل  
( ١٧٧٩ - ١٧٨٩ م ) برب المصط

وفي حي الحرب الأحمر محمد بيت جمال الدين القهي بجارة خوش قدم ( ١٠٤٧ هـ -  
١٦٣٧ م ) . وبيت زينب خاتون بطلة الأزهري . ولا تزال واجهة بيت رضوان بك  
بالخيامية باقية كما كانت عليه في القرن السابع عشر كذلك مقعده بالخيامية . وادكر أيضا  
بيت حسن عبد الطيف بشارع القصور التي بعد من بيان القرن الثامن عشر وبيت  
الشيخ مصطفى شلي ستان بسوق السلاح

أما في خط الخليفة والسيد يترب فتجد من هذه المنازل القديمة بيت علي أفندي ليب  
برب البان وقد بنى في القرن الثامن عشر . وقصر بشيك أو قصر بردق بشارع المضر  
وبقايا قصر الأمير طار بالسوقية وبيت وسيل الست الجردلية الملاصق لجامع ابن  
طولون ( ١٠٤١ هـ - ١٦٣١ م ) وبيت السادات الواقعة بشارع السادات وبيت  
ابراهيم كصفدا السناري ( مصحف جليار دوك ساها )

وفي شارع غيط البدة بالقرب من باب الخلق لا تزال سراي سامي ماشا البارودي





بيت السمت حفيظة ( قائمة وهي من غزوات أواخر القرن الثامن عشر ( ١٧٠٦ هـ -  
 ١٧٩١ م ) وهي تحفظ شيئا من روحها القديم  
 تذكرنا هذه القصور الشاذة بربالات القاهرة في غطف أيلها فميد إلى جيلنا  
 صورة شرقية العاصمة العزيزة



وإذا كان العصر السني قد سادته الروح الدينية فن الطبيعي أن تصحب ذلك رعاية  
 بالمؤسسات الدينية . ومن المعلوم أن فهم الباشوات الاتراك بأنهم تمتدوا أهل آثار  
 القاهرة من مساجد ومقابر وكالات وغيرها . فالتدب ليس دينهم إذا كان معاصروهم من  
 التتانيين والصناع لم يملوا من القراءة ميلنا يساوي أسلافهم  
 وإن كانت مبادئ العصر السني ذات عمارة ترك في مجموعها آثارا جميلة في النفس  
 يشهد بها في تلك الأبنية من تآلف وما يسودها من مسحة فنية كان هناك شيئا يقلل من  
 جمال هذا الأثر ذلك هو ما في الحراف التركية من عيوب ملوثة بها لعبت الزخارف في  
 العصر السابق دورا كبيرا كان أكيه عامل في جمال الطراز وخاصة للعمارة . على أن الزخارف  
 للعمارة في عصر الاتراك كانت كثيرة ولكنها قسوة ومتأخرة . فلم نجد مثل زخارف  
 أيام قايتباي ولم تكن الكتابة المنقوشة مذهبة بل كانت شمعية أولية ليس لها طابع  
 تميز .

وكانت آثار القاهرة والبلاد هناك لها عروضة للتصريف . فتهاوت قبة الإبراهيم  
 الكبير . جامع الناصر محمد بن قلاوون للتشيد داخل سور القلعة ( ١٥٢٢ ) ووقت معاذة  
 جامع السلطان حسن ( ١٦٥٧ م ) كما تحريت قبة الجامع المذكور ( ١٦٦٠ ) وقامت زويزة  
 شديدة أقطعت مادة جامع ابن طولون ( ١٦٩٤ ) كما أقطعت للياه أساس جامع الحاكم  
 ( ١٧٩١ ) . ولكن كل هذه الأضرار لم تكن شيئا يذكر بجانب الخراب التي أحدثتها  
 الحروب والفن وعمال التلف التي جلبتها روح الانتقام . وكثيراً ما أقطع القوم قصورا  
 من أسسها للافتتاح بجوارها في تشييد ما ن أخرى !

لقد ذكرنا أن السلطان سليم نهب كثيرا من غنائم مساجد القاهرة واستولى على  
 كل التشمعات الذهبية التي كانت بمسجد السيدة زينب وقتل كليات عظيمة من  
 الرخام التي احتوتها قصور القلعة إلى سجنه بولاق ليقلها إلى الأستانة . وفي عام ١٧٦٦ هـ  
 ضرب جامع القوي بالدمار وقيل أنه أصلح بين عامي ( ١٦٨٩ م = ١١٠١ هـ ) .

وكان طلبة الأزهر كثيرون الميلاج وطالما قاموا بحركات عنيفة ففى عام ( ١١٢٠ هـ - ١٢٠٨ م ) ثارت ثورتهم وكسروا أحد أبواب الأزهر احتجاجا على تعيين أحد الأساتذة بالرغم منهم وفى سنة ١٧٩٦ هـ دهم أحد المشايخ للدرسة لللاصقة لجامع ستان يولاك واستخدم أعمدتها وسجارتها للصخرة لبناء فندق خاص ا ويحدد استاميل بك فى عام ١٧٩١ عمارة منزله بمواد أخضا من أقباض مسجد كان يقع على فر الخليج . وفى العام الذى كور قام شيخ آخر ومصر قصر ميدان رحمن كحضرا الكائن بين يولاك ومصر القديمة ودام مواد الأولية . وفى ذلك العهد استخدمت مساجد كثيرة كتخازن البصائع أو ورشا لنزل أو مصانع للسج الأقمشة . ومن تلك المساجد مسجد ابن طولون الذى استخدمه عبدك أبو الذهب ورشة لنزل

### عمارة القاهرة العثمانية

فلما ان طراز البنية العثمانية تسرب إلى مصر قبل الفتح التركى بقليل بدليل ان تصميم رسم مسجد السلطان النورى ( ١٥٠١ - ١٥١٦ م ) ومسجد خير بك وطراز القباب المتصاعدة التى تتطلى سقف للسجد النورى والأيوان المتوسط للدرسة قايتباى ( ١٥٠٣ ) والبقود الرئيسية لمسجد خير بك . كل هذه العنايات ثبتت لنا ان الأساليب العثمانية لن البناء كانت قد انتقلت إلى مصر قبل الاحتلال الصلىانى . وقد عرفت المادة الأسطوانية فى مصر قبل الاحتلال العثمانى فأن مادة اسرائيل بيت المقدس كانت موجودة فى عام ١٢٦٧ وقد أقيمت على سق المسكن المستديرة فى شمال الشام واقتضت عن المسكن السجوقية كما شاهد القاهررون مشيدا على ذلك الطراز منذ عام ١٣٩٥ مادة جامع محمود الكرى وهو الجامع الكائن فى آخر قصبة رضوان فى أول الخيامية

حاول العثمانيون ان يدخلوا على القاهرة تصميماتهم وأساليبهم وبعض حلياتهم الزخرفية الجديدة غير أنه لم يكن من السهل ان يخبر الهندسون واليهودون تغييرا كليا ما كان لديهم من طرز مسارية وأساليب فنية وكان شاك عليهم فوق ذلك ان يروا مسحة أجنبية تسود قلوبهم وصناعاتهم التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم الذين عاشوا فى زمن المماليك

وبالرغم من تصميم للدرسة التى أدخله السلطان صلاح الدين فى مصر فقد كان للسجد ذو الأيوانات هو التصميم المألوف حتى القرن الخامس عشر . وقد احتفظ

العصر الثاني بحملة أمثلة بليغة من هذا التصميم ولو ان ذلك الطراز أمابه القساد في هندسته الأصلية . وأوضح ما نلاحظه من هذا التدهور الفني بمجده في جامع آق سقتر القارائي ( ١٦٧٠ م ) فهو صورة ضئيلة بجانب ما كان عليه الفن القامري في أيامه الزاهرة

أما جامع عثمان كشتدا ( ١١٤٧ هـ - ١٧٣٤ م ) فتجيد فيه تنسيقا منظما جدا . يألف أبوابه الرئيسى من ثلاثة صفوف في كل منها أربعة أعمدة موازية لحائط القبلة . أما الأبنوانات الجانبية والأبواب الشبلى فتألف من بلاطة واحدة (رواق) ولا توجد الدكة بالقرب من نهاية الابواب الرئيسى كما هو الحال في مساجد العصر للملوكي فاتها أصبحت توضع في الابواب الشبلى مائدة الصراب . ولما كانت أعمدة الأبواب الشبلى والعمودان الخارجيان في الصف الأول من الابواب الرئيسى من الأعمدة الجرابية القديمة عالية جدا عن الأعمدة الأخرى . فقد أصبحت عقودها للشبلة فوقها أقل حجما من العقود للشبلة على الأعمدة الأخرى

وشيدت عدة مدارس في العصر القركي كان تصميمها قاسدا . فقد شيدت مدرسة المشطوطى في السنة التالية لنقص القماني . وكانت صليبية الشكل بنى على طرازها المهندس فيا بعد مسجد محب الدين أبو الطيب ( ١٥٧٨ ) وهو يقع على بنية السالك من المحرقش . ودأبوا بنى باقين إلى اليوم وصحته حفروا في الخراب للون ومجراه مكو بالخام النعيس ومنه دقيق الصنع مرصع بالزجاج والآبنوس . ولم يبق من هذا الجامع سوى أبوابه فقط

فإذا انطلقنا إلى مساجد عبدالعظيم قراق « وقلطاي » والحياتيهي من مشيدات القرن الثامن عشر شاهدنا اختلافات أخرى . ففي المسجد الأول نرى أن الابوابين الجنوى والشبلى بشغلان مظلم اللون ويصلهما عن بعضها رواق علوى في وسطه منور ممتد ( Lanteroon ) وفي المسجد الثاني نلاحظ أن الأبواب الرئيسى أقل اتساعا من البلاطة الوسطى . بينما نرى الرواق العلوى للقبلى يؤدي مقام الدهليز وترتكز القناطر فوق طامود متوسط ثم لا نرى بعد ذلك أبوابا جانبية فاتها لا يوجد لها في هذا الطراز

ولا يختلف كثيرا طراز مسجد الحياتيم ( ١١٧٧ هـ - ١٧٦٤ م ) عن طراز المسجدين السابقين إلا أننا نرى أربعة أعمدة متجمعة تقوم مقام الطامود الواحد السابق وطرازه

من ناحية مامة يشبه للصلب بمسجد لموسى في مقابر الخلفاء . وفي جامع حسن باشا طاهر ( ١٨٢٣ ) نجد النور أمام المحراب تشغل المكان الذى كان للقباب فى المساجد ذات الأروقة ويشتمل على ثلاثة أروقة كما كان الحال فى مساجد العصور السابقة وهناك مساجد أخرى من الصعب أن نحكم ببقائها لأى طراز معين لمسجد اليردى مثلا يختلف كل الاختلاف عن أى جامع آخر بنى فى عصره أو قبله . ويمكن القول أن الطراز الذى أدخلها السليمانيون فى مصر يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام هى :

١ — طراز الأناضول وأصله يزعمون ومن أمثلة هذا الطراز جامع سليمان باشا وجامع الملكة صفية

٢ — طراز القباب والأبواب كالكنائس القديمة ولا سيما ما شيد منها فى ديار بكر فى القرن السابع . ومن أمثلة هذا الطراز جامع ستان الذى شيد حوالى عام ١٥٧١ وجامع أبى الذهب ( ١٧٧٣ م ) وهو صورة مطابقة للجامع الأول

٣ — طراز الأستانة : وقد قلل السليمانيون من آسيا الصغرى وشيد على طرازه جامع محمد على باشا الكبير فى القلعة على يد مهتمه الروى « يوسف بوشا »

٤ — طراز المصحن بدون القباب . ومن أمثله جامع المحمودية أمام باب العزب بالقلعة وجامع محمود عزم والقسم الذى أمده تشييده الخديو عباس بجامع الأزهر

ومن المظاهر المعمارية التى تطورت على أثر دخول السليمانيين ما نشاهد فى بعض المآكن والقباب وإن كنا نرى بعض المآكن التى شيدت فى عصر السليمانيين قد انحطت بطلابها المملوك كاذنة بجامع اليردى مثلا التى إذا نظرنا إليها حسبناها لأول وهلة من عصر قايتباى . وعلى كل حال فإن المآذنة العالية فى البوابة المصرية فى العصر التوكر هى مآذنة رفيعة مشوقة على سبيل ما كن الأستانة التى أخذها الأتراك عن السلجوقيين بسيط مستوحاة الأسطوانات طغان أو ثلاثة ويملؤها غرور كما هو الحال فى أبراج الكنائس الأرمنية

وفى عصر الأتراك لا نشاهد تلك الأضرحة الكبيرة التى فى العصر المملوكى . فالأضرحة السليمانية تمتاز ببساطتها ولا زالت القاهرة تحفظ بعض أمثلتها هذا الأضرحة . كضريح مصطفى آغا جالق فى مقبرة الممالك . ويرجع عهد إلى القرن السابع عشر وضريح عثمان بك قودغلى بشارع الأسم الذى ( ١٧١٧ )

ولا شك أن المآذن والقباب والعمود والأعمدة والطنف النهائية غوت في القاهرة من ناحية المبلية ونهيت بشىء من شكلها الملوكى . كائن الزخرفة النهائية كانت أحيانا تميل إلى الوفرة والزخرفة كما شوهدت في أيام تايقاي السعيدة . ولا خل الزخرفة بالقاشاني عما كانت عليه في البلاد النهائية نفسها وإن كانت القاهرة قد عرفت القاشاني من قبل

والحرايب النهائي يحيطاته الزخامية صورة صادقة لحرايب العصر الملوكى وطرة إلى حرايب مساجد سليمان وعبد الدين بن الطيب وستان باشا وعبد أنى القهب تؤد صفة هذا الرأى

## السييل الكتاب

ومن المباني التي لحقها بعض التطور على أثر دخول النانيين البلاد المصرية « السيل الكتاب » فقد كان هذا إلى أواخر القرن الرابع عشر ملحقا بأحدى للدولس أو يشغل ركنًا من أركان الجامع . ولكننا نجده في العصر النهائي قد أصبح بناء مستقلًا . كان في باديء أبلعه مرج الواجبة تزينة من ناحية أو من نواحيه الثلاث النوافذ النحاسية الجميلة يستطيع أن يجد للتاريخ منها ليشرّب ماعدا الصافي من حوضها الزخامى ناصع البياض . وإذا أردت الدراسة صعدت على سلم يقودك إلى أعلا المكان فبعد نفسك في غرفة الدراسة تتصل بشرفة واسعة متصلة المواء أقيمت حولها الأعمدة متوسطها قطع المشرقيات الأنيفة وتحت الأعمدة توجد الكواويل الخشبية المزخرفة

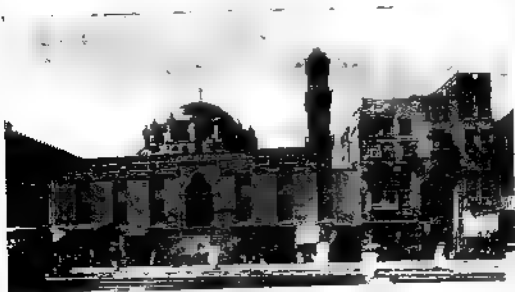
كان هذا طراز السيل النهائي الذي أدخل إلى القاهرة في أول أيام حكم الأتراك وعلى نسقه شيدت أسبلة عدة أهمها سيل خسرو باشا ( ١٥٣٥ م ) أمام ضريح الملك صالح أيوب وسيل القزلار ( ١٦١٩ ) وسيل حسين كعثما وشاهين آغا وعبد الباقي وحسن كعثما وعريجن بك وعبد الرحمن كعثما

وفي أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر استبدلت واجهة السيل وأصبحت تشتمل على تقويسات ملو شيائك السيل . وصارت له قاعة تلف حوله بدوجات من المرمر الأبيض وعلى هذا الطراز شيد سيل أم عباس بالقرب من جامع وخانقاه شيخو وسيل رقية دودو أما سيل سليمان آغا حتى ( ١٩٧١ ) فيعزده بطايج متممة وهو

يختلف عن حقبة الأسبلة الأخرى إذ مجده ملحقاً بالضرر كجره من البناء نفسه

\*\*\*

على أننا لا نستطيع أن نستلرد في وصف عمارات العمارة المصرية في عهد الفتيانيين فإن لهذا الموضوع كنه القياصة بالوصف والأيضاح ولعلنا نرى في المستقبل القريب صكتنا بالعربية يصح في تطور العمارة والقنون الاسلامية المصرية في عصورها المختلفة فالقاهرة كانت في يوم من الأيام ملهى المصريين والملاثرين ومخدر رجال الصناع ورجال الفن . وقد كان لها من أيامها المجددة عمارة سترها تحت العظمة والذلال في أيام سيمها ثم أصابها الفطور والحزال في أيام شقائها . وأصحت الآن ليس لها عمارة مستقلة تباها بها العمارات الأخرى . فملأتها حيط بين العمارات الإيطالية والألمانية والأعجوبة . ولو سار الفتيانيون على وتيرة أسلافهم الممالك في الأثناء والعميد لكنت القاهرة اليوم تباها بظاهها الشرقي . لكن الفتيانيين كانوا مقترين فلم يهاؤا خزونا النائية وباليتم تركوها وقاشها نعى سلبا بل سلطوا عليها . تأعهم وحلوا نقاشها إلى بلداهم



مسجد محمد أن القفب الفتيان للأزهر جامعة القاهرة ( ١٦٨٧ هـ - ١٧٧٣ م )

## أعلام الآثار الإسلامية أثناء الفتح التركي في مصر

العام المسيحي	العام المجري	الآثار
١٥١٨	٩٢٥	جامع المشطوطى بباب الشرية
١٥٢٢	٩٢٨ - ٩٢٩	زاوية الشيخ حسن الرومى بشارع المحجور
١٥٢٨	٩٣٥	جامع سليمان باشا ( سيدى ساريا ) - بالقلة هذا الجامع الأثني يماسر أشهر مساجد الأستانة وينفرد بطرف وإتاحة الى أحد حد . وهو من الناحية للعمارة دو طراز عثمانى صميم - مشيد داخل سور القلعة من ناحيتها الشمالية الشرقية
١٥٢٨	٩٤٥	جامع شاهين أفا المخلوق بسبع جبل القطم
١٥٤٣	٩٥٠	تكية السلجانية بالسروجية
١٥٦٧	٩٧٥	جامع محمودية بالقشية مشيدة الوالى التركى محمود باشا الذى اشتهر بشدة قسوته قتل بدمية لم يفيض على مرتكبيها فأت بسببها فلاسان بريان كانا يملكان فى بستان لهما لا ارتكبا لجناة فصلهم . وقد خلف هذا الوالى أمرا يذكره الى اليوم . هذا الآثار هو مسجد الأخر الواقع بين مسجد الرغائى والقلعة
١٥٦٨	٩٧٥	جامع ستان باشا بيولاك كان ستان باشا حاكما حلب وجزءا من طراولى ولاية مصر مرتين وشيد مسجده المعروف بالستانية بيولاك . وفيه يظهر الأسلوب التركى واضحا جدا . تيسارية وحاما
١٥٩٨ - ١٥٩٩	٩٨٢ - ٩٨٦	جامع مسيح باشا بحرب البصار خلف الوزير مسيح باشا الوالى ستان باشا . فصر في



أعلام الآثار الإسلامية أثناء الفتح التركي في مصر (تابع)

العام المسيحي	العام الهجري	الآثار
١٦١٠	١٠١٩	<p>عرب البسار مسجد الذي كان لا يزال قائما الى وقت ليس بعيد . وكان سبب بناءه كما ورد في « نزهة الناظرين » أن مسيح باشا كان ينفذ في الشيخ نور الدين أحد علماء مصر اعتقادا صحيحا واختص بصحته فصر له هذا الجامع ووقف عليه أوقافا جعلها بيد الشيخ نور الدين</p> <p>جامع الملكة صفية باللهودية</p> <p>هذا المسجد طريف من ناحية الطريحية والمعمارية . هو يفرد من الناحية المعمارية في نواح عدة . يقوم على مرتفع تصعد اليه بدرجات مستديرة منسقة . وإذا دخلت الى صحنه وجدت أبوابا مسقوفة بحجاب جميلة على أعمدة مشوقة من الحجر والخام وفي مقصورة الصلاة متبرخشب ودكة . وفي هذا المسجد يجد الباحث الأثرى أموراً كثيرة اندر استقام الناحيتين الصناعية والزخرفية . ومنه ما رآه حتى بعد نموذج الصناعة النهائية الملهية .</p> <p>وهذا الجامع ولو أنه أطلق عليه اسم سيدة فمشته هو عثمان أنا ابن عيادته أخته دار السادة ثم آل بطريق شرعى لسيدة الملكة صفية . وملخص ذلك أن الملكة وكلت من نفسها عبدالرزاق أخته دار السادة في دعواها وأن عثمان أنا المذكور هو عبدها ومملوكها إلى ذلك المين وقد أبرز حقى من شيخ الاسلام بأن الايقاف المذكور غير شرعى وأن لسيدة ضبط جميع أملاكه كسائر أمواله فحكم القاضي الشرعى بأن الجامع والقرية التي يملكها عثمان أنا وأملاكه كلها ملك للملكة وبته وكيله برفع يده</p>



أعلام الآثار الإسلامية أثناء الفتح التركى فى مصر (تابع)

العام المسيحى	العام المجرى	الآثار
		عليها وكان ذلك فى أواخر شوال عام ١١٠١ هـ . فدخلت كل موقوفاته الى الملكة
		والملكة صفية هى زوجة السلطان مراد الثالث وكانت من أميرات بيت بافو ( Baffo ) من أعيان جمهورية البندقية وكان أبوها حاكما لكورفو .
١٦٣١	١٠٤١	بيت وسيل الجردلية : بقا الوطواط بالصليبة
١٦٣٧	١٠٤٧	بيت جمال الدين القهبي - حارة خوش قدم بالقورية
١٦٤٩	١٠٥٩	سيل حسين كعندا شارع أم القلام
قصر الفصحى	١٠٨٣	بيت رضوان بك بالغيامية
١٦٧٢	١٠٨٣	سيل مصطفى ستان بسوق السلاح
١٦٩٨	١١٠٩	جامع عبد كعندا بالقلمنة
١٧٠٨	١١٢٠	بيت أمير موسى الشور بجى ميرزا مستحفظان يولاتى
١٧١٩	١١٣١	سيل كتاب بشير أنا بنوب سعادة - الحليانية
١٧٣٤	١١٤٧	جامع عثمان كعندا بنوب الشمسى بالأزبكية
١٧٤٤	١١٥٧	سيل كتاب عبد الرحمن كعندا - بين القصرين
١٧٤٤	١١٥٧	واجهة جامع عبد الرحمن كعندا بشارع للقرابين
١٧٤٤	١١٥٧	سيل ومصق « « « بالحطاية
١٧٤٤	١١٥٧	مقبرة عبد الرحمن كعندا بالقرب من الأزهر
١٧٤٦	١١٥٩	سيل إبراهيم خلوصى بالسروجية
١٧٥٠	١١٦٤	تكية وسيل السلطان محمود عمود بالحليانية
		أنشاء السلطان محمود وأبوابه كانت مطعمة بالصدف وعرايب الجامع مكون من لوح واحد من الرخام الأزرق نقش عليه الآية الكريمة كلما دخل عليها ذكرى الخراب . . .

أعلام الآثار الإسلامية أثناء الفتح التركي في مصر (تابع)

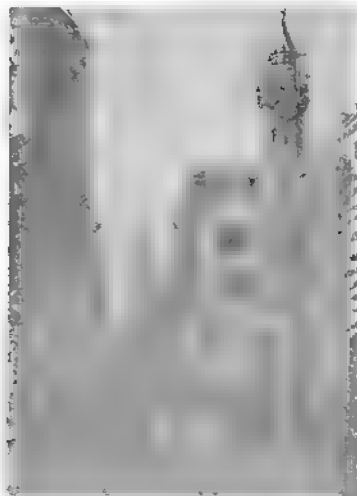
العام المسيحي	العام الهجري	الآثار
١٧٥٣	١١٦٧	سبيل إبراهيم بك بالهاودية وبعضهم يسمونه خطأ سبيل اسماعيل بك
١٧٦٠	١١٧٣	سبيل السلطان مصطفى بالسيدة زينب به محسة أعمدة رخامية لطيفة نقش عليها عدة آيات شعرية
١٧٦٤	١١٧٧	جامع الميام بمحارة الميام بالحفي من إنشاء الأمير يوسف شوريجي وعلى باب رخامة نقشت عليها أربعة آيات من الشعر . وبجواره شمسبلا بملوه مكتب وعلى باب لوح رخام عليه آيات تضمنت تاريخ سنة ١١٧٧ هـ وعلى باب من داخله لوح رخام نقش عليه بيت من الشعر
١٧٦٠	١١٧٣	الجامع القنيسي بخارج خط الخليفة مفتى . هذا الجامع في الأصل للملك الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٤ هـ وقد عمره الأمير عبد الرحمن كخدا وبني الضريح على هيئة الحاضرة في عام ١١٧٣ ويقرأ يخان من الشعر على باب الضريح بلقوب على الرخام وقد أمر للرحوم عباس باشا بتجديد عمارة الجامع فجددت مقصوده وبعض الأبواب
١٧٦٠	١١٧٣	جامع السيدة سكينة بخط الخليفة أنشأه الأمير عبد الرحمن كخدا وأجرى فيه للرحوم عباس باشا الأول عمارة وله ثلاثة أبواب غير باب البيضاة ومقصوده الضريح من التماس الأصغر لتقن الصناعة أنشأها عباس باشا . وبأعلى باب المقصورة يخان مقوشان في التماس ما

أعلام الأمار الإسلامية أثناء الفتح التركي في مصر (تابع)

العام المسيحي	العام الهجري	الامار
١٧٧٣	١١٨٧	ضمورة أختت له مستنجا فتزوج الفكر حدة الله وقاس تدع حة عليها موصفة مع بعض ملب إسلام ليس جامع عبد أبو القعب بالأزهر
١٧٧٣	١١٨٧	وكالة « « « بالسنادية
١٧٧٤	١١٨٨	سبيل « « « شارع التبليطة
١٧٧٩	١١٩٣	قصر السافرخانة — قصر الشوق بالجالية بين درب المسقط ودرب الطبلوى . شيد الحاج محمود بن محرم كبير تمار القاهرة عام ١١٩٣ هـ وأتمه بالخزاف الحية وأنتأ به قاعة عظيمة (القاعة الكبرى القبلية الشرقية) وأقام حولها مستأنا بدع للثال وقصر ثلاثة أبواب . وأقام قاعات القصر تلك التي ولد فيها ساكن الجنان للمنورة اسماعيل باشا . ومصيد زائرا ذكرى ذلك الحمد الحميد
١٧٩٠	١٢٠٥	جامع أحمد الوردى بالقلاوية
١٧٩٢	١٢٠٧	عمراب جامع محمود محرم . برجية باب العيد بالجالية أنشأ هذا الجامع عام ١٢٠٦ هـ وجدده الحاج محمود محرم سنة ١٢٣٧
١٧٩٦	١٢١١	بيت عبد الطهي جامع حسن باشا طاهر بركة القليل أنشأ هذا المسجد الأمير حسن باشا طاهر والأمير عابدين بك وانتهى من بنائه عام ١٢٢٤ وفيه منبر عظيم ودكة وحسن مسقوف بعض أجزائه

أعلام الأئمة الإسلامية أثناء الفتح التركي في مصر (تابع)

العام المسيحي	العام الهجري	الأعلام
١٨٥٥	١٢٧٠	سبيل أم حسين بك بشارع جامع البسات أنشأته للرحومة والدة حسين بك نجل عبد علي باشا وكان في غاية الحسن أرضه مفروشة بالرخام وواجهه من الرخام أيضا وعلى بابه هذه الآيات : لأم حسين شهرة بمطس من الخير ذكرها تقوم مدى الدهر لقد أخذت فيها احتسابا وأخذت فيارب نوحا الكثرة من البر على باب خير جاء تاريخه سنا بها حسنات أجراها سرمدنا يرى
١٨٦٧	١٢٨٤	سبيل أم عباس بشارع المليية عند مفارق الطرق بين المليية وطولون والركية أنشأته للرحومة والحق للرحوم عباس باشا سنة ١٢٨٤ هـ وهو لا يزال على حسن حال فوقه وأرضه مفروشة بالرخام وسقفه مقوشة بالأصباغ القهية وشبابيكه من النحاس الأصفر ومكتوب بنائره بالقصب بعض الآيات القرآنية سبيل الشيخ صالح ١٢٧٤
		نجد مسجد الشيخ صالح في الشارع للسمى بهذا الاسم أنشأه الخديو اسماعيل سنة ١٢٧٤ وهو في غاية الحسن والسعة واجهته من الرخام له شبابيك نحاسية جميلة قشنت فوقها آيات قرآنية بقاء القصب



قارح من شوارع القاهرة النجاة . ريشة للمرو الإلهي . برتوديدل .



منظر لمدينة قصر مراد بك بالجيزة . من كتاب وصف مصر .

# قاهرة نابليون بونابرت

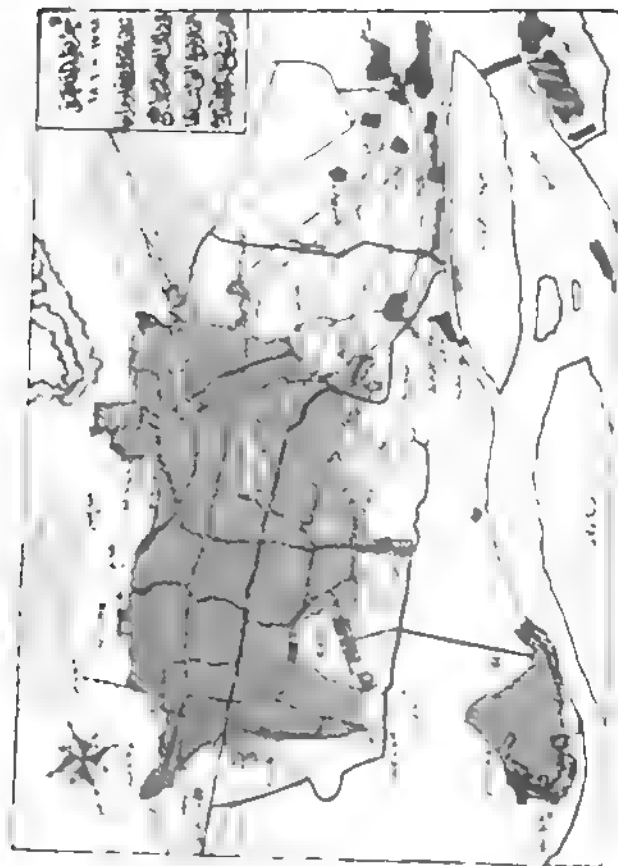
« إن أرسين قرنا تنتظر إليكم من فوق هذه الأهرام »

قاهرة الرحلة - الشئون الصحية - نابليون في القاهرة - قصر محمد بك الأتلي -  
نابليون يتقدم إلى القاهريين - القاهرة بين الإصلاح والتعريب - ثورة القاهرة  
الأولى - القاهرة والاعتبارات العسكرية - محصين حرمه الروضة - القاهرة بين  
الإصلاح والتحصين - نابليون يودع القاهرة - ثورة القاهرة الثانية - عودة كليبر -  
كليبر والحلي - الانتقام من عروس الشرق - حامية القرسين - القاهرة الخمسة المصرية

نحن نريد الآن أن نعرض صورة  
للقاهرة حين قدم إلى مصر نابليون بونابرت  
على رأس جيش الشرق . فقد كانت تمتد  
حدودها الشمالية بين اسمنية و باب الحديد  
وجنوبا بين القلعة إلى باب عرب السار  
إلى باب السيدة عائشة إلى جامع السيدة  
عبيسة فباب طولون فباب الخلة فباب  
السيدة رجب وشرقا من القلعة فباب  
الوزير فالقرب فباب الحسينية . وغرما من  
باب الحديد إلى الأركية فباب اللوق  
فباب الشيخ ومحمد فباب صرية فباب السيدة  
ربيع . وكان موقع القاهرة بعد أكثر من  
ألف متر على شاطئ النيل وبينها وبينه  
مزارع . وكانت بولاق بعد من صواحي



بيت الشيخ الامير « من ريس دار »  
العاصمة كما كان مصر القديمة . وكانت الطريق بين الناصرية ومصر القديمة مقفرة  
من المساكن ليست بها إلا مزارع وحدائق . وقامت على شاطئ النيل حصن مبان  
قديمة كقصر ابراهيم بك ( قصر البهي ) تجاه الروضة وبجواره بيت محمد كاشف  
الزماموطي وعلى شماله بيت لمصطفى بك وكان جامع الظاهر خارج ماني القاهرة



## قاهرة الرحالة

واخفى أكثر الرحالة الذين جاءوا الى مصر في تلك الآونة على أن شوارع القاهرة كانت صيقة كثيرة الضارح وكان أطولها الشارع للوصل من باب الحسينية الى باب السيدة نفيسة وطوله أربعة آلاف وسبعمائة وأربعة عشر قرناً . ولم يكن بالقاهرة سوى أربعة ميادين هي : ميدان قرق ميدان تحت القلعة وميدان الرملة المجاور لقره ميدان بفصلها باب اسمه باب قرق ميدان وميدان بركة النيل وميدان الأريكية ويسمى بركة الأريكية وقد تر العلماء القرويون مساحات للتألق بالسكوة في القاهرة و بولاق ومصر القديمة بجانباة مكتنار أى أقل من ربع إريز في القرن الثامن عشر - وبوصول الحملة الفرنسية كانت البيوت الشاهقة قد تقلص عددها وانحطت هندستها وبنت على عمارتها مظاهر الفاقة وصعبت طرق مواصلاتها وطفئت مؤامرات الاستعداد وأهملت مراقب البلاد الاقتصادية وفقدت القاهرة حيويتها وأصبحت أحياء بات الخلق والأزهر والخنفى وللوسكى والسيدة زينب مقراً للأوس السبع مما أثر على قلوب الرحالة « نيفتو » و « سويني » و « مولى » وأما من الناحية الفنية فلان عصر الاندثار الذي صبت به في عهد السلاطين المماليك كان قد ولى ودعى أثره . ولم يكن القى قد ابتدأ تماماً إنما كانت لا تزال بخاليه موجودة في تلك البناى التى خلفها بعض الأتراك كسبيل خسرو باشا وبيت جمال الدين وبعض المساجد التى قبل على ذوق من

أما القاهرة المرفيى وكانت عروس الشرق - تلك التى وصفتها في خطاطه الخليفة بما احتوت عليه من رحاب ومتزهات وقصور العظام والأمره وغيرها من المناظر والمدارس والمساجد ودور الكتب قد اضمحلت صحتها . ولم يبق منها إلا القليل القريب - ومع ذلك فقد احتفظت القاهرة بصورتها الشرقية الجميلة لا فيها من كالات وحامات وأسيلة ومساجدو بعض العائز الجميلة .

وكان ميدان الأريكية أو بركة الأريكية كما كانوا يسمونها أجل الميادين الأربعة تحيط بها القصور البديعة يسكنها الأمراء والأعيان - وفي أيام القيصان تملأ بمياه النيل فتصير لجة من الماء يجره فيها الناس بالزوارق في النهار والمساء والليل - وتوقد المصابيح من البيوت المطلقة عليها فيكون منظر البركة من أجبع المناظر ولا سيما في الليالى القمرية ووصف كثير من الرحالة القرويين مدينة القاهرة . وكانت تختم فيها جامعات البحار القرويين قبل استيلاء جيش نابرت في السادس والعشرين من شهر يوليو ١٧٨٣ .



وكانت المدينة في حالة لا توصف من الإهمال وعدم العناية بالأمور الصحية . وقد كتب  
الجمال « ديوى » أحد قواد نابليون وكان قد عين حاكماً للقاهرة الى صديق له يقول  
« المدينة بغوضة جدا فتنارة شوارعها لا تفصل دراعتهما كرجلوا عليها يطشون . وأكاد  
لأن لا أعرف المدينة التي تكبر باريز مجما إنما تحطف عنها من جميع الوجوه »

### الشئون الصحية

ولقد دفع هذا الجؤس رجال الحملة الفرنسية إلى العمل على تحسين القاهرة من  
طاعون يكتسبها . فأمر نابليون بإنشاء عابجر صحية بجزيرة بولاق . كما أمر بإقامة  
مستشفى عسكري في قصر مراد بك بالجيزة ثم عدل عنه ونقله إلى قصر إبراهيم بك  
تجاه الروضة . وأنشأ لجنة لإدارة الشئون الصحية في القاهرة ومصر القديمة وبولاق  
وضمت اللوائح لنظافة المدينة . وتلأت بأضاعة فتاديل بالطرق والأسواق وأن يكون  
على كل دار فتديل وعلى كل ثلاثة دكاكين فتديل وأن يديم الأطالى للكنس والرش  
وتظيف الطرق من السموات والقاذورات ونبه على الأهالى عنع دفن الموتى بالمقابر  
القريبة من المساكن كقابر الأز بكية والرويسى وأن يفتوا موتاهم بالمقابر البعيدة .  
وفي حالة الدفن يجب العناية بالحفر . وتلأت أيضا غسر الثياب والأمتعة بالأسطح حدة  
أليم وتبخير المنازل بالمطهرات اجتبابا لبعوث طاعون

### نابليون في القاهرة

بعد أن انصرف نابليون على الممالك في معركة إمامه سارق طليعة جنوده إلى الجيزة  
واغخذ قصر مراد بك عسكرياً له وقد استولى على مصنع ذخيرة القذى أشاء بالجيزة .  
وفي مساء اليوم احطت قوتهم الجيش الفرنسي بجزيرة الروضة . وفي مساء اليوم التالي  
دخل الجيزال « ديوى » القاهرة على رأس قوة من الجند لم يلق بها مقاومة وعسكر  
إيلاقي يت إبراهيم بك . فكانت هذه القوة طليعة الجيش المحل . وفي اليوم التالي  
( ٢٣ يوليو ١٧٩٨ ) تبهما بقية الفرق فحلقت القلعة والمدينة وضواحيها وأصبحت  
العاصمة المصرية في قبضة امبراطور فرنسا .

دخل نابليون القاهرة يوم ٢٤ يوليو ١٧٩٨ شكك فيها حتى رسل إلى سوريا في  
اليوم العاشر من فبراير ١٧٩٧ . وفي تلك الفترة لم ينب عن القاهرة سوى مرتين : المرة  
الأولى في أثناء مطاردته لإبراهيم بك وللمرة الثانية لا قصد سيناء مع بعثة من رجاله  
المسكربين والعلماء لا امتكشافها ويصل نابليون سكته ومقر رئاسة الجيش العامة في  
قصر عبد بك الأتلى

## نصر محمد بك الألفي

كان هذا النصر غلط السات الذي لم يكذب ثم تشييده وتأمينه حتى فوجئت مصر بحملة نابليون فكان الألفي قد بناء لامر المود فرنسا . وكان ذات من ثلاث مرسيات كبيرة من اللياني الحمية فحصل كل منها عن الآخر الخنادق القناء . وكانت واجهة القصر الرئيسية تشرف على النيل . ويظهر أن نابليون لم يشأ في بديء الأمر أن يدخل كثيرا في بناء هذا القصر لكي يصير مطابقا لحاجته . لكنه طلب أخيرا في فبراير ١٧٩٨ من الجنرال « كافريلي » كبير مهندسيه العسكريين أن يدوس تشييد سلم قليل الكلفة لا يتجاوز نفقات إقامته ألف ومائة مائة . وكان الدور الأول من القصر يشتمل على صالون ظهر جدا أقام فيه نابليون الاحتفال بعيد الجمهورية الفرنسية حيث أعد وليمة دنا إليها مائة وخمسين مدعوا . وفي نهاية هذا الصالون البديع كان يوجد الدوبان المستطيل . وكانت جدرانها مغطاة من الزخرفة والنقش على الطريقة التركية . لكن زينت تلك الجدران بما يجد بالوحات الفنية الأيكة التي أبدع فيها النقاشون والرسامون الفرنسيون فكنت ترى صور مشاهير النشاج يعمل على اخراجها « دورتر » ( Dutertre ) و ( ريجو Rigo ) وغيرهم من مشاهير الفنانين الذين صمموا الحلة

وفي هذه الأحتلال تخلى الفرنسيون في تسليمهم على المتطلبات ومن فيها من الفاطنين المهادنين وذكر المجنبي الكثير من ذلك . فقد وضعوا أيديهم على قصر الأمير حسن كاشف جركس بالناحية ونهب التوفاه قصرى الأميرين إبراهيم بك ومراد بك بحط قوصون وأحرقوا أجزاء منها . ومن ذلك أيضا أن جماعة من الجنود الفرنسيين مصحبة مخرجهم ومهندسين قصدوا بيت رضوان كاشف باب الشجرة فزججت زويجه لما غتتهم لها وكانت قد خدعت من قبل الخزينة العسكرية ألفون لاثمائة ريال ولصقت الأوصال على باب دارها فبعد للطلالين عنها ولطمخ على حياتها . فلما حضر إليها الجنود لتفتيش بينها صدمتهم قائلة أن ليس عندها أسلحة أو ملابس باليك . فلما يقتنعوا بقولها صعدوا إلى الدور العلوى ونصروا عباة وجدوا فيها أنواع الأسلحة والخيرة ولللايس كما عثروا على مرام كثيرة غنابة فأخذوا كل ملويعه وقبضوا على السيدة وجوارها فأنقذتهم ثلاثة أيام ونهبوا ملويعه بالدار من أثاث وريش وقرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى فدفعها السيدة وأطلقوها فرجعت إلى دارها

ودرع نابليون تصور أمراء المليك وكبار الأعيان على كبار قواد جيشه فسكن  
الجبال « ديوى » قصر ابراهيم بك فى بركة القيل . وقد كتب فى خطاب أرسله  
لوالده يقول :

« أسكن فى أجل قصور القاهرة » . . .

وسكن الجبال « كالخريلى » وزميلة الجبال « ديتوى » فى يديه الأمريط  
بطل على الأزيكية . ولم يتسع ذلك البيت لحاجتهما فناداه إلى بيت رجب كان يملكه  
الأمير رضوان . . . له دعات رجة وليرات واسعة وناحورات جميلة وأحواض من  
للور البديع وسلام عريضة وحديقة غناء . وسكن السالم الكيلوى « برتولى » وكان  
على السالم « لا فوازه » فى شهرته يت يحيى كاشفه الكبير بحارة عابدين . أما « جود »  
واتان من مترجى الحلة فكان نصيبهم أحد قصور مراد بك القسمة واستولت بعض  
فرق المشاة على بعض البيوت المطلقة على الأزيكية وسوّلها إلى نكتات كاهنتى الحليجات  
السكرية . أما الحياة فحطت إحدى وكالات الأرز فى يولات

وبعد أن انهزم الفرنسيون فى معركة أبى قهر أمروا بأقصاء كثيرين من أصحاب  
البيوت عن بيوتهم بحجة حاجتهم إليها كما هدموا كثيرا من المباني والآثار والمساجد  
لتحصين القاهرة كما سترى

قل الجبرق فى هذا الصدد : وفى شهر ربيع الثانى سنة ١٢١٣ أسروا سكان القلعة  
بالخروج من منازلهم والنزول إلى المدينة للسكن فيها واصعدوا إلى القلعة مدافع دكروها  
بعدة مواضع وهدموا بها أجنحة كثيرة وشرعوا فى بناء حيطان وكراتك وأسوار وهدموا  
أجنحة عالية وأعلوا مواضع منخفضة وغشروا حمام القلعة وأبدلوا عمارتها وعما ما كان  
بها من معالم السلاطين وآثار الحكماء والفضلاء . وما كان فى الأبواب النظام من الأسلحة  
والفرق والبلط والحرب المتعدية وهدموا قصر صلاح الدين وعلمس الملوك . . الخ »

### نابليون يتقرب إلى القاهريين

وسارت جنباً إلى جنب مع سياسة الحرم والشدة التى اتبناها نابليون مع المصرين  
سياسة أخرى هى التقرب إليهم عن طريق احترام تقاليدهم والاشتراك فى أعيادهم فامر  
مثلاً بالاحتفال بوقته النيل . وقام نابليون ورؤساء الجيوش الذين معه وكنيها القاهرة  
والباها وجميع أعضاء دوان مصر والقاضى وأغوات الإنكشارية فى الساعة السادسة

من صباح يوم ١٧ أغسطس سنة ١٧٩٨ وتوجهوا إلى القياس وقد اجتمع هناك فوق  
البحال المجاورة أنوف الناس كما وقعت مجاهير غفيرة على شاطئ النيل والمخيلج وركبوا  
السفن وهي مخرقة بأجل الزينات . وكانت الجنود مصطفة بنظام وحين وصل الموكب إلى  
القياس ضربت المنافع وعزفت للموسيقى العسكرية والفرنجية والآلات القمرية بالألحان  
اللطيفة وأجدا العمل في قطع الجسر حتى نضوه . فتنفع ماء النيل بقوة وبسنة وقر  
نابليون على الناس القنود الصغيرة وقطعا من الذهب على أول سفينة دخلت من المخيلج  
وأمر بحملة إنعامات على بعض الكبراء ثم عاد إلى بيته بالأريكية

ودام الاحتفال بقطيل سنوا أثناء الأعوام الثلاث التي أقامها الفرنسيون في البلاد  
وكان يوم ٢٠ أغسطس عام ١٧٩٨ يوم ذكرى ميلاد النبي سيدنا محمد صلى الله  
عليه وسلم . وانهز بواثرت هذه الفرصة لتوطيد سلطته على أساس احترام تقاليد الأمة  
المصرية . فأصدر أوامره بأن يحفل بهذا العيد في القاهرة في مظهر أجمع وأغرم بما كان  
لهربان وقاء النيل ليكتسب ثقة زعماء الشعب ويوجد لهم . ولكن يبلغ مراده عن العناية  
كلها بأن يكون الاحتفال جلوسا بين الأبهة الأحرية والعظمة الشرقية فأمر بوزج  
الأموال والسلطا على الأمر الفقيرة وإن يسر في الاحتفال ( رجال الأشار ) وطولائف  
الذكر وأرب الطرق الصوفية وحيوات الموسيقى وكوكبات الجند وأن تمام الزينات  
وتطلق الألعاب النارية والسورج وإن تعد المواد للحممة وعليها القوطا من صنوف  
اللطيفة

بعد ذلك طلع نابليون على الناس في بقعة نخمة على الطراز الشرقي ( بجية وقططان )  
وعلى رأس القلعة وفي قدميه الباجج وتوجه على هذه الصورة مع الضباط الكبار وأركان  
حربه إلى الجامع الكبير وكان فيه لميف من المشايخ فأخذ يجلس بينهم على وسائد صغيرة  
طرحت على الأرض وبدله مرسلان إلى صدره مثلهم واستمع منهم تلاوة القصص النبوية  
وكان نابليون في أثناء تلاوتها يتحرك ويميل برأسه كما يميلون . فدهش الحاضرون  
في الجامع بما بدا عليه من الخشوع وانصرف نابليون مع الذين كانوا معه من الضباط  
على مرأى من المجاهير المنشدة قاصدين بيت السيد خليل البكري لتقديم مراسيم التبريك  
وللهاني . فذهب إليه وعلى رأسه الأعلام النبوية ومن حوله جرح المشب مهللين منشدين  
الناشيد القومي ثم جلس بجوار المنشدين وهو يشاركهم في التلاوة والتغنيات وأظهر  
أفاده صبورا في جهود حفلة الذكر من بدنها إلى تمامها ثم مدت مواد الطعام وكان عندها

برجو على عشرين مائة ونهت على الطريقة القشرية في جهو كير . وكانوا يجلسون على  
ومائة وحول كل مائة خمسة أو ستة أشعاص وجلس نابليون بجوار السيد فيكري  
إلى إحدى هذه الموائد وتفرق كبار القواد حول الموائد الأخرى يأكلون مع القوم  
واشركت الفرقة الموسيقية العسكرية الفرنسية في الاحتفال . وأطلق الفرنسيون الألعاب  
النارية في الجو فكانت حفلة شائخة بلغت منتهى السطمة والجلال

## القاهرة بين الإصلاح والتخريب

ثورثان دامينان في أثناء الاحتلال الفرنسي : الثورة الأولى قبل سفر نابليون إلى  
سوريا والثورة الثانية في أثناء تولية كليبر . وكانت كل ثورة بدورها تقضى على عدّة  
أحياء . طما اشتملت الثورة الأولى على الأضرحة التي تقضى الفرنسيون على أم أجرا محوهر  
معظم ساكنيه ولما نشبت الثانية في جولاى تخربت عدّة نواح كاملة اشتملت على عدد  
كبير من البيوت للطلّة على ضفة النيل كما هدم الجباب الشرفى للطل على حديقة الأربكية  
وبعض جهات بركة الرطلى

وقد يمزى هذا التخريب إلى ثورة الأتالي أعسم بدافع شعورهم القومي ضد المحتلّين  
الذين سطوا على البلاد . وعلى كل حال نأنا نجد القاهرة أصبحت بدسقوطها مرسى  
في أيدي الفرنسيين وألوة في أيدي للعسمين السكريين الذين وكل لهم نابليون أمر  
تنظيمها ليكون مع رجلة في مأمن من انقلابات القمامين

قضت الضرورة العسكرية بإزالة عدد كبير من المباني وشق الشوارع الواسعة لليادين  
كما تم في ميدان الرملة ومصر الحقة والمجزرة وشعبا . وذلك لتنظيم مخازن للذخ وتوفر  
التكتات للهند وتسهيل للاتصالات بين أنحاء العاصمة وضواحيها . وكانت تلك الأعمال  
المرمانية القباية تشتهر لعمامة بأنهم يفتدون غنقات أجدادهم القززة . وظهر أن القاهرة  
كان قد كتب لها أن ترى للصائب فتوالى عليها ظم نفع من مصاب الاحتلال الثاني  
حتى وقعت تحت يمان الفرنسيين ولم تكند تنخلص من تلك النكة حتى وصل إليها  
التيانيون والآنجليز عام ١٨٠١ م فتخل الأمن مرة أخرى وبدا الاضطراب وعت  
الاعتداءات واشتر قطاع الطرق من القصوص والبدو على جاني طريقى جولاى ظم يأمن  
للأرة على أرواحهم وتمطلت قوافل التجارة الداخلية وهجر أهل الريف قرام مرأ من  
مظالم حكاهم وقبضوا الأحياء إلى العاصمة حتى اذا عين عد على باشا وألما استطاع  
تهذبة الحال وقضى على صلف المالك كما تحصى من زعمائهم الماكريين

كانت القاهرة حتى عام ١٨٢٠ مسرحاً دائماً للبارك والقوضى والمهاج . فهنا نصيب  
من الجند ثائرة لأنها لم تسلم من نياتها . وهناك فرقة أخرى هجمت على بيوت الأغنياء  
والخاصة للخطف والحب . ولا تكاد الأسواق تفتح أبواب حوائيتها لمرض متاجره  
حتى تاجاً بشر دمة من ممالك بعض البكوات الذين يلقونهم لأمير آخر . وفي ناحية  
أخرى من المدينة كانت الأمراض والأوبئة ترحف بشاطئ طغي بضعايلها المساكين  
في الطرقات وعلى أسطح البيوت والاطلال وتعمر جيث الموتى في كل مكان

وشاهد سائحو تلك الآونة ومنهم « كلارك » « وينيكر » « وديتان » تلك  
الضرائب التي فقت الأعداء أمام أعينهم ودونوا مشاهداتهم في كتب رحلاتهم . وقد  
بقيت الأزبكية وبركة القليل عشرات السنين أكواماً نسيية من الاتفاض واتخذها  
الفقراء ملاجئهم أقاموا بين أعضائها بعد أن كانت قصوراً للعظمة والمجاهة . كذلك كانت  
الحيزة والروضة ومصر القديمة . فصدق على القاهرة ما نقله عنها الرحلة على العباسي :  
« سادها الخراب واتخذتها المصوص وقطاع الطرق أوكراً للثنايم والمنهويات »

### ثورة القاهرة الأولى

نشأت أسباب ثورة القاهرة الأولى باعتقال الفرنسيين للسيد محمد كريم حاكم  
الاسكندرية والحكم عليه بالإعدام وقد الحكم عليه رمياً بالرصاص في ميدان الرميثة  
في السادس من سبتمبر ١٧٩٨ يضاف إلى هذا تخن الفرنسيين في ابتزاز الأموال  
ومصادرة للممتلكات بمنظف الوسائل فمن ذلك أنهم لم يكتفوا بأدوا لنساء للماليك  
بالبقاء في بيوتهم إلا بعد دفع ضريبة كبيرة وبلغ مجموع مافرضه الفرنسيون على  
المسيحية نفيسة ووجه مراد بك عن نفسها وعن ساء للماليك اتباع زوجها ستاة ألف  
فونك فاضطرت في سبيل دفع هذه الفرامة القادحة أن تتنازل عن حليها وبيجوهرها  
ومنها ساعة مرصعة بلجواهر كان قد أهداها لها القنصل « عجالون » باسم الجمهورية  
الفرنسية تهديراً لخصامتها . فكان اضطرابها القزول عن هذه الهدية لفرنسيين احتجاجاً  
شرها منها أما الضرائب التي فرضها نابليون على التجار للصيرين لا سيما تجار القاهرة  
فكانت قهية جداً إذ كان على تجار للنسوجات بالقاهرة أن يدفعوا سن ١٠ ألف ريال  
نقدًا وأربعين ألف ريال ( ملابس وأحذية ) للجنود . وعلى تجار البن والبهارات مائتي  
ألف ريال وعلى الأقباط الذين يعملون ضرائب الأقاليم مائة ألف ريال وهكذا مما  
كان لا يتحمله الأحوال الاقتصادية في تلك الأيام

وأخرج الفرنسيون صدور القاهرة من باخراج الكثيرين من أصحاب البيوت من مساكنهم بحجة حاجتهم اليها وهدمهم الكثير من المباني والآثار والمساجد لصعوبة القاهرة

لم يكن يحيا ان اخططت الدعوة الى الثورة علنا بائذان للؤذين الذين دعوا الى الله والى الثورة على ما ذن للمساجد صباح مساء . فبلغ حياج النفوس أشدهم وكان الشعب في انتظار حادثة واحدة ليخرج بركان حياجه . وتأنثت في الأزهر لجنة لتدبر الثورة وتشر دعوتها وتنظم صفوفها



في اليوم الواحد والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٧٩٨ كانت القاهرة في حالة لم يألفها شعبها من قبل . الخطباء كل مكان يشعلون نار الحاسة في قلوب الأحمال . الأسلحة تظهر في أيدي العامة في الطرقات والميادين . المتلاحون وأهل الضواحي يقولون الى القاهرة للاشتراك في الثورة . وعلت صيحات السخط تنصب على الفرنسيين وأقام الثائرون التاريس والموانع على منافذ الطرقات للثورة اليها فأصبح من المستحيل أن تقتحمها للشاة قبل أن تقوم المدعية بأعمالها الإطباتية الخيرية

على أن الجنرال ديوي ( Dupuy ) حاكم القاهرة العسكري لم يقدر في أيدي الأمر خطورة الحالة حق قدرها . فاكثف بوسائل بعض دولويات من الجند لكنه لم يلبث أن وقف على جالية الأمر . فعزم على مواجهة الثورة بنفسه وخرج مع يوره ومترجمه ليصرف أسباب الحياج . وأصدر أوامره الى الجنود الراحلة بركة التميل بأن تأهب القتال . ومضى في كتيبة من الفرنسيين معه بركة التميل قاصداً مركز الحياج . فقصده للوسكى وانجم الى شارع الثورة وأراد ان يذهب الى بيت القاضي . لكن للشوارع ازدحت بالمجوع فكان يتنقل بصعوبة وابتدأت تنساقط الأحجار عليه من البوارج . وبما كان في طريقه الى الأزهر جاء على نبعده أحد الأروام للتطوعين (رطولوى الروس) في ثريدة من دجالة وأطلق الرصاص على المجوع فكانت تلك الرصاصة كافية لتشل حياة الثائرين . قتلوا على الفرنسيين ضرباً بالهوى ورجماً بالأحجار وطعنوا بالرمح فخرج ديوي ويوره وقتل بعض أفراد كتيبة

أدرك القائد العام خطورة الموقف وأغضبه انتصار الثائرين على عدد كبير من الجند ومجومهم بعد ذلك على مقرقرة للمهندسين العسكريين بيت مصطفى كاشف بالحرب الآخر .

قامر الجنرال « دومركان » قائد المدفعية أن يركب المدافع على أكتاف المقطم الى شرق القلعة ليماون مدافع القلعة في اطلاق قنابلها على الجامع الأزهر . وأمر ناطيون بصين الجنرال « بون » قائد القاهرة خطا الجنرال « ديوي » كما أمر بوضع المدافع على منافذ الشوارع المهمة

وفي اليوم الثاني والشرين يما كان الثائرون مجتمعين في الأزهر قذفت أول قنبلة من المدافع القائمة على روى المقطم فاصحرت في المسجد وكانت هذه القنبلة نذيراباء ضرب المدينة والمدافع وأخذت آلاف القنابل تهال على الأزهر وتقراس في الأحياء المجاورة له وأوشك الجامع ان يتداعى من شدة الضرب فتدفن تحت اقاضه الجماهير الماشدة فيه وأصبح الخي المجاور للأزهر صوة من الحراب . وفتحت قناضه آلاف من السكان الآمنين وكانت الجهات القرية من الأزهر كشوارع القوية والصناديق مسرعا لهذه للمشاهد الفظيعة

وأخيرا تخلت قوة الحديد والثار على مقاومة شب أعزك لاسلاح منه واستهدف سكان القاهرة بعد احماد الثورة لاشد شروب الانتقام . وبلغ عدد الضحايا من المصريين بين ٧٠٠٠ و ٥٠٠٠ وبلغت خسارة الفرنسيين ٢٠٠ قتيلاً منهم مجموعة من العلماء العسكريين

ووصف الجريح مأساة الأزهر فقال « تم دخلوا إلى الجامع الأزهر وم را يكون الخيل وبينهم للشاة وتمرقوا بصعته وقصوته ود طواخيولهم قبلهم واما الأروقة والمارات وكسروا القناديل والسهارات وحشموا خزان الطلبة والمجاورين والكتبة ونهبوا ماويطروه من اللناح والأواني والقصاع والودائع والمخبات تلخزانت ودشوا الكتب وللصاحف وعلى الأرض طرحوها وأرجلهم ونعلهم داسوها وكسروا أبوابه وألقوها بصعته ونواحيه وكل من صادفوه به عروه ( لتجشبه ) »

لم تفت مظالم الفرنسيين عند ذلك الحد فقد كانت القليلات التي أصدرها الجنرال « برتيه » ( Bertier ) رئيس أركان الحرب قامر بالصراعة والقسوة ومن أوامره إلى الجنرال « بون » بتاريخ ٢٣ أكتوبر :

« يهدم الجامع الأكبر ليلا اذا أمكن وترفع الحواجز والأبواب التي كانت تسد الشوارع »

من ذلك نجد أن أعمال الفرنسيين تجاوزت الفرض من احماد الثورة الى الانتقام



والأرهاب . واعترف المؤرخون الفرنسيون بأن اعدام كثير من المتهمين في الثورة ثم سرا في القلعة من غير عاكة . وأمر نابليون الجنرال « برنيه » أن يصدر تعليماته « بقطع دعوى جميع الأسرى الذين أخذوا معهم أسلحة وترسل جثثهم إلى شاطئ النيل فيما بين بولاق ومصر القديمة وأغراقها » وكان من بين القتل كثير من النساء وأعدم ستة علماء من مشايخ الأزهر ولم تنفع فيهم شفاعة أحد . حتى بهم في صباح يوم ٤ نوليد إلى القلعة عنقودين بشرذمة من الجنود وتلى عليهم حكم الأعدام رميا بالرصاص . وتقول تنفيذ الحكم فيهم « بطولوسى الروسى » ثم ألقوا بجثثهم خلف سور القلعة ! وكان من نتائج الثورة أن أبطل نابليون اجتماع الديوان عقابا لسكان القاهرة وعن بصيصين للدينة كما سقى ...

### القاهرة والاعتبارات العسكرية

اعترف نابليون في مذكراته التي أملاها على الجنرال « برتران » في سنت هيلانه أن ترميم القلعة استوجب هدم كثير من البيوت القريبة منها . وقد ساور سكان القاهرة قلق شديد عند ما رأوا الضباط المتهتمين بحولون المدم . ولما كانت شوارع القاهرة وأحيائها مفصولة بسدد كثير من الأبواب الكمية رأى القائد العام أن تلك الأبواب الثقيلة تعطل انتقال الجنود في أحوال القتلة والثورات فأمر هدمها وبني هدم جزء كبير من خط الحسيفة وخارج باب الفتوح والنصر . وخرب مسجد المتنبلاطية المجاورة للباب المذكور . ودم الفرنسيون سور للدينة وأوصلوا بعضه بعض البيت وروا بعض أجزائه وزادوا في تحصين أبراجه كما أقاموا للدارس والأسلاك الشائكة وسدوا باب الفتوح بالبناء وكذلك باب البرقية والباب المحروق وأقاموا للعاقل في أهم طرقات القاهرة وأصلحوا قلعة الجبل وزادوها متاعة . وهدموا مسجد القصى والكزرونى والروضة وآخر بابها وبجانبها كان مجاورا لمتنطرة الدكة فضلا عن سلسلة القلاع التي أحاطوا بها القاهرة وأنها طاية « ديوى » التي أقيمت على راية قرب القلعة للأشراف على حى الأزهر وقد عرفت باسم قلعة الغرب . وطاية « سلكوفسكى » التي أشاوها في جامع الظاهر واتخذوا مآذنه مرصدا للاستكشاف . وطاية « كاتان » بالخراب من متنطرة الليمون وطاية « مورور » في حى طولون وطاية للناصرة فوق تل القناربات قربا من دار المجمع العلمى وعرفت باسم طاية قاسم بك . وقد بلغ عدد القلاع التي أنشأها الفرنسيون في خلال الاحتلال القرنى تسع عشرة قلعة ذكرها السيوطى « جومار »

## تحصين جزيرة الروضة

وحصن فاليون جزيرة الروضة فوضع بطاريات من المدفعية في كل طرف من طرفيها وجعل من للقياس شبه قلعة . وحصن شاطئ النيل مقابل الجزيرة لحماية الملاحة النيلية وجعل فم المجرأة طابية حصينة صممت طاية المجرأة ( أو السج لسواقي ) وجعل قصر ابراهيم بك ( قصر القين ) مستشفى عسكريا جمعينا يسع ألف مريض وجرح وألحق به البيت القى كان بجواره وقد عرف وقتئذ ببيت محمد كاشف الأراموطى وجعله مخزنا ومعتبرا لفرقة الهندسة

## القاهرة بين الإصلاح والتحصين

ولابدأ الحال هذا أخذ وتايلت في تنفيذ برنامج الإصلاحى في مدينة القاهرة . فانهز فرصة المدعو التى خيبت على المدينة وأمر فردت بعض الجهات الخطة بركة الأزيكية والأماكن التابعة لمسكنه غطوها رجة مفسدة وهدموا الدور التابعة لها من الجهة الأخرى وماضى منها من الخدائق قسطوا أشجارها واستقرت أفاضها صارت طريقا معبدا الى قنطرة للفريق التى بعدها الفرنسيون . وكانت قد آلت إلى السقوط وبنوا جصرا متصلا من الأزيكية إلى بولاق حيث ينقسم إلى قسمين : قسم إلى طريق أبي الملا وقسم إلى جهة التبانة وساحل النيل وحفروا إلى جانب ذلك الجسر من مبدئه إلى نهايته خندقين وغرسوا بجانبه أشجارا وميسبانا كما أحدثوا طريقا أخرى فيما بين باب الحديد وباب المدوى عند المكان للسورف الشيخ شبيب . وقطعوا جانبها كبيراً من الخلل المجاور لقنطرة الحاجب وردموا في طريقهم قطعة من خليج بركة الرطلى وهدموا الأبنية التى بين باب الحديد والرحبة التى يظهر جميع القصر ومهدوا الأرض بينهما . فلولوا ذلك كله ولم يسخروا أحداً بل كانوا يدفعون لعل أجورهم « وبنوا أما كنز للأرصاء والفلكية والرياضيات والنقش والرسم والتصوير فى حارة القاصريه حيث المذهب الجديد ورموا ما فيه من يوت الأمراء واستخدموها لذلك الثانية وجعلوا بيت حسن كاشف جركس فى تلك الخطة مكتبة الطالمة يحضرها كل من رغب فى أوقات معينة من النهار وكان اذا دخلها أحد الوطنيين رجوا به « ومن الشؤون التى جمعها الإصلاح على أيدي الفرنسيين شارع التجارة التى كان يسر لسيه فيه وقد أصبح متصلا من باب

الحديد إلى باب العدوى ومهدوا طريقها مستقيماً عرسوا على جابهه الأشجار من الأريكة إلى بولاق يبلغ طوله ١٢٠٠ متراً يبدأ من قنطرة للقنوي ويصير إلى بولاق رأساً وتفرع بقرب بولاق إلى فرعى الأول إلى طريق أبي العلا والثاني إلى البناية وصاحل الليل



حلم قلمى من الداسل

وذكر الجبرتي بين حوادث شهر جمادى الثانية سنة ١٢١٣ هـ أنهم أحدثوا بيط النوى المحاور للأريكة أسية على هيئة مخصوصة يجتمع النساء والرجال للهو والملاعة في أوقات مخصوصة وجعلوا على كل من يدخل إليه قفراً من النقود بدفعه أو يكون مأذوناً ويده ورقة وقد سماه الهرنسيون « كازينو يمولى »

وأقام الهرنسيون مسرحاً لتمثيل الروايات ثم انشاؤه في عهد الخيال « مينو » وهو

الذى سماه الجيرى « كرى » وللقصود « كويدى » وقد وصفه بقوله « وفى شبان سنة ١٢١٥ كل المكان الذى انشأه بالأزبكية تحت للكان المعروف باب الماوهوالمسمى بفهم بالكرى (١) وهو محل يجتمعون به كل عشرة لال ليلة واحدة . يخرجون على ملاعب يلعبها جماعة منهم بقصد التسلل والملاهى مقدار أربع ساعات من الليل وذلك بينهم ولا يدخل أحد اليه الا بصفة معلومة وهيئة مخصوصة (١)

وكان من أم أعمال القرسى فى القاهرة أنهم أقاموا جسرا من السمن يصل بين القصر السنى والروضه جسرا آخر كبيراً من الروضة الى الجيزة وقد أعجبوا بهما جزيرة الروضة وحسن موقعها حتى فكر نابليون فى جعلها مقراً للجالية الفرنسية وان بنى فيها مدينة فرسية ولكن مشروعه لم ينفذ وكذلك وضع الجنرال « ميتو » تخطيطاً لمدينة ينشأها بها لكن لم تنفذ فكرته أيضاً

## نابليون يودع القاهرة

انتهت حملة بونابرت الى سوريا بالقتل أمام عكا فنادى الى البلاد المصرية وفى يوم الجمعة ١٤ يونيو عام ١٧٩٩ أعلنت السلطة الفرنسية لاستقباله احتفالاً كبيراً دعت إليه أعضاء الديوان والأعيان والرجال والفرقة وغيرهم . وقرعت الطبول فى نواحي المدينة وحضر قواد الجيش وكبار موظفى الحكومة والأعيان الى ميدان الأزبكية بدار القيادة العامة . ثم انطلقوا جميعاً لاستقبال نابليون خارج المدينة وللإشراك فى موكبه العظيم . فقابلهم نابليون وأهداء الشيخ خليل الكرى جواداً مغطياً بقوده للملك رسم الذى اصطلحناه نابليون واستصحبه فى رحيله الى فرنسا وصار خلفه الأمن . وأهداء العلم جرجس الجوهري هيتين جميلين عليهما سرجان بديان . ودخل نابليون القاهرة من باب النصر مخترقاً شوارع المدينة حتى وصل الى ميدان الأزبكية بين قصف للنافع وقرع الطبول وندى « الجيرى » ان للركب استمر خمس ساعات متوالية . سمر فى شوارع القاهرة الى أن وصل الى الأزبكية

ولم تكف تسرع الجند من أهوال الحرب الشامية حتى جاءت اباء حملة عثمانية لإخراج الفرنسيين من مصر . فامر نابليون بأعداد حملة تسير الى الاسكندرية وكان الأتراك قد احتلوا قلعة أبى قير ( ١٧ يوليو ١٧٩٩ ) واستطاع الفرنسيون ان يدحروا بقوات عثمانية محاصروم فى القلعة المذكورة حتى انتهت ذخائرهم واحتلواها فى اليوم الثانى

من أغسطس وقد اعصر الفرنسيون معركة أبي قير البحرية فوزا كبيرا انتهج له فاقطعوا الحفلات في القاهرة ثلاثة أيام . ثم عاد نابليون الى القاهرة في يوم ١١ أغسطس ١٧٩٩ ويزل بدار الألقى بك بالأرمنية وكان في ركابه جماعة من أمراء الجيش التركي فامن باستمر اضمهم في ميدان الأرمينية ثم ساروا بهم في شوارع القاهرة للتأثير في نخبة الجماهير واقناعهم بخوضهم في معركة أبي قير

ولم يلبث نابليون الا قليلا حتى وردت له من فرنسا رسالت تلح في عودته إليها نظرا لاضطراب الأحوال السياسية في أوروبا . فنظم الحامية الفرنسية في البلاد للصرة وأسرع الى مفاددة القاهرة هائيا في ١٨ أغسطس ١٧٩٩ بتكتم شديد بعد ان ترك مكانه في مصر الجنرال كليبر

## العثمانيون يعودون للقاهرة

حلوت حملة عثمانية اخرى اخراج الفرنسيين من مصر فهاجتها من شواطئها الشمالية بأسطول كبير . لكن بحملة الفرنسيين لم تمنح لهم سوى المزية في معركة عزبة البرج بالقرب من دمياط . وكان ذلك في أول نوفمبر ١٧٩٩ وبالرغم عن استعداد كليبر للحرب وتوقوه على الأتراك كان مقتضا بضرورة الصلح وبوجوب انتهاء حالة الحرب التي كانت تركيا تستعد لها بأرسال جيش كبير بقيادة الصدر الأعظم يوسف باشا ضيا . وعقدت معاهدة العريش وأتم تصورها بجلاء الفرنسيين عن مصر . إمام قضا الأتليز حفظاء الأتراك تلك المعاهدة بالرغم عن استعداد كليبر للجلاء النهائي وبعد ان وصل متعوب من الحكومة العثمانية لتولي إدارة البلاد

ورأى كليبر ان قضا الأتليز لمعاهدة العريش بالرغم من اشتراكهم في مفاوصتها بانذار الحرب فأخذ يستعد لقتال الجيش الثاني . وكانت معظم قواته قد اصطلت للمركة في سهول القبة طلب الى الصدر الأعظم الانسحاب الى الحدود الشمالية فلما لم يصل ابعدا تحركه في صبيحة يوم ٢٠ مارس قاصدا مواقع جيش قاصيف باشا في الطرية استطاعت قوة من فرسان هذا الجيش ومشاه الا فعمال عنه وانجحت الى القاهرة بقيادة نصوح باشا فدخلتها في الوقت الذي كانت تيران المعركة مستمرة في الطرية وعين شمس

علم كليبر بدخول هذه القوة للقاهرة فكلف أحد قواده بضمها خوفا من ان تطلع على الرجعة على الجيش الفرنسي

انصر كلبير على الاتراك بسهولة وتحقر الجيش الثاني شمالا بدون انقطاع  
بعد ان تكبد خسائر جسيمة . ويمكن ناصيف باشا من الانسحاب من ميدان القتال  
مع بعض قواته بعد القوات العثمانية التي قصدت لطلبها قيادة صوح باشا يصعبه عثمان بك  
كصدا المودة وجماعة من كبار رجال المالكة  
ولاشك في أن عودة العناجن الى القاهرة في مثل تلك الظروف شجعت روح الثورة  
في قوس الشعب . وبدأ التمريض الى قتال الفرنسيين يجدد في مختلف البلاد لاسيما  
القاهرة . وهكذا لم يكذب يمحرج الجنرال كلبير ظاهرا من معركة عين شمس حتى واجه في  
القاهرة ثورة جديدة أعظم من ثورتها الأولى

## ثورة القاهرة الثانية\*

[ ٢٠ مارس - ٢١ أبريل ١٨٠٠ ]

شهدت نيران الثورة في القاهرة يوم ٢٠ مارس بزمامة السيد عمر مكرم يقب الأعراف  
والسيد أحمد الحرقوقي كبير التجار والشيوخ الجوهري

فلم يكذب يسمع سكان القاهرة تصف للناضح في ميدان معركة عين شمس حتى بدأت  
الثورة في حى بولاق فأقام أهلها حول الحى اللواتح والتاريس واتصموا غارز للقتال  
والودائع التي الفرنسيين وكان يزعم ثورة بولاق الحاج مصطفي البشتيلي . حمل الثوار  
ملوصلت اليه أيديهم من السيوف والبنادق والرماح والصصى وانجموا بمجموعهم صوب قلعة  
قنطرة اليمون (قلعة كمان) لاحتصانها ولكن حامية القلعة دبت هجومهم بفران للناضح فأعاد  
لثوار مفقودهم واستأفوا الهجوم فأرسل الجنرال « فريدييه » مددا من الجنود الى  
الحامية فشنوا شمل القاترين بفران للناضح والبنادق وقتل في هذا الهجوم ثلثائة  
من الثوار

ثار الإحالي في الأحياء الأخرى المدينة فأنجموا الى مصر للقيادة العامة بالأزبكية  
( بيت الألقى بك ) طلق القاترين الجفال « دبرائحو » بنار شديدة فردم على أعقابهم  
واحتلوا بعض المنازل المجاورتين لانبثاق النار على السكرك . فأعلنت الجود الفرنسية  
مبارس من جنود التخييل للقطع عن مصر مكرم ثم كور الثوار هجومهم فثبت لهم الجنود

\* هذا الفصل مقتبس من كتاب الحركة القومية للاستاذ المؤرخ عبد الرحمن بك الرافعي

وكان نطاق الثورة قد اتسع وتطورت فيها طبقات الشعب فأراد الجبال « فريين » إعادة النظام في القاهرة لكنه لم يستطع القضاء على الشوارع لكثرة حاربيها ومنازلها المخصصة فقد أقام الثوار للتاريس على أبواب المدينة ومحطم أحيائها كباب اللوق وناحية الدباغ والمهصر والشيخ ويحان والناصرية وقصر السني وقناطر السباع وسوق السلاح وباب النصر وباب الحديد وباب الخرافة وباب البرقة والسريفة والرومي . وكانت للتاريس متبعة جدا بلغ علو بعضها اثني عشر قدما . وأنشأ الثوار في أربع وعشرين ساعة معسلا طيارود ( ١ ) في بيت قائم أغا بالمخرومش . وأنشأوا معسلا لأصلاح الأسلحة والمدافع وآخر لمنع القتال وحسب للدافع جمعوا له الحديد من المساجد والخرافيت وعطوع الصناعات لعل يد . وأخذوا يجمعون القتال التي تساقط من المدافع الفرنسية في الشوارع لاستعملها قذائف جديدة . وعطوع الأهالي لأمداد الثوار بالطعام وتوزيعها وباتر السيد المرقوق وباقي التجار مايزم لها من النفقات

## عودة كليبر

وصل الجنرال كليبر يوم ٢٧ مارس بعد ان ترك حلييات من الجنود في العاصمية والملايين الأخرى فوجد ناز الثورة تضطرم في أحياء القاهرة وشاهد في بولاق ومصر القذبة حصون الثوار ووجد جميع الوكالات والمخازن التي على النيل قد تحولت الى شبه قلاع احتلها الثوار وصارت للملاحة في النيل تحت رحمتهم . فأدرك خطر الموقف وعزى أن أخذ الثائرين بالقوة للسلطة قد لا يؤدي إلى إخماد الثورة لاستعمال الثوار في المقاومة وتمهينهم وراء للتاريس للنهضة فضلا على توزيع وحدات جيشه في انحاء الوجه البحرى

تبين له ان المبادرة الى مهاجمة الثوار بقوة المدججوا للثار مجازفة لا يؤمن عواقبها وراى من الحكمة ان يأخذهم بالمطالبة ويستعمل الرمي في كل حدم ويد الشقاق بين صفوفهم . على أنه من جهة أخرى أخذ في فترة الانتظار يد للمدات لتقع الثائرين ويحقق للثوار ويقيم الاستحكامات ويرك المدافع ويد للواد للتهبة التي عزم على استخدامها لاحراق القاهرة

أعطيت مذكرة كليبر وبدأ للملايين والأفراك يتقون سلاحهم فوجه الفرنسيين وأخذ مراد بك بماوض الجنرال كليبر للاتفاق مع الفرنسيين تمهيدا لمواجهة الثورة ولتطلب عليها

وبهذه السياسة اخضع كثير الوجه البحرى ثم اتفق مع مراد بك فيما كانت الدافع  
الفرسية تطهر سكان العاصمة وابلا من قتلها . وقبل مراد بك أن يحكم الصعيد تحت  
حماية فرنسا واشترك مع أعداء البلاد في مأساة احراق القاهرة بما قدمه للقائد  
العام من الاحطاب

ولما وصلت فرقة الجنرال « ريشيه » من الحدود الشرقية عسكرت أمام القاهرة  
واحتلت الآكام المشرفة على المدينة من قلعة « كلان » الى قلعة « سلكوفسكى »  
( جامع الظاهر ) ومنته إلى قلعة المقطم فأحاطت المدينة شمالا وشرقا . وابتدأ الهجوم  
على مواقع التواريلة في أبريل فاحتلت مطار بسببها اقتضعت منازلهم وأضرمت النار في  
المباني التي كانت تحرق قديم الجند . واستطاعت ان تسد ميسرتها الى سور القاهرة  
القديم ويمينا الى مواقع الفرنسيين في ميدان الأزبكية . واشتد القتال حول المواقع  
التي احتلها الفرنسيون واستردها التواريلة بعد المرة . ولكن تمكن الفرنسيون في المرة  
الثالثة من تدمير أقدامهم فيها وظلت للتواشات بين الفريقين الى اليوم العاشر  
من أبريل

وفي اليوم الثاني عشر أجلى الفرنسيون التوار عن كوم أبى الريش عن جامع  
الظاهر والمسكر العام للأزبكية . وكان نقطة ارتكاز عامة للتوار واقتضت قوة  
للتنازل المحيطة بركة الرطل وأضرمت فيها النار واستبقت بعض المنازل الصالحة للصعيين  
فيها . وكان التوار يحطون بيت فرقة المنتسة بميدان الأزبكية فضربه الجنود بالدافع  
واحتلوه بعد جلاء التوار والصائين . فامتدح التوار في بيت آخر بالقرب من بيت فرقة  
المنتسة عرف بيت احمد أنا شويكار . وركبوا مدفعا في حديقة منزل السيد البكرى  
وأخذوا يطلقون النار في الجهتين على الفرنسيين حتى أصابوا الدافع للركب في حديقة  
البكرى وألقوه فانحصر التوار في بيت احمد أنا وظلوا فيه حتى اليوم الثامن عشر  
دس الفرنسيين لها تحت جدران البيت ونسفوه فاحرق كل من فيه . ثم استأنفت  
القوات الهجوم على أحياء المدينة هوما طاما من الناصرية ولباب الوق والمدايغ والنجالة  
وكوم أبى الريش وباب الشمرية فوطد الفرنسيون مراكزهم وضيقوا على التوار فاشتد  
الضيق بالأحالي وبدأت فكرة الصلح لوضع حد لمأساة القتل  
ولكن كانت هناك مأساة أخرى . ففي اليوم الرابع عشر أنفرا الجنرال كثير العاصمة  
بالسليم ولا لمجبا للتور بالأنذار هجمت الجنود الفرنسية صبيحة اليوم الخامس عشر



على حى يولاى واحطروا واجلا من القنابل على حصون النازين فخرت فيها نفقات كبيرة  
انفق منها الجنود الى شوارع الحى واضرموا النار فى كل البيوت فاشتعلت فيها وامتدت  
الى مباني الحى من مخازن ووكالات فالتهمتها . ودمرت ذلك الحى الكبير الذى كان  
ميناء القاهرة . وهدمت الدور على سكانها فبادت أسرأت كاملة تحت الانقاض  
وكانت مأساة محزنة . واعتقم الفرنسيون من أهالى يولاى انتقاما مروعا بد ما تسببوا  
فى المنافع عن حجمهم بشجاعة نادرة وكانت الحملة تسيل أنهارا فى الشوارع ونحوك  
لك المدينة الزاهرة الى خرائب وأطلال وظللت النار تلتهمها نماية أيام

طلب الأهالى التسليم فى نهاية الأمر لكن الفرنسيين لم يكتفوا بما حل بيولاى فقرضوا  
على أهلها ومتاجرها غرامة جسيمة قيمتها ٥٠٠ ألف ريال . وفرضوا أيضا تسليم المدارس  
والقناطر الموجودة فى ترسة يولاى وما فى المخازن من اخشاب وغلال وشعر وأرز  
وهدس وان يسلموا أرضا بمائة بتدقية ومائى طيعة وقبض الفرنسيون على الحاج  
مصطفى البشيلى رئيس القوار وطلبوا من أبطاعه ان يخطوه لأنه السبب فى اكلهم فصرى  
بالصلى حتى مات

واستمر الفرنسيون يسرقون فى لارتكاب المظالم لأعداء الثورة واتبعوا وسيلة  
إخرام النار فى الأحياء الآخرة بالسكان فأحدثت الحرائق تحريبا عظيما فى القاهرة  
واحترقت أحياء برمتها وقلعت النار خط الأريكة وخط الساك والنفوة والرومي  
ويولاى وبركة الرطل وما جاورها وباب البحر والمحموي والحدوى الى باب الشعربة  
فأصبح منظر القاهرة بعد ما حل بها مفرقا يملأ القلوب حزنا وأسى  
وأخيرا أبرمت معاهدة التسليم بعد ثورة دامت ثلاثة وثمانين يوما . وأخذ الأتراك  
والنابليك يطوفون مصليات الرحيل وسار معهم زعماء الثورة من المصريين أمثال السيد  
عمر مكرم قبيب الأشراف والسيد أحمد الخروقي كبير التجار . ومادت السلطة الى  
الفرنسيين واحتفل كبير بانتصاره فى مهرجان عظيم كان هو فى طليعه

## الجنرال كليبر والحلبى

فى ١٤ يونيو ١٨٠٠ دعى كليبر الى عشاء عند اركان حرب الجفال « دماس » فى  
مقره بالقرب من ديوان الجيش بالأريكة وخرج بعد تناول الطعام هو والسيد « روتيه »  
مهندس الحملة يمشيان فى رواق موصل بين بيت الجفال « دماس » والديوان نحو الباحة

الثانية بد الظهور. وفي أثناء حديثهما وثب رجل من نهاية الزواق وفي يده خنجر طعن به صدر الجنرال كليبر فنادى الجرس ونجم « برتين » على الرجل فقال منه متلبا قال كليبر فسقط « برتين » على الأرض ثم تركه الرجل وعاد الى كليبر ولطمته ثانية وثالثة حتى أجهز عليه ولم يسمع ضجة فر الى حديقة بالقرب من ذلك المكان واختبأ وراء الحائط فلما أتى المنفر لم يروا الا رجلين يصحطان في ثماثهما حملهما الى البيت وأتوا لهما بالطبيب . فأتى كليبر بد ظليل وظل « برتين » تحتها لجة

قبض على الجاني وكان اسمه سليمان الحلبي وحكم عليه بالإعدام على الحازوق وكذلك أعدم شركائوه الأربعة الذين اتضح لهم انهم معرضوه

تولى القيادة العامة بد كليبر « الجنرال مينو » الذي تظاهر بالإسلام وبما نسه عبد الله . وفي أيامه زاد ارتباط الفرنسيين في الأزهر فلما رأى عطاؤه ذلك عرضوا على « مينو » إقتالهم قاطعا فقبلت أجابه (مهرم ١٢١٥ هـ - ٢١ يونيو ١٨٠٠) وظل مقفولا الى ان شرع الفرنسيون في الجلاء عن مصر فأعيد فتحه (مهرم ١٢١٦ هـ - ٦ يونيو ١٨٠١) ولم يكف الفرنسيون في أيام مينو عن إنسان مظالمهم فقد ذكر الجبرتي « وتأجروا نهب المحور بأذى شبهة ولا شفيح تقبل شعاعته او متكلم تسمع كلمته واحتجب ساري عسكر « مينو » عن الناس وامتنع عن مقابلة المسلمين وكذلك عطاه الجنرالات وانحرفت طباعهم عن المسلمين زينة عن أول واستوحشوا منهم وزلوا رعية القتل والموان . . . » وفي مكان آخر من كتابه ذكر أيضا « ويجوزوا جميع أركان الذي بالأريكية سوق الزاد وكثر الخدم في المحور وخصوصا في دور الأسراء واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٥ (سبتمبر ١٨٠٠) والأمور من اوضاع ذلك تضاعف والظلمات تكاثف »

## الاتقام من عروس الشرق

استمر الفرنسيون في سياسة التمدد والتغريب لأغراضهم الحربية . فقد أخذوا يجمعون بناء القلاع التي كان الجنرال كليبر قد شرع في انشائها . وهدموا كثيرا من البيوت والحصارات إما لأخذ أخشائها وأدوات البناء منها واستخدامها في بناء القلاع والحصون ولما لكشف الجهات التي شرعوا في إقامة الحصون بها كما هدموا بيوتا أخرى لبيع أخشائها أو اعتمادها وقودا . فهدمت خيلط بأكلها كالحسينية والحروري (بمصر القديمة) وبركة جناق (باب الشرية) وبركة القيل وكشفوا سور القاهرة القديمة من باب النصر

إلى باب الحديد وحصنوا أبوابه وأقاموا حولها الأسلاك الشائكة وسدوا باب الفتوح  
بالبناء وكذلك باب البرقية وباب المحروق

ومن المهارات التي هدموها جامع الجبلانية بباب النصر وعدة مبانٍ بالحطابة وباب  
الوزير وهدموا أعلى المدرسة النظامية والجامع المعروف بالسبع سلاطين وجامع الهرمكي  
وجامع خوند بركة خارج باب البرقية وكذلك أبنية باب القراة ومدارسها ومساجدها  
والقصاب والمدافع الكثيرة تحت القلعة وجامع الرومي جملوا منه حانة يمتسون بها الخمر  
ويجزءا من جامع عثمان كنعدا القرد على وجامع خير بك حديد بالقرب من بركة القليل  
وجامع البهاوي والطروطشي والسوي وجامع عبد الرحمن كنعدا المقابل لباب الفتوح  
ويبقى منه في أيامهم إلا بعض الجدران



بركة القليل كما كانت في أوائل القرن التاسع عشر

وهدموا مصاطب الخوايت واقتلوا أسيارها وعللوا ذلك برعتهم في توسيع الطرقات  
والأثرة لمزود العررات وغرضهم الحقيقي منع الناس من اتخاذها متاريس في حالة قيام  
الثورة وهدموا تلك المصاطب في أحياء كاملة كالصليبة وقناطر السباع ودرت الجماع  
ودرت سعادة وباب الخلق فما يليه إلى باب الشمرية . فاشتد المصير بأصحاب الخوايت  
لأنهم اضطروا بعد هدم مصاطبهم أن يترؤوا داخل حواشيهم فصارت أشبه بالسجون  
ولو طال بهم الحال لهدموا مصاطب العقادين والمورية والصاعدة والتجاسين إلى آخر  
باب النصر وباب الفتوح

وهدموا القباب والمدافن الكائنة بالقرب من الجواردة لقلعة خوف من تحصين المقاتلين بها وأزالوا جانباً كبيراً من جبل المقطم بالإبرود من الجهة الشمالية لقلعة خوف من تمكن الأتراك منها والربى على القلعة

وصادروا الأخشاب قطفوا الأشجار والتخيل من جميع حدائق بساتين القاهرة وبولاق وقصر العيني والروضة وقصر القديبة وخارج الحسنية وبركة الرطل وأرض الطباة وبساتين الخليج وكذلك عملوا في الأقاليم وأخذوا أيضاً أخشاب السنن مع شدة الحاجة إليها لنقل قصور إنشاء سفن جديدة وتطلت للواصلات وصعب النقل وارتفعت أجور الشحن

وفي تلك السنة زاد النيل زيادة مفرطة لم يعرف لها مثيل من قبل ففرت الأراضي وحوصرت البلاد وتطلت الطرق فصارت الأرض كلها لجة ماء وتهدمت الدور المقامة على الشواطئ. ويرى للاء في المدينة من جهة الناصرية وطلع من بركة القيل إلى درب الشمسي وطريق قنطرة عمر شاه

### رحيل الفرنسيين ووصول الإنجليز

انتهت أيام الفرنسيين في مصر على يد « مينو » فقتلهم الأتراك في معركة « كاتوب » ( ٢١ مارس ١٨٠١ ) بعد أن خسروا نحو ألف ومجساة من القتل وألف من الجرحى وقصد الإنجليز نحو ألف ومجساة تقتيل منهم قائد الحملة « الجنرال أبروكرومي » ويخرج بعض قوادهم ومنهم السيد « سيدى سميت » الذي اشترك في القتال وهذه المعركة ( ويسمى بالإنجليز معركة الأسمكتيرية ) في تاريخهم الجري منزلة بمنازة . وقد مهد هذا النصر للإنجليز الاستيلاء على رشيد مع الجيش التركي ( نرى المجلة ١٢١٥ هـ = أبريل سنة ١٨٠١ م )

بدأ الجيش الإنجليزي التركي بزحف على القاهرة وحدثت عدة معارك في الطريق من أهمها معركة الرحاية ( ٩ مايو ١٨٠١ ) . وقد ذكر الجيوش تباً لأحداثها في حوادث شهر محرم سنة ١٢١٦ هـ . وفي خلال تلك اللدة استولى الأتراك على دمياط بعد انسحاب الفرنسيين منها كما أخذوا قلعة عزبة العرج وقلعة القويس . وبدأ الفرنسيون يتفنون خطة النخاع عن القاهرة فسكر الجنرال بليار في الاستعداد بحليف فرنسا مراد بك . ولم يكن هذا يرسل له الامداد من رجاله حتى أدركته المنية وتوفي وهو في طريقه إلى مصر فدفن بسوهاج ( ١٢١٥ هـ - ١٨٠١ م )

وصل الإنجليز إلى إمابة بعد أربعين يوما من وصولهم إلى الرحمانية واحتشدت القوات الإنجليزية على الشاطئ الأيسر لنيل قوات يوسف باشا على الشاطئ الأيمن وأقام الإنجليز جسرا من القوارب بشيا لاتصال الجيشين بفلت قواتهما في ذلك الحين نحو ٤٠٠٠٠ من المقاتلين فينا كلن الجيش الفرنسي بالقاهرة لا يزيد عن عشرة آلاف مقاتل على الأكثر موزعين على خط طويل يمتد من البجيزة إلى حدود القاهرة شرقا وشمالا ومن مصر القديمة إلى بولاق

وأخيرا أاجتمع مجلس حربي بقيادة الجنرال «بيلار» في القلعة فشرح موقفنا لجيش الفرنسي وكان ميالا إلى التسليم وعرضه بعض أعضاء المجلس . لكن انتهت المفاوضات بين الفريقين على جلاء الجيش الفرنسي عن القاهرة وقلاعها وقلاع بولاق والجيزة وعن جميع الجهات التي تحتلها الجيوش الفرنسية في الأراضي المصرية وحددت الجلاء عن القاهرة وبولاق اثنا عشر يوما . وإن يتم الجلاء في أقرب وقت ممكن بحيث لا يزيد عن خمسين يوما من يوم التصديق على الاتفاق

أدخل الفرنسيون قلعة القطم وبقي القلاع والحصول والمطارس وانتقلوا إلى الروضة وقصر العين والجيزة استعدادا لنزولهم في السفن التي أعدت لنقلهم بالنيل إلى رشيد ودخلت الجنود الثانية للمدينة وفي (٤ ربيع الأول ١٢١٦ هـ - ١٤ يوليو ١٨٠١) أدخل الفرنسيون القصر العيني والروضة والجيزة وأطلقت سبيلهم عندها ثمانية المرسيد . وبذلك تم جلاءهم عن القاهرة وضواحيها وأخذوا معهم رفات الجنرال كليو وساروا من رشيد إلى أبي قير وابتعدت بهم السفن في لواء أغسطس سنة ١٨٠١ إلى فرنسا وبجلاء الفرنسيين آلت السلطة الفعلية في القاهرة إلى قوات الجيش التركي والإنجليز أما في الإسكندرية فكان الجنرال «مينو» لا يزال قابضا على ناحية الحال فاضطر إلى الاتفاق على شروط الجلاء يوم ٣١ أغسطس سنة ١٨٠١ وبدأ في تسليم قلاع الإسكندرية وجعلوها تم رحل عنها يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٨٠١

وبجلاء الفرنسيين عن مصر بعد احتلال ثلاثة أعوام وشهرين طويت صحيفة الاحتلال الفرنسي . وبدأت تتنازع السلطة في مصر ثلاثة قوات : الأتراك والإنجليز والمماليك . وظهرت قوة رابعة على مسرح النضال السياسي وهي قوة الشعب المصري

\*\*\*

قلد خسرو باشا ولاية مصر وهو أول عمالي من بعد جلاء الفرنسيين . وبدأ الجيش

الانجليزى باستحباب من معسكراته فلم الحيلة الى حبرو باشا فى مايو ١٨٠١ ولم يبق من الجيش الانجليزى فى مصر سوى القوة للمراطة الاستكشافية فظلت مهاجى اهرم صلح أميان (١٧٠٢) فتم جلاء الانجليز

## قاهرة المجمع المصرى

أقام الجيش الفرنسى فى مصر نحو ثلاث سنوات كان فى اثناها ضعيفا ثقيل على البلاد وقد يقال إنه دفع ثمة ناهضا لتلك الضيافة غير المرغوبة واداكنا لاندكر الحملة الفرنسية واحتلالها لبلادنا الحبيبة الاناض والكرامية الا أنه مع هذا الشعور القومى الطيب



أعظم المجمع المصرى لبيت الامير حسن كاشف القاهرة « عن وصف مصر »

يجب ان نذكر شيئا واحدا استعادت منه البلاد هذا هو المجمع للمطبوعات المصرى الذى أسسه نابليون عند دخوله القاهرة وكان عسوا فيه ومعه اولئك العلماء الادباء وكبار القواد والمصباحين لهم باع فى العلوم والآداب . انشأ نابليون هذا المجمع عقب وصوله بأكاديمية الاسطول الفرنسى فى أفى قبر وعهد الى سبعة من العلماء من أقطاب لجنة العلوم

والقنون وقواد الجيش اختيار أعضائه وهؤلاء السبعة هم العلماء : مومبروتولي وجوفروا  
سان هيلر وكومتاز والطبيب ديميت والجرالين كاتريالي وأندريوس  
أصدر أمره بإنشاء هذا المجمع في ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٧ . وقد تألف من ستة  
وثلاثين عضوا موزعين على أربعة أقسام هي : الرياضيات والطبيعات والاقتصاد  
السياسي والآداب والقنون . واختار اللامان مونج ورنولي والجسرال كاتريالي قصر  
حسن كاشف شركس بالناصرية ليكون مقرا لمئة المجمع وألحقوا به القصور المجاورة  
التي شيكها للماليك وخصصت لسكن الأعضاء ومئة العلوم والقنون كقصر قاسم بك  
وبيت ابراهيم كصناديق الساري وبيت أمير الحج وكانت سراي حسن كاشف من أجل  
قصور للماليك في القاهرة ( ومكانها الآن المدرسة السنية بالناصرية ) وصنفا الجوق  
خلال كلامه عن حسن كاشف فقال : « إنه عمر الممر السليمة بالناصرية وصرف عليها  
أموالا عظيمة وقيل ياضها وصل الفرنسيون الى مصر فسكنها الفلكيون واللدرونزواهل  
الحكمة والمهندسون فذلك صيقت من الخراب كما وقع لغيرها من الدور . وذكرها  
السير « جوفروسان هيلر » أحد الأعضاء في رسالته للنشورة بكتابه رسالتين من مصر  
وظاهر مما كتبه عنها انها كانت خالية في السخامة قد كتب بتاريخ ٣٠ أغسطس سنة ١٧٩٨  
رسالة الى العلامة « كوفيه » قال : صحت من المجمع العلمي بالقاهرة وهو يتألف من  
قصرين من قصور البكوات ( حسن كاشف وقاسم بك ) ويصين من بيوت الأغنياء .  
وهذه الدور للتجارة يسكنها العلماء والحنين وفيها من وسائل السخامة مالا يقل عن  
الور . وانا لتجد منها من أسباب الراحة أكثر مما في القور وبجوارها حديقة فسيحة  
يبلغ مساحتها نحو ٣٥ فدانا جيدة الفراس خصصها للزراعة . أما قاعة جلسات  
المجمع فأنها مزدانة بأجل ماني قصور للماليك من الأثاث « وكان هنا القصر الجميل  
أول مقر لواء النصف للصري اد أودعت فيه بعض الموميات ومجر رشيد الذي  
أكتشفه الكابن بوشار

وقد بذل أعضاء المجمع المصري جهودا كبيرة في خدمة العلم والقرن وكانوا دائمى  
النشاط مجدين مثابرين . ويكتفيهم نفرا أهم أخرجوا الكتاب لتفيس الذي يجرى الى  
اليوم في مقدمة للراجع الحقبة في القنون للصرة . . وهو كتاب وصف مصر .  
(Description De l'Egypte) ذلك المؤلف الضخم الذي يد بمق عنوانا صريحا  
يشهد بكنانة علماء الحملة الفرنسية

# فتاخرة الجبوتى

القاهرة جد الفرنسيين - طاهر باشا - يوم وليلة - مجد بك الاتقى - ثورة القاهرة -  
للقاهرة من أول مايو وكسح يوليو - ولاية جندة - ١٢ مايو - مجد على باشا والى  
مصر - السيد عمر مكرم - ابتهاج القاهرة - يوم مصر - ضربة قاضية - الشيخ  
عبد الرحمن الجبرى

\*\*\*

رأيت فى الفصلين السابقين كيف آلت القاهرة بحال  
للإليك إلى ميادين القتال . وحوالها الفرنسيون بمذاهبهم  
إلى خرائب قويت على جدرانها صور البؤس والشقاء  
براما الناظر عدة قرى متلاصقة فى كل من أحيائها  
لكم البوابات الضيقة الواقعة على العزوب والحارات  
والسلف . وكانت كل بوابة تنلق بعد صلاة المشاء على  
أهل الحى ويتم خفها حارسها القوي سلطانة . فلا  
يمرؤ أحد الأهل على التأخير بمصلحة المشاء اللازمة



شديدة . وكانت تصنع تلك الأبواب نابة فى المظانة وتطلى  
بطلاقات صميكة من ألواح النحاس أو الحديد وتثبت بالمسامير النليظة وتقطع دحرسها  
وهذه القوم فى صناعة اللزلاج القى كان يركب فى داخل الباب وغارجه وتلق  
البوابة بالدرامل المشوية القوية « والتربان » الحديدية

بدأت القاهرة تحقد طابعها الشرقى الذى اعتازت به وبدأت تنقل عمارتها الجميلة  
التي ازدادت بها أيام المماليك البحرية والخراسكية ولم يكن لظهور القبيوت رونق بل انجبت  
النسابة الى ترينها من الماخذ . ولم تكن هنسة البناء يعهد بها التناسب أو سراجة  
الفواعد الصمعية واندم التناسق فى توزيع النور والهواء داخل المساكن بل كانت



تشيد البيوت حيثما اتفق . لجميع الغرف لاتفق في مستوى أرضيتها . غرفة مصيبة  
وأخرى مظلمة . وقاعة واسعة وأخرى ضيقة . ثم ترى القاعة التي يجزر الواسف عن  
حصن روهها مزودة داخل دهلير مظلم . ولكن مع تأخر صناعة البناء شيد الأمراء  
للتنازل الواسعة والمساجد العظيمة ، وكان كل أمير يجمع حوله أتباعه وحشبه ويسكنهم



القاعة الكبيرة بيت جمال الدين الناصر

في بيته . وكانت تشيد في البيوت المخازن والحوانيت مثل بيت الشرقاوي فإنه كان يبيع  
أربعة أهدنة . وكانت بجهات سوق السلاح وسوقة المز وعابدين كثير من أمثال تلك  
البيوت التي تحولت فيما بعد إلى أحواش سكنها الفقراء والعمالة  
لم تعرف القاهرة تلك الأيام نظائرا مينا لشوارعها . تخرجت بعض البيوت عن

حدود الطريق العام ودخل البض عنه هذا له مشريات قرية من مستوى الطريق  
وآخر لا ترى له منافع . ومن شيد عمارة ورأى أمام منزله قضاء أدخل منه في المنزل  
ما أحب بلا قيد . وكذا القصور لم يزد سعة عن الحارات . ولم يكن للحكومة  
( إذا صح القول بأنه كان هناك في ذلك العصر شيء يجدر بهذا الاسم ) اعتناء  
بأمر النظافة أو بالصحة فكانت تلتقي القنادورات أمام المنازل وعلى مداخل الأزقة .  
وما تبقى من انخفاض المدم من الأتربة والأشجار التي به بالقرب من أبواب المدينة  
فتصير تلالا . قلنا نستغنى الرياح تكونت منها فوق البلد سحابة تراب كريهة الرائحة  
فانسعت دائرة الأمراض . وكانت مقابر الملوك في وسط المدينة ككثيرة السيدة زليخة  
وكان كثير من الناس يدفنون موتاهم داخل بيوتهم وفي المساجد وفي المدارس

اقسمت القاهرة الى بضعة أحياء مجاورة فمرت الجالية بما يباع فيها من واردات  
الشم والحجاز وحضرموت . وبيع في الحزازي الخوخ والحمر وما يرد إليه من الهدى  
وأوروبا وامتاز خان الخليلي بصجارة البلاد التركية . وكانت القاهرة أسواق وبقية فيها  
ما يكون في يوم معين كسوق الجمعة والأثنين والخميس . ومنها ما يكون كل يوم بعد  
المصر كسوق العصر . وكانت تلك الأسواق تنتقل من مكان الى آخر حسبما يراه الحاكم  
واجتمع أصحاب الحرف الصغيرة والمشعوذون كالحواة والقرادين بميدان الرميصة التي  
تحولت مابينه القاهرة الى الكواخ وحيشان وأخصاص . واستبعد كل انسان على  
ما استطاع من أرض تلك الجهة حتى للمساجد والمدارس وبها حول للمساجد مبان  
قنطرة شوهت محاسنها . وكذا ضيقوا واسع أرض الميدان وسوق السلاح فكان للمار بذلك  
الجهات يخطو على القنادورات ويمر بين اقوام لا خلاق لهم وانحطت صناعات القاهرة  
فكنت لا تشاهد غير الحرف الوضيعة يقوم بها صناع قراء يجارونو الجيش بصعوبة  
في حوائثهم

وإذا رغبنا الوقوف على صورة القاهرة في تلك الآونة فلا تزل الأبنية خربة  
وأسوارا وأبوابا مهدمة . وإذا قدرك قدسك الى المسيحية فلا تشاهد غير تلال وكنائس  
وأطلال . طمع الشقاء في كل مكان وميدان حتى امتد الى مابدين والهاودية والقصرية  
والخليفة . أما جهات التبايع وباب اللوق فلا تسل عما احدثت عليه من المياه الآسنة  
والروائح الكريهة

وخلاصة القول ان القاهرة وصلت الى انفس حال في العبادة والتجارة والصناعة  
فأصبحت للمدارس خربة ولما للقراء الى سكنى المساجد . وإذا هبت الريح لا تزل الا  
غبارا ينث على البيوت فيسرها ساجت طويلة حتى تهدأ الحال . وكان يوجد على حافة

البل الشرقية بعض ميان كقصر العيني وبيت محمد كاشف قبيله وبيت محمد بك الأتلي بحريه محل القصر العالي وغيرها وامتدت ميان قليلة الى جزيرة القليط مكان الاسماعيليه الآن وكان يحصل إليها من بوابه أزيلت كانت تجاور غيظ قاسم بك الثاني عرفه فيها بعد بحديقة وهي باشا

منه كانت القاهرة .... حتى قبض الله لها للرحوم محمد علي باشا عمي مصر الحديثه فأخذ يرفع مستواها لكي تكون طامحة تليق بملكه العظيم . وسرى كيف بدأ يغد هذا للمصلح الكبير ما كان يصدره من آمل

لا طلت القاهرة الى حكم العثمانيين وشيخ البلد كانت خيرة تنق على انقاضها اليوم واستأنف الألبانيون ورماع الأروام والأرمن حوادثهم وعمت كوارث القتل والمخلف والتهب وعاد المال بك الى رذائلهم ومفاسدهم . بينا جنود حامية القاهرة لا يسكنون من للطالبه بخيرات مرتباتهم . فهجوا على بيت البغتر دار ( بيت محمد بك الأتلي القديم ) وبيت المحروق ( بيت الشيخ الكوي ) فصبوا الوالى عليهم مدافع القلعة وخربوا الأبنية وتهدم الرماح ما فيه وأقيمت للباريس عند رأس الوراقين والغادين وللشهد الحسينى . ووزع الجنود بجامع أزيل وبيت البغتر دار وبيت محمد علي وكوم الشيخ سلامة . وعشت الحرب بين العثمانيين والألبانيين بالقاهرة وبولاى وقصر العيني وانهمز الوالى خسرو باشا بجواته فاصحى ناحية جزيرة بدران ومنها توجه الى المنصورة قديماط

## طاهر باشا

وفي مساء يوم ما بان القاهرة في قبضة طاهر باشا قائد الجنود الألبانيين التى شغل منصب الولاية . فطلب الى الشايخ وكبار العلماء ورؤساء الوجهات ان يختاروا من يشغل منصب الولاية التى خلا فاعلنوه بإختياره « قائما » حتى تصل له اعلان الولاية أو يمين وال آخر

واستمرت النظام كعادتها واطلق طاهر باشا لجنوده الألبانيين عنان السلب والتهب وتوقيع القرارات القاسية على التجار وقام الجنود بالانكشارية يطالبون برواتبهم للتأخره أسوة بالألبانيين

فلما كان يوم ٢٩ مايو سنة ١٨٠٣ ذهب رطل من الانكشارية يبلغ عددهم نحو ٢٥٠ بأسلحتهم الى طاهر باشا وعلى رأسهم اثنان من رؤسائهم هتلا عليه وكلفه فـ

الشكوى من تأخير دفع الرواتب فاتهمها ورفض أن يسمع شكواها واشتد الجدل بينهم فجد أحدهما سيفه وضرب طاهر باشا فقطع رأسه ورميا جسده من النافذة وأحرقوا داره ونهبوها وكانت أيام حكمه قليلة . قال الجبري « ولو طال عمره أكره من ذلك لأهلك الحوت والنسل »

حدثت السلطة مؤثرا الى الأكتشارية فولوا أحد باشا والي المدينة للنورة على ولاية مصر . وفي ذلك الحين كانت قوات المليك وجنود محمد علي على أبواب القاهرة . فلماذا يسبل البطل للنظر ؟

## يوم وليلة

جاء محمد علي بصاحبه مع المليك واجتمع إبراهيم بك في البجزة وانهمه أنه يؤمده وأنه أولى الناس بولاية مصر فتدخل محمد علي وإبراهيم بك وعثمان بك البرديسي وباقي زعماء المليك للقاهرة مصافحين وطردوا أحد باشا فكانت مدة ولايه يوما وليلة !

بدأت سلطة محمد علي تظهر في الميدان ونادى للتعاون في القاهرة « بالأمان حسب ما رسم إبراهيم بك حاكم الولاية وأتدينا محمد علي » . فكان هذا النداء في شوارع القاهرة إعلانا باقسام السلطة بين إبراهيم بك ومحمد علي

اتفق محمد علي وإبراهيم والبرديسي على التخلص من الآثارك فحاصر أتباعهم قلعة جامع الظاهر وكان الأكتشارية يقيمون بها حتى أخرجهم منها وزعوا أسلحتهم وطردوهم من القاهرة ونادوا بصدير الناس من أيوائهم

بالغ محمد علي في التودد الى المليك مسلمهم قلعة القاهرة واتفق وإياهم على تجديد حمله على دمياط القضاء على سلطة خسرو باشا الذي كان لا يزال محتبيا بها وحمله أخرى القضاء على الحامية النمانية في رشيد . فتصحت الخيطان وقبض على خسرو باشا وأرسل الى القاهرة سجيناً وابتهج للمليك لهذا النصر ونادى إبراهيم بك بنفسه « تأتجام مصر » فلما علمت الحكومة النمانية بزل خسرو باشا وعودة هون المليك عزمت على استرداد سلطتها صيفت على باشا الجزائرلى واليا لمصر وأرسلت معه قوة من ألف جندي . سبق في الاسكندرية الى أواخر سنة ١٨٠٣ ثم قصد القاهرة ليعتقل منصب الولاية بناء على دعوة من الأمراء للمليك متظاهرين فيها بالرغبة في الوقف . لكن هذا الدعوة كانت له شركا نصبوه لفتك به فلما وصل الى « شلقان » التفت به جماعة من أمراء المليك وجنودهم

وهنا ألقوه أهم يمنعه من دخول القاهرة ولركبوه محبة جماعة منهم لمراعاة لطلب  
 به الى حدود سوريا ولم يكتفوا بذلك بل أغروا به حواصه تقتلوه في الطريق  
 لم يبق أمام عد على الاقوة للمالك فبدأ يعمل على التخلص منها وتهدأ تلك الناية  
 ترك لزعماء المالك ولا سيما الوردى السلطة ظاهرا حتى يعلمهم تبة الحكم ومساوئه  
 ويعلمهم هدفا لخط الشعب وتبئة المسئولية أمام الباب السالى

## محمد بك الألفى

لم يأت لأن أسم زعيم آخر هو « محمد بك الألفى » وكان مسافرا لاجتزا وقت  
 جلالة الخسة الأتجليزية (١٨٠١) لمفاوضة حكومتها في عودة للمالك الى الحكم عاد  
 مصر ولو قدره النجاح لتغير وجه التاريخ المصرى الحديث

علم عد على بسوة الألفى إلى مصر فأوجس في نفسه خيفة لأنه كان يحسب للألفى  
 حسبا كبيرا وبعده أقوى خصومه لكن الخط ساعده بأن سخر له عثمان بك الوردى  
 ليقتضيه من خصمه فآخذ رجة القبض على الألفى وقتله . وكاد الألفى يقع في الشرك  
 لولا اختفائه وعزلوه فتجا بفسه وفهم الى الصعيد لتكوين حزب يناصره . لكن  
 انقسام للمالك كان من الأسباب للعجة بزوال دولتهم

وفي مارس ١٨٠٤ عزم الوردى على فرض ضريبة جديدة على الأمالى وأخذ عمال  
 الحكومة يسألونهم جنود للمالك يحولون أحياء المدينة لجمعها . فاشتد سخط الشعب  
 واحتشد جماعات مستعركين تلك النظام وامتنوا عن دفعها وخرج الناس من بيوتهم  
 يضجون وهم يحملون الرايات والدفوف والطبول ويستطرون العتات على الأحكام  
 وكانت غالب صيحاتهم منبهة على حكام للمالك فأخذت جوعهم تنادى :

« أيش تأخذ من قطيبي ياردى ! » . وأغلق التجار وكالاتهم وحوايتهم وانجبت  
 جموع الناس الى الأثر لمقاومة للشايح والاحتجاج على الضريبة الجديدة فقاموا هؤلاء  
 إلى أمراء للمالك يطلبون إلقاءها

لقد تخفق في بوق الثورة ! وأخذت روحها تنقل من سى إلى سى حتى عمت أحياء  
 القاهرة . فاضطرب عثمان بك الوردى أمام رؤية الشعب الثائرو وهو يسعى على لليادين  
 والشوارع . وحقى عد على ان تصيب الثورة جنوده فبادر إلى « كشف » المالك أمام  
 الشعب ويحطم وحدهم هدفا لتبئيه وجاهر بإخضامه الى الطاعة والشايح . ونزل الى

الطرق وأخطب الجماهير وقابل علماء الأديرة ومهندهم بأن يذل عونه لرفع هذه  
الضريبة وأوصى جنوده بأن يمتروا الشعب فأخططوا هم أيضا بالناس وأعطوا عدم  
رضاهم عن الضرائب وبلغوا أنهم يطالبون بروتهم من الحكومة لامن الأهالي  
كسب عد على هذه السياسة الحكيمة عطف الشعب وجة زعمائه وبدأ الناس  
ينظرون إليه كرجل ملد يجب خير الشعب . بل بدأ عد على يأخذ مظهر رجل الساعة  
المنتظر لتعويض البلاد من تلك القروض الشاملة

أما عتيل بك اليرديسي فقد قابل تلك الثورة بالنظرية والكبرياء وهم على المصريين  
الذين لم يمتثلوا لأوامر الممالك بينا انتهز عد على فرصة غضب الشعب على الممالك ونوره  
عليهم وتوزيع جنود الممالك في الأقاليم فأمر جنوده بمهاجمة الممالك الموجودين بالقاهرة  
وحاصروا بيت ابراهيم بك ببركة القيل وبيت عتيل بك اليرديسي بالناصرة ويوت  
بقي للممالك في انحاء الناحية واستمر الحصار الى اليوم التالي

رأى للممالك أنفسهم حيال قوتين 1 ثورة الأهالي من جهة وبنود عد على من  
جهة أخرى فلم يجدوا سبلا للنجاة سوى القرار من القاهرة . وكان أول القارين  
اليرديسي بك ثم ابراهيم بك . ولما علم جنود الممالك الذين احتلوا القلعة بقرار زعيمهم  
أخلوها وزلوا من باب الجبل ولحقوا برجلهم . فتمسك بنود عد على القلعة  
فصعد عد على القلعة لتقاية خسرو لثا الوالي التقدم وكان سجيناً منذ نهاية أشهر  
ليجده الى ولايته فزل به الى المدينة معلناً أنه صاحب الخلافة في البلاد . فزداد الشعب  
تملقاً بعمد على لما رأى فيه من عدم الرغبة في تولي الحكم . لكنه لم يبق طويلاً  
وعزل وعين من بعده خورشيد باشا

نجح الممالك في جمع شملهم وطردوا قبضة بقيادة اليرديسي و ابراهيم بك فتح القاهرة  
واستمرت الحرب بين الممالك وبنود الوالي وعد على عدة أشهر حتى ارتدوا عن  
القاهرة متسعين إلى الصعيد

بدأ خورشيد باشا يدير الوسائل للتخلص من عد على وقد رأى أمامه شخصية  
جارية تطنى على عهده فاستصدر من الأستانة فرماناً بعودة عد على وبنوده الى بلادهم .  
فلما وصل القرامان إلى القاهرة أدرك عد على سر تلك المكيدة وتظاهر بالإدعان وأعد  
عدته للرحيل ولكن العلماء حين عرفوا ذلك طلبوا الى عد على البقاء بمصر لما عهدوه  
فيه من العدل والاستقامة

اهتمت القاهرة لنياً هذا الرحيل واقتلت الأسواق وكاد حبل الأمن يضطرب  
وأخيراً قبل عد على طلب العلماء وأعلن بقاءه ارضاء قرأى العام . فلما تحقق خورشيد

بشا عدول محمد على عن السفر أدرك أن مكيدته قد أخفقت واضطر للأدعان مؤثقا للأمر الواقع . فاصدر أمره إلى محمد على بمعاربة المماليك في الصعيد ليحتضن منه وأرسل إلى الحكومة الثمانية يطلب أن تعد بمساعدات قوية طرقت إليه جيشا من القلعة . فلما وصل إلى محمد على نيا عنه القوة بحمل بالعودة إلى القاهرة قبل أن ترسخ عدم الدلالة في البلاد

## ثورة القاهرة

فرض خورشيد باشا في شهر مايو سنة ١٨٠٤ ضريبة على أبواب الحرف والصناعات فغضبوا منها وأتولوا حواشيهم وحضروا إلى الجامع الأزهر يشكون أمرهم إلى العلماء غير المحافظ ورئيس الشرطة في الأسواق يتنادون بالأمان وفتح الحواشي فلم ينجح منها إلا القليل . واشتد هياج الناس واحتشدت جموع الصناع وأرباب الحرف والطابعين بالجامع الأزهر ومعهم الطبول وصعد الكثيرون منهم إلى المنارة يصرخون حتى سمع الوالي وهو بالقلعة مدى صياحهم وأخيرا اضطر خورشيد باشا إلى رفع الضرائب وأعلن أبطالها ونادى للتنادون بذلك قطعاً عن الناس وهرقوا

وكان جيش الهلاة الذي جلبه خورشيد باشا من أردأ عناصر الجيوش الثمانية قد أخذوا يبيتون في الأرض صادا وقال عنهم الجبرتي الذي شاهد أظلم وهو يقتل بين انحاء القاهرة ليعود إلى بيته ويسجل في تاريخه النفيس ما كان يراه كل يوم « ودخلوا بيوت الناس بمصر وولايته وأخرجوا منها أهلها وسكنوها وكانوا إذا سكنوا دارا آخر يهاجمونها وكسروا اختبايا وأحرقوها لوقودهم فلما صارت خرابا تركوها وطلبوا غيرها ففعلوا بها كذلك وهذا دأبهم من حين قدومهم إلى مصر حتى عم الخراب سائر النواحي وخصوصا بيوت الأمراء والأعيان وفي دور بركة القيل وما حولها من بيوت الأكابر وقصورهم »

وكان خورشيد يرى أنه لا بد له من أن يذهب إلى القاهرة ليعتصم من خصمه عد على . وبنما كان يستعد لذلك نادى إلى الدنيا عد على مع حسن باشا بمجودها في الصعيد بد مطاردة المماليك ونجاحهما في مهمتهما

وكان خورشيد قد أخذ اليهما قوة من الهلاة لصد هجماع التقدم بالقرب من طره . ولكن عد على تمكن بدعائه من اجتياز هذا المعقل دون أن يلقى أية مقاومة . فله لما اقترب من قلعة طره طلب أن يخاطب بعض ضباط الخامية الصاعدة إليهم فأجابوه إلى طلبه واستطاع بسهولة أن يسطح لهم وجهة نظره فأجسوا رأيهم إلا يصرضوا الجيش عد على وأخفوا له الطريق

فواصل سيره حتى بلغ القاهرة ورجل جداره الأزبكية يوم ١٩ أبريل ١٨٠٥ ليبدأ  
النزال بينه وبين حورشيد باشا وجيشا لوجه

## القاهرة بين أول مايو وتاسع يوليو

القاهرة في يوم الأربعاء أول مايو عام ١٨٠٥

اعتدى الجنود الدلاة على أهالي مصر القديمة وأخرجهم من منازلهم ونهبوها وقتلوا  
بعض الأهالي الأمنيين . فاشتد الهياج وحصر جميع سكانها رجالا وساء إلى جهة  
الجامع الأزهر وانتشر خبر الاعتداء بسرعة البرق في المدينة كلها  
اجتمع العلماء وذهبوا إلى الوالي وحاطبوه لوضع حد لقطاع الولاة . فأصدر الوالي  
أمرًا للجنود بالمخروج من بيوت الناس وكان هذا الأمر صوريًا لأن الجنود لم ينفذوه  
مخوطين الوالي مائة مطلب مهلة ثلاثة أيام ليحل الجنود من المدينة فلما علمت  
الجنود اشتد ضجيجهم وتصاعف معظهم وبدأت الثورة تلوح علامتها في المدينة  
القاهرة في يوم الخميس

عمت الثورة أحياء العاصمة واجتمع العلماء الأزهر وأصروا على إلقاء الدروس  
واقفلت الحوانيت واشتدت الجماهير في البازار والطرق  
أدرك الوالي خطر الحالة وأرسل وكيله صعبة المحافظ إلى الأزهر لمقابلة العلماء  
ومفاوضتهم لكبح الهياج فلم يجدهم الأزهر ذهب إلى بيت الشيخ الشرقاوى وهناك  
حضر السيد عمر مكرم ورملاؤه فأغلظوا له في الحديث وأصرفه على غدير جنوى  
وقصد القلعة لكن الجماهير لم تتركه يدخل إليها دون أن ترجمه بالأحجار ورفض العلماء  
أن يدخلوا لاحتفاف الهياج وصمموا على طلب جلاء الدلاة عن القاهرة  
لم يكن سهلاً إجابة هذا الطلب لأن الدلاة كانوا عنة الوالي في القتال ، واستمر العلماء  
مضربين عن إلقاء الدروس واقفلت الأسواق أكثر من أسبوع وامتنع العلماء عن  
مقابلة الوالي طوال هذه المدة



لوحة من تاشان صناعية روس من صناعة القرن الثامن عشر  
من حجرة صاحب القسوة الأمير محمد علي باشا في القلعة الأزهرية



## ولاية جنة

اعتقد خورشيد باشا أنه سيخفى في مساهة لأقضاء عهد علي عن مصر . فقد ورد غرمان سلطاناً بقلبيده ولاية جنة . فأتبع خورشيد باشا وأرسل في الحال يستدعيه إلى القلعة ليسلمه براءة التبيين ويخضع عليه خطة الولاية الجديدة . لكن عهد علي أدرك ما في هذا التعمين من الدسيسة وخشى التذمر إذا حيد إلى القلعة . فأرسل بنده بأنه مسجل للثاني أمر التبيين في المدينة في أي منزل يختاره الباشا

غضب خورشيد من هذا الجواب . فاتفق للشايع على أن يكون الاجتماع في منزل سيد أتا في منزل وكيل دار السعادة وصديق عهد علي . فرضى خورشيد باشا بهذا الحل مرغماً وذهب في الليالي ( ٣ مايو ١٨٠٥ ) إلى دار سيد أتا بالأثر بكية وأمر بتلاوة القرآن . ولما انتهى الاجتماع خرج خورشيد مائماً إلى القلعة وقابلته الجنود الألبانية والشعب بالهتافات :

« عهد علي لا يذهب إلى جده . لن يتأخر القاهرة . نريد لها لائحة الأمن واستتباب النظام . يجب أن يكون محافظا القاهرة ووالي مصر . وليذهب خورشيد لجدة »  
فإذا يصيح عهد علي الآن ؟

جنود الأتبان منظمون . وبشارة من قائدهم يصطفون أمام الوالي ويمشطون به ويخطي عهد علي جواده في طلبهم ويمرس خورشيد باشا إلى القلعة . ثم كل ذلك يهدوه ليحفظ نفسه لمثل خليفة المسلمين وقار منصبه ومهم مركزه !  
القاهرة الآن أمام الخطوات الأولى لقوة عظيمة في طريق البناء

## ١٢ مايو

انتهت الفترة التي جددتها الطلاء لجلاء القلعة عن القاهرة يوم السبت ١١ مايو وكان لا يزال بقايا منهم نحو ١٥٠٠ . وعلم زعماء الشعب أنهم محتجون عن الجلاء حتى تدفع لهم مؤخرات مرتباتهم ولا سبيل لنفسها وغرينة الحكومة خالية  
ففي صباح يوم ( ١٢ صفر ١٢٢٠ — ١٢ مايو ١٨٠٥ ) اجتمع زعماء الشعب وقاضى مصر والطاء وفرقة الوجا ليلية ( للتوفيق ) وللشايع أعلم دار المحكة الشرعية الكبرى ( بيت القاضي ) لأصدار غرارهم وليس فهم أحد يعمل سلاحاً فسلحهم أبنائهم

وتمستطيع أن تبين حسية الشعب في ذلك اليوم الرهيب ونحك عليها من فناءه » يرب  
باعتجلى أهلك السبائل »

والرة الأولى كما قال فحصل فرنسا في تلك الآونة « يقوم الشعب المصري صبيح واليه  
وهذه ساقطة بحية في الشرق أجمع » .

اجتمع زعماء الشعب في دار المحكمة وقام وكلاء الوالى بد ان طلبهم قاضى المحكمة  
تخضروا واعتقد المجلس ثم عرض الزعماء مطالبهم وسلموا صورتها إلى القاضى وقام  
وكلاء الوالى يلتمونها الى خورشيد باشا بالقلمة

طلبا اطلع عليها رأى أن الحركة خطيرة فأرسل الى محمد على يستغيثه وبمه السيد  
عمر مكرم يقبب الأشراف والبطاء الى القلمة لتشاوهمهم . ولكن فضل السيد عمر  
الى مقاصد الوالى وغشى غفله فأشار برضى القهاب اليه

طلبا لم يذهبوا عد امتناعهم عن القهاب اليه تمردا ورفض اجابة مطالبهم

### محمد علي باشا والى مصر

اجتمع وكلاء الشعب من العلماء ورؤساء الصناع في اليوم التالى بدار المحكمة للدعوة  
واحتشدت الجماهير في فناء المحكمة وحولها يؤيدون وكلاءهم . واحتقت الكلمة على عزل  
خورشيد باشا وتعيين محمد على واليا مكانه . وقاموا في عصر اليوم الى دار محمد على لتنفيذ  
أحكام قائلين له :

« اتنا لا نريد هذا الباشا واليا علينا ولا بد من عزله عن الولاية »

ثم نادى السيد عمر مكرم بالنيابة عنهم قائلا :

« اتنا خلفناه عن الولاية »

فسأله محمد على « ومن تريدونه واليا ؟ »

فأجاب الجميع بصوت واحد : « لائرضي إلا بك وتكون واليا بشروطنا كما نؤمنه  
خليك من الصداقة وحسب الخير »

فردد محمد على في بادىء الأمر لى لا يقال عنه أنه المعرض للثورة فأخ وكلاء  
الشعب عليه وقالوا جميعاً : « اتنا نعرفك برأى الجميع وأجاء الكافة » فقبل محمد  
على الولاية وقام السيد عمر مكرم والشيخ الشرفاوى والساء خليفة الولاية

أصبح رمقه الشعب فراراً إلى حورشيدت مرض الأمان لخطابهم وأخذ يحسن  
 قلعة وجمع الدخيرة ويستند لأحد شوره. وبدأ الرمحاء بطورهم جفود الوصال  
 لخصار القلعة لأجبار الوالي على التسليم

احتشد التزود في ميدان الأركبة ومناجول الرمحاء القناع اولى حدة  
 مطالبهم فأخذ السيد عمر يحرض الناس على الاجماع والاستعداد للقتال فبوصلت



وال محمد علي باشا يخرج من القلعة

إليه أيديهم من الحصى والأسلحة . فأقاموا الحفريات والاستحكامات بالقرب من القلعة  
 وضع عدد شوار أرمين لها وكان الطرفاء محزون ملاسيم أو ستمسون لشرة  
 الأسلحة

## السيد عمر مكرم

استمر القتلى والاضطراب الى ليلة الجمعة ٢٤ مايو ١٨٠٥ وفى تلك الليلة نجا من القرب والشاء خرج جنود الوالى من القلعة للاستيلاء على مدارس الثوار فبادل القربان اطلاق الرصاص الى ما بعد الشاء ثم ارتد جنود الوالى الى داخل القلعة . واستمرت الحرب سجالا حتى زل عمر بك أحد مستشارى الوالى من القلعة وأشاع بين الجماهير أن خورشيد باشا عزم على القبول من القلعة التسليم . ولم يكن ذلك الاخدعة منه ليترود من القنطرة وفى يوم الاثنين ٢٧ مايو تجدد القتال وشدّد السيد عمر مكرم فى حصار القلعة على رأس الوجبة والشعب وأهل خان الخليلى والشاربة . ومن السبب ان الثغور كاد يتمزق الى الجنود الألبان الذين شاركوا الثوار فى القيام على التاريس وطلبوا مرتباتهم من محمد على باشا فاستسلمهم حتى سلم خورشيد باشا فأبوا ولم يتخلوا وتركوا مدارس القلعة وهرقوا فأخذ مكانهم جماعة من المصريين . وكان السيد عمر مكرم حريصا على نجاح حركته وصيانتها من الفشل وقد حدث فى مدة الحصار ان حضر أحد قواد الوالى بقواته وراجل بمصر القديمة وأمكنه الاتصال بالقلعة عن طريق الجبل وان يد سلمييتها بالوذن والقنطرة وحاول الاتصال بمجنود عند على لصرقهم عن حركتهم . ثم عزم على مهاجمة مدارس الصليبية فى أثناء قيام الوالى بصوب الدافع على القاهرة . وبينما كانت إحدى قوافل الجمال المحتلة بالوذن فى طريقها الى القلعة خرج عليها « حجاج الحضري » شيخ طائفة الحضرية وطائفة من أهالى الرملة مضربوا « الجناحين » وحاربوهم وأخذوا جملهم وطلبوا عليهم . فلما رأى الوالى ذلك أمر بضرب الدافع على القاهرة لاسيما نحو جهة بيت محمد على وبجانب باشا وبجانب الأزم واستمر الضرب من أول النهار الى بعد الظهر فتهدمت بعض البيوت القديمة استمر القتال بين الشعب والوالى الى أوائل شهر يوليو عام ١٨٠٥ حتى أرسل محمد على باشا الى السيد عمر مكرم مشيرا عليه بارسال بعض رجاله لنقل مدفع كبير من قلعة قططرة اليمون وتركه على إحدى قمم القطر التى تشرف على القلعة تهدد الوالى وقوته المسلحة فيها . فجمع السيد عمر مكرم وطلب الأبقار لجر للدافع فأخرجوه من باب الرقية فباب الوزير حتى تم تركه فى المكان الذى عيه محمد على باشا . وأخذ الثوار يضربون القلعة واستمر الضرب متبادلا بين الفريقين وهذه الفصحة اهدأ محمد على العاصمة من أذى شديد كاد يلحق بها

وفي تلك الآونة وصل الاسكتندرية «صالح بك» من كبار ضباط الباب العالي قادمة من الأستانة يحمل فرمان الولاية . ولكن يحمل اسم من يا ترى ؟  
خورشيد ؟ محمد علي ..... أجمعا ؟ وصالح بك صامت لا يقول شيئا كأنه لا يعرف مضمون أوراقه

هذا الملتوب الساسي في طريقه الى القاهرة ... ينتظره شعب مصر بهرغ صبر شمه مستقبل بلاده . وليس الناس حديث سواء . وأخيرا يصل صالح بك الى بولاق في طائر أغسطس - فيفرس في وجوه المستبشرين قارئا ما يجول في أفكارهم ويعلن للبلاد بأن السلطان العظيم قد لبى ربه السلام وولى محمد علي قائما للقاهرة المحروسة وولاية مصر واستدعى خورشيد للاستندرية

فكيف كان موقف القاهرة حينذاك ؟

خرج محمد علي باشا وكبار القواد الألبان وطائفة من الجنود والوجاتية وكثيرون من مشايخ الأزهر وأهالي بولاق ومصر القديمة وباب الشرية والحسينة والطفوف والحليفة والرميلة والحطابة والحباية وفي القلعة « شجاع الغضري » ويده سيف مسلول وكذلك ابن شعبة شيخ الحيزارين ومهم الطبول والزموور - وكأت للبلد تنوي حق وصولها الى الأزيكية فنزلوا بيت محمد علي باشا وحضر للشاي والأعيان قراة الرسوم التي أحضره « صالح بك » بولاية محمد علي على مصر وجزل خورشيد باشا

## يوم مصر

هو اليوم السعيد الموافق ( ١١ ربيع الثاني ١٢٢٠ هـ - ٩ يوليو ١٨٠٥ ) في اليوم التالي بدأت القاهرة تنفس الصعداء بزوال نظام بلاد من الحكم واستقبلت حكم أسرة محمد علي

في ذلك اليوم قصد السيد عمر مكرم بيت محمد علي باشا في جمع كثير من الجنود والأهالي والمفاربة والمساينة والإتراك وكانوا مسلحين وجد اقباه الزبارة ذهب السيد عمر وحده الى بيت « صالح بك » لتسليم عليه ثم نادى الى بيته

وامتنع ربي القنابل في القلعة كما صدر أمر بوقف نيران منافع الجبل واستمر الحصار حول القلعة من الحاجامات حتى أذعن خورشيد باشا وسلم القلعة يوم الاثنين ( ٩ جمادى الأولى سنة ١٢٢٠ هـ - ٥ أغسطس ١٨٠٥ ) وأرسل الوالي السابق حربته وجنوده اتباعه وغنمها في اليوم التالي من باب الجبل إلى جبل النصر فجبهة الحروب في بولاق .

وقد رده محمد على باشا وعمر بك وصالح بك واطقت السفينة التي ألقته الى الاسكندرية  
أصبح محمد على سيد القاهرة وسيد مصر على الإطلاق وبدأ في تنفيذ مشروحاته  
العظيمة وأولها إخضاع للمالك وتطهير البلاد من جماعات الأرباب

### ضربة قاضية

في اليوم التالي من وصول حور شيد إلى الاسكندرية وصلت قوة من للمالك تبلغ  
الأرباب قهرس بقيادة ستة من زعمائهم ومنهم عثمان بك حسن وشاهين بك للرادي  
وأحمد كاشف سليم وعباس بك وعبدوا يواحي للفتح والنصر نهضوا في كيكية عظيمة  
وأمامهم الطبول والزمر والقرزبان فاختفروا ميادين القصرين حتى وصلوا إلى المدرسة  
الاشرفية وكانت أتباعهم يتضمون اليهم كلما تقدموا داخل المدينة لما كانوا يصلون إلى  
قلب المدينة حتى كانت قد احتشدت لم جوع عظيمة . فهجمت عليهم الجنود الألبان  
وحاصرهم من كل جانب فلم يقدموا ولما أرادوا العودة من حيث أتوا وجدوا الشوارع  
مسدودة في وجوههم . ففصلوا أبواب المدينة التي دخلوا منها فلما وصلوها كانت متلقة  
فترجلوا تاركين جيادهم وحاول بعضهم دخول المساجد القريبة للاختفاء فيها ولما  
آخروا إلى بعض الوكالات والمنازل . ولكن كان هياج الشعب شديدا فلم ينج منهم أحد  
ومن وقع في الأسر كان يسلب وينهب ويرى من ملابسه ويسحب على وجهه حتى  
تغسل رأسه عن جسده ثم تسليخ وتغشى بالطين . وكان الانقسام في تلك المرة قاسيا فقد  
توقع للمالك نجاحهم في الانقلاب الجديد ولكن عدمه كان شديدا لولادة ميثقا بأبدم  
ولم ينج منهم غير القليل اذ وقفوا في الشراك الذي اخترن حيكه ولم يكن هذا الشراك الأخير  
من نوعه فقد كان ينتظرهم شرك آخر . . . . .

ظنوا أن الفرصة سانحة بد رحيل حور شيد وجنوده . . وانصرفوا إلى كل إلى  
داره فناموا بجماعتهم وقد أيقنوا أنهم لا بد ناجحون . . وكانهم يعرفون قبل علم  
محمد على . فلم يهوان عن أن يتزك بهم ضربة قوية كانت القاضية  
كانت هذه إرادة محمد على . وكان لا بد من تنفيذها  
فقرت القاهرة بأمنيتها ويجب أن تعود مصر أيضا  
وقد ظرت مصر . . .

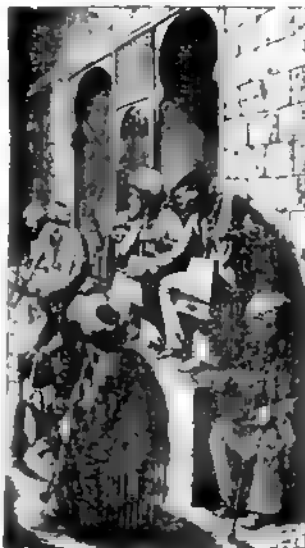
يريد القدر أن يساعد محمد على ويجهده له طريق النجاح  
في موت الوديعي زعيم للمالك أحمد خصمي محمد على

وبعد أيام موت الأتلي مسموما على يد حريمه فيقول الجرجاني أمام طلائع  
 وفي أول مارس عام ١٨١١ عمده له مجلس من لجنة المائتين مدام إلى ولاية القلعة  
 فيحفظ أمته القليلة لأطلة عبد مصر وتأسيس إمبراطوريته

### عبد الرحمن الجبرتي

تلك كانت القاهرة كانت عندما جاءه دعوات الأتار في القراحم والأخبار الشيخ عبد

الرحمن بن حسن بن برهان الدين  
 الجبرتي . ولد مؤرخا البارح في  
 القاهرة (١١٦٨ هـ - ١٢٥٦ م)  
 وبدأى ببنيته تلك الحوادث التي  
 وقعت بمصر . ولا سيما في القاهرة  
 بين عامي (١٢٥٧ و ١٨٧١ م)  
 أما الحوادث التي سبقت هذه  
 المسئلة فقد اعتمد فيها على النقل من  
 كبار السن والرجوع إلى الوثائق  
 المخطوطة



الشيخ يوسف علي دابة في مكتبته وسجله المصورين يمشرون  
 في كتابه

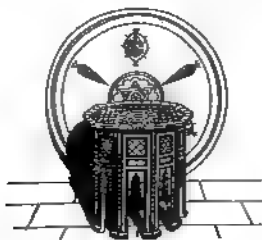
ولم يكن الاستاد للزورج  
 عبد الرحمن بك الرافعي مبالغا  
 وصف طريقة الجبرتي في كتابة  
 ترجمته المخطوطة طال ما كان  
 يصري بالدقة والصدق ويحرم  
 الخلق ولم يكن يصبر لطائفة أو  
 لدولة أو لآلئ اسان مهما عظم  
 نفوذه . وانك تستطيع أن  
 تصطف راحة الجبرتي من مطالعة  
 كتابه وإسعاد النظر فيه وبخاصة  
 في ترجمته فأنك تراه يورد

الحقائق غير متأثر بجاه من يكتب فيه ذا كرا لكل مهم له وما عليه ، وإن كنا  
 لا ننكر عليه فيه إلى بعض الأخطاء والمبالغة

ولاشك في أن «عجائب الآثار» تحوي وثيقة وحيدة وتادرة يمول عليها لمعرفة تاريخ مصر السياسي وحوادثها وتراجم رجالها ورجالها الاجتماعية في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . فلم يكتب مؤرخ آخر مثل ما كتبه الجبرتي بخل إسمائه وتحقيقه . ولولا لغابت عنا حوادث مصر في ذلك العهد الطويل وإن كان رجال الحملة الفرنسية دونوا مشاهدته من الحوادث خلال الفترة الموجزة التي مكثوها في مصر ويحوي كتاب الجبرتي مرجعا ثميناً لمن يريد الكتابة في خطط القاهرة في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . فنعين نستطيع بسهولة أن نصور معالم القاهرة في أيام الجبرتي ونعرف ما أقيم فيها خلال عصره من مساجد ومباني وقصور وبساتين وما استجد في بعض أحياء القاهرة في أثناء حكم الفرنسيين بما تطلبت الأفراس العسكرية من تدعيم وإزالة أو تشويه وبناء

وإننا نستمد من تاريخ الجبرتي وكما يسميه الفرنسيون « بويات عبد الرحمن » أصدق الصور عن خطط القاهرة القديمة . وهي الصورة للقاهرة بين قاهرة المماليك في أثناء العصور الوسطى وقاهرة الخديوي إسماعيل المتطعم في منتصف القرن التاسع عشر . وقد ترجم « عجائب الآثار » الفرنسية مرتين الأولى بقلم السيو كانودان مترجم القنصلية الفرنسية بمصر وطبعت عام ١٨٣٨ والثانية وهي ترجمة وإقية كادت بها نخبة من الأدباء المصريين برئاسة المرحوم شفيق بك منصور يمكن وظهت في تسعة أجزاء من سنة ١٨٨٨ إلى سنة ١٨٩٦

وتوفي المؤرخ الجبرتي يوم ٢٧ رمضان سنة ١٢٣٧ هـ ( ١٨ يونيو ١٨٧٢ ) وتخلّفه للأجيال المتعاقبة درة ثمينة في التاريخ المصري





# قاهرة محمد علي باشا

عمل محمد علي - ميدان الأثر بكية - الأطلال والآكوام - قلعة محمد علي - أبواب القاهرة - قصور القاهرة - شوارع القاهرة - مياه القاهرة - سعيد باشا - في قلعة صلاح الدين - بولاق والسجدة - جزيرة الروضة - بركة النيل - جامع محمد علي باشا - مساجد القاهرة - دور الكتب - متحف القاهرة - حفلات زواج الأمراء - السراويل والكونكيت - سليمان القرني - كاتدرائية - الكونكيت في فوربان - الجبال مارمون - بريس دافين .

إن كان القائد جوهر الصقل قد خط مدينة القاهرة ووضع أساسها وإن كان صلاح الدين قد ظل وقفا لها وانغمضا ماسحة للمكة عن الفضل في تمهيدا يرجع إلى محمد علي الكبير رأس الأسرة الملكية الكريمة وفي نجيبها إلى حفيده العظيم اسماعيل . وفي تقنيها وجعلها إحدى العواصم الكبرى في العالم إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك نواز



تولى محمد علي حكم البلاد من أيدي المماليك وكانت القاهرة إذ ذاك مدينة غربة دمرها الفرنسيون بدافعهم وأهلها القاهريون أنفسهم فبليت عليها آثار الكآبة والحزن . وأدرك هذا الماهل العبقري كيف يجعل من القاهرة ماسحة جديرة بملكه الواسع ولم يكن ذلك بالنسبة المهيمن - إنما كان كل شيء بيون أمام محمد علي . . . . . ليس هذا الذي جعل مصر امبراطورية كبيرة بعد أن كانت ولاية عتيبة خاملة ؟

## عمل محمد علي

جاء محمد علي فأدخل كل جديد إلى القاهرة . عمارة أوربية حديثة . شوارع واسعة . تخرق أحياءها حقائق غناء باحة . قصورا جميلة بلنخة . ميادين كبيرة للفرجة مما جعلها مدينة عظيمة تتقدم غيرها من عواصم البلدان

تخذ محمد على أمور مصر بعد أن قضى على منافيه وأسس عرشه على أساس  
فدأ يحقق مشروعاته الطيبة ليعتلى من القاهرة عاصمة جديدة بملكه الواسع  
عمل هذا الميرى العظيم ؟

أصدر أوامره لأحكام المنتمة محل لأخوة للتنظيم صعدت ونهضت فعلا . وبدأ  
المدينة تدريجيا فاستقرت الحارات وسهل المرور بالمناجر وأتيح الناس في منازلهم  
للعملية الحديثة وتركوا الأساليب القديمة

وذكر الجبرتي ضمن حوادث شهر ربيع الثامنة عام ١٢٣١ هـ أن الباشا أطلق  
في شوارع القاهرة وأحيائها وعذب جماعة من اللهنسين وملاحظي المباني للكشف  
الحدود ولما كن قان وجدوا بها خلافاً وأمر أصحابها بهدمها وتعميرها قان كان يحرم  
يؤمر بإخلائها حتى يباد بناؤها على خطة الحكومة وتكون من أملاك الدولة  
سبب هذا الأمر سقوط بعض الحدود وموت الناس تحت أقدامها

رأى محمد على أن كل مدينة كبيرة لا تخلو من هيئة من الرجال المسؤولين  
فكلفت محافظ القاهرة « الكنتيا » بتأدية الأعمال التي يقوم بها الآن وزير الد  
« واليا » اغا « القيام بأعمال حكام البوليس في مراقبة الأمن العام وتنظيم له  
ومراقبة المحال العمومية والمخضب للملاحظة تنفيذ أوامر الباشا . وعين لكل د  
شيئا يقوم بأعمال قاضي الصلح و « قوميير البوليس » ثم أصدر أوامره بتد  
الأحياء فصاروا تكفى وترش بالماء وتضاء بمصابيح الناز

واجمعت الحالة الصحية في القاهرة ولواءه انماش على الأمانه كان خطوة هـ  
خطاها محمد على لأحياء المدينة واتخاذها بعد خرابها . وألف الأمانى الحياة الك  
وحدث على الطرقات واليادين مسحة النظافة . وتنظم البيارسنان وأنشأ المستشف  
على النظام الحديث . فقد كان بالقاهرة حتى أيام الحملة الفرنسية مستشفى واحد  
البيارسنان للذكور . ولكن أنشأ محمد على في ميدان الأزبكية مستشفى جيلايم  
على سبيله سرير بعضها للرجال والنصف الآخر للنساء . وكان ينبع هنا مسة  
للولاة ومستشفى للأمراض العقلية . هذا غير المستشفى العسكري الفخم للممر  
بمستشفى قصر الحسين الذى احوى على ألقيق وتماثمة سرير وكان القادم الى هنا  
لاسيما من جهة القرب يرتد نظره عند وقوعه على أطلال الأثرية وآكام الانقا  
ويود لو أن في الامتطاعة إزالتها لكنه لا يلبث أن يسلم باستحالة الأمر بعد ما يأت

جسامة الأكرام ويقدّر الهمة الواجبة للأندلس على ذلك العمل الشاق حتى بلغت  
الأيام لمصر بإبراهيم الهمام

## ميدان الأربكية

كان ميدان الأربكية إلى وصول الحملة الفرنسية مصر أرضا واسعة تهمرها مياه  
الفيضان كل ما هو يتحول إلى أرض زراعية على مثال بركة القليل وبركة مابدين والقرايين  
وبركة باب الوقوف الناصرية والطلح والهيثيين - فكانت تبدو في فيضان النيل كمحيرات  
بحرية ينتزه فيها الشعب وتندو عليها القوارب وتروح متطفلة بين شواطئها الزاخرة  
بالقصور وللتناظر والقناحي وللقاصص قدما ما انقطعت عنها المياه ويزرع فيها الحب وأمر  
الزرع بدت لتناظر كأنها جنة يعطاء أروضة غناء وإذا انتهى القوم إلى حصص  
محصولهم عادت قنارات عديدة تنتظر عودة الحياة والمخير

كان ذلك حتى عام ١٨٣٠ لما بدأت أسباب المصرة في الأربكية تختفي لتصل  
مكانها في ذلك بركة القليل فانتقل إليها أصحاب السفن وأرباب اللامى سبيا وراء  
أرزاقهم - وبدأ السكان يشعرون شروط المصرة هموا فيها مصالحهم وأقروا بغيرها  
فصعدت الزرائع العنة وتمكر صعد الجور

أراد محمد علي الكبير في عام ١٨٣٧ مد أن عادت جيوشه من حلا المصرية العظيمة  
التبؤس بالقاهرة فرأى مد انتهاء شارع شبرا القنى أصبح منزعا جديلا ان يحول  
ميدان الأربكية إلى بستان كبير يفسح على أسلوب الحدائق الأوروبية

أمر برهان بك رئيس ادارة الأشغال العمومية وأحد تلامذة البعثة المصرية الأولى  
إلى باريس أن يصح مشروعا لتحويل هذه البركة إلى بستان عام ولما انتهى  
هذا من عمل تصميمه قدمه إلى الباشا وافق عليه وبدأ العمل على تنفيذه وكانت أراضي  
ميدان الأربكية وقفا لأمة الشيخ الكرى وهى أربون فدانا فأصبحت إلى المنافع  
العامة وأعطيت لهم عشرة أمثالا من الأراضي الزراعية الخيرية بالقرب من بيتهم

خلف برهان بك ثلاثة شوارع كبيرة في الميدان لمزور الناس والمركبات  
وغرس على جوانب تلك الشوارع الأشجار الظليلة وردم جزءا كبيرا من البركة وأحاط  
البستان بقناة مربعة القاع تسمح يرى جميع البستان عرضها عشرة أمتار - وزرع  
الأراضي التي تحيط بهذه القناة من الخارج مد ان رفع مساواها لكي يسلو به من مستوى

للبيدان للتوسط وحفر بطولا عرضه خمس عشرة مترا في وسط البيدان لتخزين فيه مياه القناة الخارجية حتى توزع على البساتين وعرس على جانبي الجدول الأشجار الباسقة . واستعان في أيام الجفاف بآلة لرفع المياه من القناة الخارجية الى الجدول الداخلي فكانت المياه تجري في كل فصول السنة . وأقام قنطريين جميلين على الشارع الرئيسي المؤدى الى بولاق وعمارت ضيقة ومبار كثيرة قسول المرورين نواحي الميدان ولم تحض أربعة أعوام حتى كل إنشاء للبيدان على ذلك النمط الجميل . وبدت البساتين للنضرة والطراقت المنقطة وأقام القوم للقاضي التنظيف . وقصد سكان الأحياء المجاورة للبلوس والقرى . لكن مما يؤسف له أن الأمر قد حذر بدم القناة عقب احتجاج ربه بعض الأعيان وقناصل الممول . فلما في شكواهم إنه في أيام الصاريق يلقي الناس بها قنودات الخيل وأوساخ البيوت فتسبب الحيات وتنتشر الازفة . فطلب فصل إنجلترا المسرد « موري » وبعض أصحاب البيوت أن تترك لهم مجرى مياه صغيرة مخططة لرى حياقتهم حتى لا تطف بأقطاع المياه منها فأجابتهم الحكومة الى رجائهم وإن كان للبيدان قد قد خرير ليااء المادة وانصرفت لبساتين وبدأ يشق البيدان اصحاب للمين الوضيعة ولقاعة للصبول . فاعطت مكانه وعمل شاته مدة طويلة حتى ولى أمور مصر « اسماعيل باشا » فكان له شأن آخر كما سئى

## الأطلال والكوام

اذا ركبت قطار السكة الحديدية بين باب القوق والماندى شاهدت على يسارك في المنطقة الممتدة بين قطار الميون للوصلة للقلم ومصر القديمة أطلالا من الأتخاض والأوساخ أقام بعض الفقراء على كيانها مساكنهم الوضيعة هذه الكيان القليلة بقية ضئيلة مما كان موجودا منها في وسط القاهرة وأحيائها وضواحيها ولا سيما مصر القديمة وبولاق ... هذه الأطلال كانت ذكرى إقامة القريتين في القاهرة بعد أن خربوها بدميتم . وكانت أمتاخ البيوت الخربة منذ القدم تلقى حول القاهرة خارج سورها القديم فصنعت منها على مر الأيام تلال عالية وصل ارتفاعها الى الخمسين أو السبعين مترا ألفت وراء باب السيدة ريف وامن طولون وباب الوزير والدراسة والقرب من باب القصر وحى الحسينية . عدا الأطلال التي كانت داخل المدينة وما آلت اليه أحياء بولاق ومصر القديمة ( التسطاط )

فكملت القاهرة عاصمة من معظم جزائها تلك الأكوام التي تمسك جوها وتغلا فضاضها بالرياح المملة بالآثرية وجرائم الأمراض . ولم تكن الأكوام التي سيأتي ذكرها هي وحدها التي اشتملت عليها القاهرة فيما كنت ترى تلك الأكوام تمتد بين باب الحسينية الى القنطرة حتى باب الحديد ومن القنطرة اليمون تنجبه الى موقع محطة السكة الحديدية وتخرج نحو طريق السجينة حتى تخفق طريق أبي السلاء وتستمر لآب الوق الى ان تصل لمصر القديمة مارة بالقصر البالي وقصر موسى

وقد حاول السلطان سليم بعد فتحه مصر أن يزيل بعض تلك الأطلال لكنه شغل عنها بحيثيت دعائم ملكه الجديد فلم يعمل شيئا . وظلت تزايد يوما بعد يوم حتى نولى شئون مصر المتخوف له إبراهيم باشا فأمر للسيو « بوغور » مهندس إزالة الأكوام الواقعة بين النيل وبولاق ومصر القاهرة والقصاط وطالب إليه إنشاء منزهات خاصة مكانها ووضع تحت تصرفه ما شاء من الأموال والرجال

أقدم للسيو « بوغور » مهمة على تنفيذ ما أمر به ولم تضي ثمان سنوات حتى أتم ثلث المهمة ونجحت الرياض الصماء ترابها الأشجار الباسقة ولا سبا الجيز والبخ حيث كانت تملأ الأكوام التي ترد البصر قليلا

ولما عاد إبراهيم متصرا من قوساته بالشام فجع من روحه في تلك الأعمال الإصلاحية فسارت سيرا حثيثا . وأكمل « بوغور » إزالة الأكوام كلها من باب الحديد الى مصر القديمة غربي القاهرة بأمرها . واختفى التل الكبير الذي كانت تقع عليه طاية المعهد القروى في بركة تسمى بك . كما أزيل ما كان منها في الجهة الشمالية الا ما بين بابي التفتوح والنصر من جهة الشمالية والظاهر والقنطرة حتى باب الحديد من الجهة الأخرى . ولم يكن في استطاعة غير قائم عملاء تنصم ذلك العمل الجبار . فأقبلت الأيدي بتأثير أرادته القوية ومهته الشفاء تصل بكثرة واستمرت معاول القطع والجرف في تلك الزمن للكدسة تنزعها وتطرحها في البرك المجاورة لاسيا بركتها الرطبة وطبقة المستنصر حتى تخلصت منها القاهرة وحلت محلها للزروع والبساتين وبعثت أيضا أكثر البرك التي كان التيفضان وعدم الاعتناء يحولتها الى مستنقعات توكبها جرائم الأمراض . وفيما كان هذا العمل العظيم قائما اعتدت يد اللوث العاتية الى تلك القوة الجبارة فاجتثت شجرة حياقنا إبراهيم وتعلل العمل

## قلعة محمد علي

رأى محمد علي باشا يتأهب فكره أهمية الموقع العالي الذي يحتل قلعة صلاح الدين وتسلطه عليها وعلى القاهرة فأمر ببناء قلعة حصينة على دروة الجبل وإن يتخذ بها صهيح مخزن الماء العذب . شيدت القلعة بأبراج محصنة وأقام بها الجنود للكفوف بالحراسة ومهم المدخائر الكاملة والمدافع القوية . ولا زلنا نزال نمرمون مصر في أيام محمد علي سنة ١٨٣٣ وصف حالة القلعة في ذلك زمانه فقال انه لما كانت القلعة ( قلعة صلاح الدين ) يشرف عليها جبل المقطم شيد « محمد علي » على نفسه حصنا على النسيق التركي ليكون في قبضة يده صحكه في هذه القلعة . وهذا الحصن مروج ضيق التطاق يستند إلى سور من الحجارة وفي وسطه « برج » - والبرج والحصن مسلحان بالمدافع

## أبواب القاهرة

كانت القاهرة في تلك الأيام للمدينة الأولى بين مدن الولايات العثمانية بعد الاستانة شملت من الأرض ٩٠٠ هكتار ومحيطها ٢٥٠٠٠ كيلو مترا . ويبلغ تعداد منازله ٣٠٠٠٠٠ بيتا يقطنها ٣٠٠٠٠٠ من الأتالي . وذكر « كلوت بك » في كتابه لحة عامة عن مصر أن القاهرة أكثر من سبعين بابا أهم ما في جنوبها : باب السيدة زينب وباب طولون وباب القرافة وفي شرقها باب الورير وباب القريب وفي غربها من جهة النيل باب القوق وباب الناصرية وفي شمالها باب الحسينية وباب النصر وباب الفتوح . وكان في القاهرة أربعة مبادن كبيرة هي ميدان قرة ميدان وعيدان الرميلة بمجنوب للمدينة وميدان بركة النيل في وسطها وميدان الأريكة في شمالها الغربي وكان لا يزال في القاهرة نحو ألف وثلاثمائة وكالة وفي نواح متفرقة من المدينة نحو ألف ومائتا قهوة وثلاثمائة صهيح وسبعون حماما أشهرها في الانساع وثقافة البناء . وحسن الرأش حمام بريك وحمام السلطان وحمام اللؤيد وحمام الطميلي وحمام مرجوش وحمام ستر وحمام السكرية الخ . . .

## قصور القاهرة

أما قصور القاهرة فكانت كثيرة منها القديم ومنها الحديث . فكان يحيط الأريكة من جهاتها الثلاث قصور نفمة مشيدة على النسيق الشرقي وقف التاريخ في بعضها مفكرا أنى يجري إيجاريه فيها القصر القدي شاده محمد بك الأتالي بعد عدم ثلاثة غيره لم يبق

طليقا اندوكة . طلائع بناؤه وحده وفق مرامه داهمت الحلة العرسية الحكم الملوكة  
وحدثت شمله الا لقي بك صد هزيمة املية بهم على وجهه حاتم مراد بك رجبته  
وحطت قدسا بونا برت فكان كانه يوله . ومما القصر الذي كان لمسيره ابنه عدو ومحمد علي  
الدود والذي اراد اغتياله مرة تحت سائر الجبل ولم يطلع ! والقصر الذي كان لمحمد علي



( تصوير الاستاذ حسن النسي جده الزاوي )

قصر الجوهرة الجبل بالقاهرة

يوم كان لا زاراه يرتقي دوحات سلم طالانه العجيب وحمل به زعماء حده على ان تجسموا  
له عين الطاعة العمياء في كل ما يأمرهم به . وأنا الجهد الزاوية فكان يشعلها صيف بيوت  
خشبية عالية مظلمة وغريبة الشكل يحسبها وسكن بها جماعة من الأقباط . وقد شيد

محمد على لا يفتنه زليخ هانم قصر الأربكية وكذلك لا يفتنه تازيل هانم على ساحل النيل  
 مدعاه للمرحوم سعيد باشا وبني عله ثكنة قصر النيل . وشيد القاهج إبراهيم باشا قصر  
 القبة في طريق الخانقاه حيث كانت قبه القنوصى . وبني في جزيرة الروضة والمقياس  
 قصرا عرف بقصر المنارة . وشيد المرحوم عباس باشا قصره بالمخمس وبني أحمد باشا  
 يحسكن دارا عظيمة حطقة عبد الله بك بالفريلين وحطها قصر بن عظيمين  
 أحدهما الرجال والآخر المحرم . وبني إبراهيم باشا يكن دارا في سوخته اللاله مثل  
 دار أخيه كايى أحمد باشا طاهر بالأربكية - رايه المشهور باسم « ثلاثة ولى » وبني  
 خورشيد باشا السنارى داره في ماديدين . وشيد المرحوم شريف باشا الكبير قصره على  
 بركة أنى الشوارب وبني سامى باشا المرحلى قصره بدرب الخانقاه القدى تقوم فيه الآن  
 مخازن لوزارة المعارف

هذا الى قصر محمد على الرسمى القدى انشاء ناقلة وكان يعرف بقصر الجوهرة  
 وكانت تجرى فيه المخابرات الرسمية . وهناك في شبرا أقم محمد على قصره بالخلاصة بهوره  
 وديار حينه المرفوعة على أيدع نظام وأجل تسويق وكان محمد على قد أراد ان يجعل منه قصرا  
 من قصور الجنان بجانب تلك المظال الرخامية المتناجزة صفوها على شكل مائة أزهار  
 تجلت الدقة في صنعه وتكوينه وأعد لجلوسه أربكة حريرية لينسى له في شيخوخته  
 الوهولة ان يصعب أنه انتقل الى جنة الفردوس التي أعد لها ربه للعالمين

## شوارع القاهرة

ولكى يصل بين القاهرة وذلك القصر المنيق بضاحية شبرا مد شارعا جميلا من باب  
 الحديد غرس على جانبيه أشجارا الجميز والبخ . فكان هذا الشارع ملتقى الطبقات الراقية  
 من سكان القاهرة يقتصدونه في عرباتهم المصنعة التي كان يسبقها طلبة السواس بلباسهم  
 المزركشة الطليقة

أما الشوارع التي استعدت في قاهرة محمد على فكان لابد من شقها لكي يحصل  
 توزيع النشاط والحركة داخل المدينة . فوضع تصميمها يتناسب مع تطورها القدى ابدعه  
 وكان لابد من شارع ينفرد ناحية القاهرة من شرقها الى غربها فكان شارع الموسيقى  
 وليد هذا التصميم القدى ثم في أيام عبد اسماعيل . ولما اتسع طاق المصارف وسكن  
 جهة الموسيقى والأربكية كثير من الفرنج ونمت الحركة التجارية وازدادت عربات النقل





المنطقة العامة بحرس شبرا

أمر محمد علي باشا بفتح شارع السكة الجديدة وكان ذلك في عام ١٢٦٢ هـ قبل وفاته  
ثلاثة أعوام . واشترى ملاك التي تقابل الشارع في مروره وعمل له رسم فلم المهندس  
التابع لديوان المدارس والحدود في النيل في نفس العام المذكور ويمتد الأراضي الزائدة  
عن حاجة التنظيم لأعيان الشراء ووصل العمل إلى قنطرة الموسيقى لآنوق محمد علي . وفي  
زمن المرحوم عباس باشا استمر العمل فيه إلى أن وصل إلى شارع النحاسين . وفي  
زمن الخديو اسماعيل امتد إلى جهة الغرب وارتدت عليه الأرض على جانبيه في أيام  
توفيق باشا

كذلك أضاف محمد علي باشا طريقاً بين القاهرة وضاحيتها بولاق

### مياه القاهرة

كانت القاهرة حتى أيام محمد علي تستقي رأساً من مياه النيل على أيدي سقاكين موجودين  
اهتمامه إلى هذه المسألة الحيوية وفكر مائده الأمر في تعميق قاع الخليج المصري بحيث  
يصبح ترعة صافية يستمد مياهها لرى الأطنان الواقعة شمال العاصمة فوق ارتفاع أهل  
للأاهرة بها اشترهم . لكن عقبات كثيرة حالت دون ذلك أهمها أن أسس جدران

حفظهم للبانى القسامة على ضفة الخليج لاستطيع مقاومة الصميق المطلوب . فذكر فى طرق أخرى كأيجاد آلات رافعة عند فم الخليج أو حفر ترعة يكون لها على بعد كاف فوق القاهرة بحيث اذا مياها صبت فى الخليج كفت ماء طول السنة ولكن للمصاعب التى قامت دون تحقيق كل ذلك أدت الى الأهمام عن المشروع باننا

فلما شيد عباس الأول قصره المشهور فى الصحراء الشمالية « الدار البيضاء » ومجيت تلك الصحراء ( العباسية ) باسمه فذكر هو أيضا فى توزيع المياه على القاهرة فوسيع فرع كبير منها الى ذلك القصر وكلف بالعمل « لينان بك » ثم ضم اليه « لأمير بك » والمسيو « بوديسو » فوضوا للمشروع وقدروا نفقات تنفيذه بمبلغ ٣٣٤ و ١٦٩ و ٣ فرسكا وبدعوا يسورون الأرض ويحيطون تصحيات الشوارع التى عزموا على نسيه مواسير المياه تحتها ولكن العمل أوقف لكثرة تكاليفه

وجاء سعيد باشا فأراد أن يهتم بالموضوع أيضا فاقصص بالقتصل الفرنسى لى يكلف أحد للمهندسين الفرنسيين وضع تصحيح جديد المصادقة عليه فأفسس هذا الفرنسي واصله « كرويه » شركة وبأشر الأعمال التهديد بالانعام للمشروع ولكن لم يتسدد منه شيء بذكر حتى تخدمته مشيخة اسماعيل

## فى قلعة صلاح الدين

ان سكنى ولى الأمر فى الأربكية أى فى قلب العاصمة يسهل أميل الى الاصفاء لمطالب الشعب اذا حاجته خواطره . لأن الأربكية كانت للبدان القدى تحتشد فيه الجموع اذا حفزها حفز من شكوى أو احتجاج . فلما ملكتها ولى الأمر كان أقرب الى رؤية مظاهرات الشعب وأدنى للاستماع الى مطالبه . أما اذا استقر فى القلعة فكان أنه يريد أن يجتمع فى قمة الجبل وينظر الى القاهرة كما ينظر النسر المحلق فى السماء الى فرسته على الأرض . وهكذا قل بعد على ...

وانك ترى القلعة ترش على ذروة المقطم كما برجن الأسد فى عرينه وهى بأبراجها ومدافعها تنظر الى القاهرة وتمسك عليها ويكنيك أن تصعد يوما ليلها وتمد بصرك الى ما يتناولها الأفق لتتضائل القاهرة أمامك اذ تراها مبسوطة ليميك بشوارعها حرمياتها وقصورها ومبانيها وأشجارها وحدائقها كرقعة صغيرة تكاد تكون فى قبضة

يدك على بسطة ذراعك . وهيات أن تبلغ سمك أصوات شعبها مهما طلت أوا كفتت  
به اليادين

انتقل محمد علي باشا الى القلعة واتخذها مقبلا له حينما قامت في المدينة فتنة الجند  
الأتراك عامود . ومنذ ذلك اليوم وهو مستمر ان يستأثر بالحكم لا يتنازع فيه متنازع فأخذ  
فتنة الجند وتخلص من زمامة الشعب وقضى على المالك

وأعمال محمد علي في قلعة صلاح الدين يجب تحليلها في سيرة أخرى . فكانها  
أن نشأت في عصره من جديد . أو طدت اليها الحياة ودبت فيها روح النشاط بعد ما حملته  
على أيدي ولاية الأتراك من ظلم وهوان . أو شكت في عهدهم للظلم على الخراب والفساد  
فأخذها محمد علي وأزال ما فيها من الأتقاض وأصلح أسوارها وأطد اليها قوة أبراجها  
ورقاعة أبوابها . وشيد قصر الجوهرة وأقام فيه مسجدا . وبني شكاكات الجند وديوانا  
للمنظار وبيتا لضرب المال ومصانع للنفخ . واشتهرت القلعة بقرساتها التي عظمت  
وحاستت ارجائها لاسها بعد عام ١٨٣٧ فصارت عاملا محمد من قصر صلاح الدين الى  
باب الانكشارية للطل على ميدان الرمية . وكان أهم مصانع القراسة وأكثرها عملا  
معمل صب المدافع تصنع فيه كل شهر ثلاثة مدافع أو أربعة من عيار أربعة وثمانية  
أرطال وصنعت فيه مدافع الهاون ذات القناني برصات ومدافع قطرها ٢٤ بوصة

ولما زار للاريشال « ملومون » رسالة القلعة سنة ١٨٣٤ أعجب بنظامها وأعمالها  
وقال عنها « إن معمل القلعة يضارع أحسن معامل الأسلحة في فرنسا من حيث  
الأحكام والجودة والتدبير »

وكان يشرف على ادارة هذه القراسة العظيمة أحد الضباط الأكفاء الذين نهضوا  
بالمدفعية المصرية هو اللواء ابراهيم باشا آدم

استطاع محمد علي العظيم بهمة السالفة أن يجد قلعة أيام عهده الأولى . مجدقون  
الوسطى وأبنة الممالك البحرية ومكنها للوطنون وللمد والمصانع . لكن بعد أن  
استقر محمد علي في قصر الجوهرة عدة سنين انتقل الى قصره بشبرا كما كان يقضى بعض  
أيام في قصر مراد بك في الروضة بعد ان اطمأن إلى استتباب ملكه وأمن إلى رجله  
القلع الصلح الذين أقاموا في القلعة بالنيابة عنه للأشراف على أعمال دولته الناشئة . ولم  
يكثف محمد علي بمصنع البنادق في القلعة بل أشتا في الحوض للورود حوالي سنة ١٨٣١  
معملا آخر لصنع البنادق وكان من قبل معمل النسيج وعهد بإدارته الى رجل ايطالي

١٤٦ « للسيور مارينجو » وتسمى باسم على أفندى . وبلغ عدد عمال الخوض المرسود  
حوالى سنة ١٨٣٧ ألف ومائتى صانع ورؤساء عمل يعمنون فى الشهر نحو تسعة  
بندقية من مختلف الأنواع  
وأنشأ محمد على بمرار القلعة المتفرخة لصنعت بها وثائق الحكومة ودقارتها ومجالاتها  
وكانت من أجل منشأته ولازال قائمة فى عملها اليوم

## بولاق والسبتية

نظر محمد على بنائب بصره فرأى ان المدن الكبيرة كطنين وبازر لها أحياء خاصة  
بالصناعات الكبيرة فعمل على أن يكون أيضا للقاهرة حى الصناعات المهمة فأين قيمه ؟  
وجد أخيرا أن قيمه بين شيوا وبولاق فى المكان المعروف اليوم بالسبتية

أقام فى بولاق مسكنا للعديد فى بناء مشيد تشيدا فخما تكلف نحو سبع ألفا من  
الجنيهات ووضع تصميمه للمهندس الإنجليزي « مستر جالويه » الذى أشرف على العمل  
فيه بمساعدة خمسة من الهند الانجليز تحت اشراف الفاتحام ابراهيم بك آدم ( ماشا  
ما يبد ) وكان يصب فى هذا المسك حوالى خمسون قطارا من الحديد كل يوم وأنشأ  
أيضا مصنعا آخر مسمى مصنع مالمطه عهد خادته السيو « جوميل » وأعد له لنزل القطن  
ومسجه إلى أقمشة مختلفة وبلغ عدد دواليب النزل فيه ٢٨ دولايا و ٢٤ آلة تدار بواسطة  
أربعة عشر طنورا تحركها آلة يجرها نهاية من التيران . وكانت تصبى على ورش  
التجارة والمخرطة والمعداة . وكان بالقرب من هذا للمصنع مصنعان آخران لنزل  
القطن عرف أحدهما بمصنع ابراهيم أنا والآخر بمصنع السبتية

وأنشأ فيما بين بولاق وشبرا على شاطئ النيل عمارات ومنازل بخوية وحظيرة  
واسعة أطلق عليها اسم « البيضاء » وفيها كانت تبيض الأقمشة التى تصنع فى الماطل  
بلاسياليب الصناعية الحديثة . وأنشأ مصنعا للجوخ على شاطئ النيل امتاز بمودمه .  
وأزال محمد على أقاض بولاق وخرايبها وحولها إلى حى صناعى راق . وقامت فيه الورش  
والمصانع والسالك والمخازن ومساكن للهندسين . وكل من شاهد بولاق فى أول القرن  
التاسع عشر ثم زارها فى أواخر أيام محمد على يهتئ كثيرا كيف تم لها هذا التحول

العجيب . وقد وصف هذا الصعود الرحلة الانجليزية «تيلور» ( ١٧٣٩ ) وزميله الفرنسي كومب ( ١٨٤٧ ) وأعجب الاثنان يولاق وبشاط حركتها القائية وتطور خلا . وعلى العكس منها كانت مصر القديمة سائرة في طريق التدهور فشلت حركتها وبدأ عدد سكانها يتضاءل ولم يبق فيها الا بعض عازين الحبوب التي كانت تهبها من مديريات الوجه القبلي

## جزيرة الروضة وبركة الفيل

وماد العمران إلى جزيرة الروضة فبنى أمراء الدولة فيها قصورهم وأقاموا بها بينهم العاسرة والأشجار والأزهار في جهتها القبلي أقيمت سراي حسن باشا للتساري بالقرب من القياس . وفي الجهة البحرية أقام الإنسان الكبير الذي أعده للرحوم القائد إبراهيم باشا للزعة . وكان الناس على اختلاف طبقاتهم يزددون على ذلك المكان في أهمهم التسم وكان يحوى على الأشجار للفتحة القرية المحلوبة من البلاد البعيدة وعلى أصناف الحيوان والطيور كما كان به خليجان نهري فيها المياه ومثارة صنت من الودع ومخيلة من الأشجار والحشائش والأزهار . وعلى الحد الشرق للجزيرة كانت قصور الأمراء وبساتينهم كقصر سليم باشا الجزائر وبستان للتوبة وأرض لست البارودية وبها جامع وضريح سيدى ابن يزيد السطاسى ثم أرض حسن باشا يكن وبستان شاكر بك وبستان وقصر على باشا شريف وبستان وقصر ذى الفقار باشا ثم سراي وبستان الخديو اسماعيل والطريق للوصول إلى جامع قايجاي الكائن بوسط الجزيرة يفصله من السراي عن سراي والده الرحوم عباس باشا وأرض القوق إدمون

والحد الغربى للجزيرة للقابل لمدينة الجزيرة يليه من الجهة القبلي قصر أمين باشا ثم يليه أرض حسين باشا يكن ثم أرض على باشا شريف ثم أرض الخديو اسماعيل ثم أرض احمد باشا للتكلى ( ناظر الحرية ) ومثل وبستان خليل بك

وأقيم معمل البارود في لقياس طرف الجزيرة وكان بناؤه فسيحا ومناسبا وبدا عن المساكن وتولى إدارته فرنسى اسمه «سيو مارتل» وتولى العمل تحت إدارته تسعون مائلا موزعين على أقسام العمل المختلفة

أمر محمد على بدم بركة الفيل التي وضعها الرحلة للشهور ابن سيد وكانت من أعلام القاهرة القديمة فبنى لها بكترية للتلال القرية والأشجار المجاورة وغرس على حافتها الأشجار وزرع البساتين وشيد بالقرب منها قصرين عظيمين مرة بقصر الحلية ودرج

الجامع . وبنى أبنائه البيوت الكبيرة واغشرت أملاك رجليه . فأصبح سكان ذلك الحى من الأوسقراط والخاصة . وكان إلى عهد محمد بن جريد تسكنه أسر الأتراك والفرس ثم اختصت على مر الأيام القنطرة التي كانت تخشى البركة بالمياه

### جامع محمد على باشا

ومن مؤسسات الخرحوم محمد على باشا بالقاهرة جلوسه العظيم فى القلعة . فقد بدأ عمارته سنة ١٧٩٦ هـ بعد انتهاءه من تنظيم القطر المصرى وبعد ان انتهى من فوجاته الخالصة . وقد اختار لبناء هذا المسجد قلعة مصر السكى يتضح موقوفوا المعارين والقصر بالقاعة العلويات وأغلة قلعة من الأرض مقسمة كانت بها آثار ميان باقية فأمر بزلتها ووضع أساس مسجده عليها . وقد تم رسم المسجد طبق مسجد نور عثمان بالإسكندرية وجامع سيلوى ساريا بالقلعة وعمل له أربعة أبواب من الجهة البحرية بجان أحدهما للصحن والثانى للقبو ومن الجهة الغربية بجان أيضا وقد زينت جدرانها بالمرمر النفيس

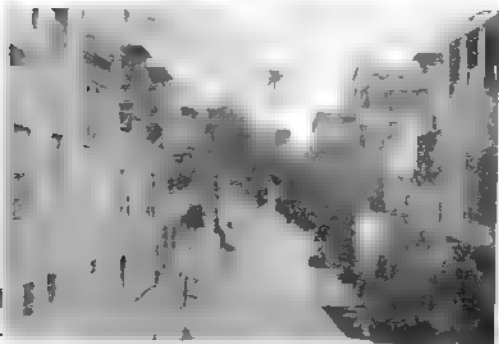
وانقل للخرحوم محمد على باشا إلى رحمة الله تعالى قبل ان تمام بناء المسجد فدفن فى مقبرة أمر بجمعها له قرا فى الجبل وبشر عمليا بغضه قبل موته . ولما تولى بعده الخرحوم عباس باشا فى سنة ١٧٩٥ هـ أمر بتمام هذا المسجد فأحضر أرباب الصناعات وقشوا الأكتاف بعد ياضها وطلاتها بون الرخام وبلطت أرضية المسجد وطلبت قبابه ونقشت الآيات القرآنية على قبابه وعمرابه بالخط الثلث المحلى بماء الذهب وعملت قضايا من الحديد علفت بسلاسل نحاسية ثبتت بالقباب والمقود ووضع بها أربعين وخمسة عشر تنورا من البلور لأيقادها بالوالم والبالى الأعماد ووضعت بالقبعة الكبيرة نجفة من البلور النفيس بأثنين وسبعين تنارا ونجفة أمامها أبواب بثلاثة وخمسين فيارا وأخرى أمام باب القبعة من جهة الصحن خمسة وخمسين تنارا ونجفة أمام باب القبعة البحرية بأربعة وعشرين فيارا ثم أمر باستحضار تركية وسفر من الإسكندرية ووضعها على المقبرة . ثم أمر عباس باشا بجمع مقصورة بين النحاس الأصفر فعملت حول المقبرة ووضع بداخل المقصورة مائة شمعدانات من القنطرة لارتفاع كل واحد متران ووضع بها عدة مصاحف بحلة الذهب

### جامع عمرو بن العاص والسيدة زينب

وعنى محمد على باشا بأمر إصلاح مسجد عمرو بن العاص . وقد كتب « أوربار » سنة ١٨٤٥ يقول : « والأعمال جارية فى عمارة المسجد وترميمه وإصلاحه إصلاحا



المتحف



الحديقة المركزية في متحف القرن التاسع عشر

شاملا بأمر الباشا الحالى « - ووصف « جيرول دى برانجى » هذه الاعمال بقوله :  
 « وفى سنة ١٨٤٥ رأيت الميزة قد شملت ثلث المسجد من بلاطه الى سقفه والحجر جار  
 بصحته . . . الخ » ومن المحتمل ان رواق المسجد القبلى أخذ شكله الحالى منذ هذه  
 الميزة كما يظهر ذلك من الاطلاع على صورة شمسية أخذها فينار سنة ١٨٥١ قد تكون  
 أول صورة شمسية أخفت المسجد

ولما استقرت ولاية محمد على باشا على مصر اهتم بتجديد مسجد السيدة زينب  
 واصلاح ما تهدم من أجزائه . وكان قد ابتدأ فى تعميره الأمير عبد الرحمن كصفا  
 البحار وعلى فى جملة عماله فى سنة ١١٧٤ هـ إلى أن ظهر بمخلال كاتيب الميزة عثمان بك  
 المعروف بالطنبورجى ( ١٢١٢ هـ ) فهدمه وكشف انقاضه وشرع فى بنائه . وفى أثناء  
 العمل دخل الفرنسيون مصر فوقفت الميزة حتى دخل السنايوت البلاد آخر خروج  
 الفرنسيين . ولما انتهى الأمر لمحمد على باشا شرع فى أكمل اصلاحه وتسقيفه فتم  
 على أحسن حال وزخرفت جدرانه بالقنوس ووصلت به صلاة يوم الجمعة فى ١٤ ربيع  
 الثانى عام ١٢١٧ هـ وقد حضرها محمد على باشا والفرحان وبعد انتهاء الصلاة أهدى  
 الباشا خلعة الى الشيخ عبد الأمير المالكي

وقد راد فى مقوشه للتطور لما عباس باشا وسعيد باشا فيا بعد على يد ناظر الأوقاف  
 المرحوم ابراهيم باشا آدم . وفى عهد الخديو توفيق باشا جعلت أجزاء كثيرة من  
 للمسجد أهمها القبة الكبيرة تقلد زيد فى اتساعها وورغ من بناءه وزخرفته عام ١٣٠٤ هـ  
 غياه مسجدا جميل الشكل بديع الحسن

## دور الكتب

لم يكن فى القاهرة أيام محمد على دور عامة للكتب كالتى نراها اليوم ولكنه كان  
 فى كل مسجد مكتبة خاصة تحت إشراف شيخ المسجد . فمكتبة الأزهر اشتملت على  
 عدة آلاف من الكتب الدينية كما كان الحال فى مكاتب مساجد محمد أبى الذهب وأزبك  
 وشيخو . وكانت أكبر المكاتب الخصوصية فى القطر المصرى مكتبة سمو الأمير ابراهيم  
 باشا القناخ . فقد احتوت على ثمانية آلاف مجلد وقيل انه لما عاد من فتح المورة  
 واليونان جلب معه مالا يقل عن ٥٠٠ و ١ كتاب كانت فى مسابحها وأودعها فى القلعة  
 وكان يطلق « حبيب افندى » محافظ القاهرة مكتبة عظيمة اشتملت على خمسة آلاف  
 كتاب أو أكثر



وقد كان من أعظم ما نرصد على قاهر انشاؤه للجامعة المصرية ببولاق حيث  
طبعت مئات الكتب والرسالات في شتى العلوم والفنون الحديثة

## مشاهد القاهرة

ولقد شاهدت القاهرة في أيام عهد علي كثرًا من الموائد العظيمة المتصلة باريخ  
مصر فقد خرجت الجيوش المصرية تحت قيادة القائد ابراهيم الى بلاد العرب ونسطين  
والشام وآسيا الصغرى واليونان والسودان  
استيقظت القاهرة بعد نوم عميق دام ثلاثة قرون لم تر فيها جيشًا من أبناء البلاد حتى  
ولى أمورها محمد علي باشا فأسس الجيش المصري الحديث وأصبحت أواصره بمحروج  
المهندسين الى عيالات الصلح خارج باب النصر حيث قبة العزب غرقوا في ثلث الليل  
الآخر واجتمعوا في القصر على الرماية وضرب الطرجم ملأوا الى المدينة في احتفال عظيم  
فرحوا الطرقات بنجولهم واستقبلتهم الجماهير بالاعجاب والحفاة لأنهم لم يروا قبل ذلك  
اليوم جنودًا من أبناء بلادهم يراولون الحرب كالفانين والألبان والماليك  
وفي اليوم التالي خرج محمد علي باشا قاصدا بولاق وجع جنود ابنه اسماعيل باشا  
ونظمهم على الطريقة التي عرفت بالنظام الجديد . وشاهد كثر يهيم على أيدى المرتين  
الاروين . فلما آتم عدته وجز جيوشه شاهدت القاهرة الجيوش المصرية تخرج منها  
وتعود اليها تحمل ألوية النصر

## حفلات زواج الأمراء

وفي عام واحد ( ١٢٢٩ هـ ) شاهدت القاهرة حفل زواج الأمير اسماعيل باشا كامل  
نجل محمد علي باشا ابنة طرف . ذلك في أحضرها من الأمهات . وزواج القدر من امته  
زينب هانم . فن الحفلة الأولى كلف كسختها بك ( محافظ القاهرة ) السيد عبدالعزقي  
كبير تيار القاهرة بتنظيم الأفراح واهتم على أن تكون مبهجة بانها حركة الأريكة تجاه  
بيت حرم محمد علي باشا وطاهر باشا علي أن يجتمع للعدون في بيت الأخير وتدار للمطامح  
في خراب بيت الصابونجي . وأرسلت أرواق الدعوة للعدون وأقيمت في وسط الحركة  
عدة صواري لتركيب القناديل والصابيح ونصب جبل لبلوان امتد بين بيت الباشا إلى  
رأس ماذنة كانت بمجهة حرة القولة واجتمعت طوائف اللامعين والموسيقين والحواة

والقراياتيه والرقاصين . واستمر اليوم عدة أيام ليست القاهرة انتاعها حلول الزينة والابتهاج

وفي اليوم المين لعراج الأميرة زينب حاتم حضر حريم الباشا من ولاق الى الأثر بكية في عربات مفقفة ضمت للداخل لمن واقعت الولائم واعدت للربات التخممة لنقل للتصويرين سوفي يوم الزفاف مارت للربات وللوكب من ناحية باب الهواء تقصده قطرة للموسكى فباب الخلق ثم درب الجمائز وعطف من الصليبة على للظفر فالسروجية فقعبية رضوان بك باب زويلة فشارع التتعدرة كالجالية الى سوق مرجوش قيسين السورين فلأز بكية حيث كان منزل المروسين

وقد طبق الجو بالقيام لما توسط للوكب للدينة وأمطرت السماء فتوحلت الأرض واهل الساترون والمخرجون واخجل نظام الاحتفال . ولم تعمل المروس الى دارها الا قبيل دو الشمس من غروبها ثم أتجلى الجو

وفي نفس العام خرجت زوية الباشا للصح فرت تحت باب التتصر في عفة عظيمة وحضر لوداعها ابنها ابراهيم باشا من الصعيد مع أخيه اسماعيل باشا وفي صحبته الدقردار وطاهر باشا وصالح بك السلطنو وغيرهم من أفراد الأسرة الحميدية العلوية

### المستقلين وكلوت بك

بين الشخصيات الفذة من الأقطاب الذين أقاموا في القاهرة في أيام حكم محمد علي المسر « أموارد وقيام لين وكلوت بك » قام الأول وحده بما لم يسبقه فيه غيره من علماء الأوربيين فقدم آداب للمصريين وعواظهم واخلاصهم ويوتهم لأوربا . وأدخل الثاني إلى مصر الطب الحديث كلعرفه أوربا في ذلك الحين . والواقع أن الاثنين أنما عمل بهما تاليلون بونابرت علما وثقافة . ماش الاثنان في القاهرة مبعثة للمصريين وامرأجا بهم واجدا عن أبناء جسييتهم لوفضيا في يتبعهما حياة دراسية وبحث وقد قيل ان « لين » أسلم وسمى نفسه منصورا فتدنى مكان يرتدى للباس الشرقية والعبادة ويخلع الساجد ويذوره أصدقاؤه للمسلمون في يده ياب الخلق وترك ذفته تنمو على طريقة مشايخ الطرق واتخذ اثنين من المدرسين ليعن عليهما الفنة المصرية فاستطاع تراجعا ألف ليله وليلة ثم ألف قاموسا في الفنة المصرية

أما كلوت بك فقد كان أول من أدخل العلوم الطبية الحديثة إلى مصر وكان أول من شرح الجسم الانساني أمام طلبة مصريين في القصر المينى . عهد اليه بعد على تنظيم

الإدارة الصحية للجيش المصري وجهه رئيس أطباء الجيش . وقد أشار على باشا بإنشاء مستشفى عسكري في أبي زعبل فنفذ اقتراحه . وفي عام ١٨٢٧ أسس مدرسة للطلاب الأولى التي صارت بمبت التمهيد الطبية في مصر

### سليمان باشا الفرنساوى

وكان الكولونيل سيف من ضباط جيش نابليون وانصرف عن الخدمة إلى الزراعة وما لبث أن قدمه أحد أصدقائه « الكونت دى سيكور » إلى عدلى باشا فقاما سنة ١٨١٩ فهد إليه بالبحث عن القسم الحجيرى بأسوان ولا عزم على تأليف جيش مصرى على النظام الحديث وبعد فى تلك الشخصية الفرنسية ضالعه . ولم يلبث الكولونيل سيف أن أخذ فى تعليم الجنود حتى أتم تعليم فرقة استعراضية ميدان الرماية بحضور عدلى باشا وأعيان البلاد . ومنذ ذلك الحين أخذ على عاتقه ترقية الجيش المصرى وجهه الاداة الرئيسية التى حقق بها عدلى باشا اميراطوريه العظيمة

### شاتو برين والكونت دى فوربان

فى اليوم العشرين من أكتوبر عام ١٨٠٩ فى أوائل سنى ولاية عدلى باشا وصل الأديب الفرنسى « شاتو برين » فاستقبل على ميناء الاسكندرية القنصل الفرنسى « السيد دودوي » ورحل إلى رشيد حيث قضى بضعة أيام ثم استأجر سفينة نيلية ألقته إلى بولاق . واستضافه ألبا للسيد « فيلكس مينجان » ( Felix Mengin ) مؤلف كتاب « تاريخ مصر تحت حكم محمد على » الذى صحبه فى أكثر زياراته فى القاهرة وأرباضها كالمطرية ومصر الحديقة

وفى اليوم التالى لوصول شاتو برين القاهرة طلب السماح له بمقابلة الوالى بمصر الجوهرة بالقلمة وكان قباشا غائبا فتاب فى استقباله أحد أبنائه الأحرار وعجّل إليه كان الامير « ابراهيم باشا » . ثم خرج شاتو برين عقب الزيارة فبهره منظر القاهرة من ذلك الطور الشاقق . وأمامه النيل والمبحراء والأهرام والآذان والقباب

وزار شاتو برين جزيرة الروضة التى عني بوصف جمالها للسيد « سافرى » ولا سيما جدارتها الفناء . ورأى الاهرام تقرب منه كلما يقرب منه على حافة المبحراء برمالها القدسية . هناك على مسافة ليست بعيدة عنه المبحراء وآثار سقار وميدان معركة الأهرام . فأوحى اليه خياله المعصب وهو جالس تحت أشجار الصنوبر والجوز والسطل مادون من رحلته فى مصر فى أثناء تلك الفترة التى بدأ فيها يقيم محمد على يصعد إلى السماكين

وبعد عشرة أعوام من زيارة شاتوبريان من مصر في أواخر عام ١٨١٧ الكونت دي فوربان (De Forban) أثناء رحلته في البحر الأبيض المتوسط وموريا . وقد وصف في كتابه مدينة القاهرة وصفا سريعا بعد زيارة مساجدها وحماماتها ووكالاتها وأسواق الرقيق وقد اشترى فاته جركية جميلة دفع لصاحبها ستة آلاف جنيه . كان محمد علي باشا في الاسكندرية لما وصل « دي فوربان » إلى القاهرة . وكان كخياه محمد بك لاز وعلي قائما بأعماله . فلما طلب من القنصل الفرنسي السيد «روسيل» مقابلة محمد بك اقترح عليه أن يذهب سويا . وفي اليوم التالي بدأ اللوكب من القنصلية الفرنسية الأزبكية وامتلى الاثنان جوادين مطهين بالفضة يحف بالوكب الشاويشية والقواصون والسياس والصوية . فلما وصلوا إلى القلعة كان يضطرهما الكنعيا في قاعة الاستقبالات الكبيرة وحوله خشبة من اللباليك والضباط الأتاليين ثم جلسا على الوسائد في الديوان والقرب منهما جلس الكنعيا بك ووقف للترجم فبادلوا التحيات وقدمت لهما التارجيلات المرسمة بالأس ثم جلست القهوة وتجاذبا الأحداث مدة نصف ساعة . وقد خلع الكنعيا على القنصل الفرنسي خبطة الشرف وأهدى الكونت جوادا عربيا اصطفا في عودته . وبعد انتهاء الزيارة عادا بموكبهما الحافل إلى حي الأهرنج

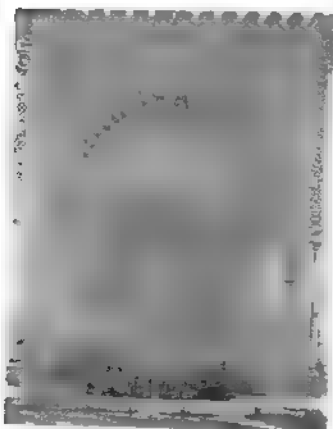
وبعد عودة الكونت من الصيد قصد الاسكندرية ونجح في مقابلة الباشا في قصره الماهر برأس العين وكان حاضرا في قاعة الاستقبالات العظيمة يحف بمرجله النظام . وعلمت على أحد بطران القاعة صورة لحليفة المسلمين ثم تناولا الحديث عن العلاقات الودية بين مصر وفرنسا وتكلم محمد علي عن مشروعاته العظيمة التي أعدها البلاد والصحاب التي يقاومها كل يوم من الهول لانشاء مصانع الأسلحة والمساكن ولكنه صرح بمزمعه على تنفيذ كل رغباته ولأشياء بالخصيص بتحصين السواحل بالقلاع والحصون وتجهيزها بالمدافع

### « الكونت ماركيلوس »

وفي عام ١٨٢٠ جاء مصر الكونت « ماركيلوس » الفرنسي وتعرف بالكولونيل سيف وتلازم الاثنان كصديقين . وهذا الذي أتاح له القدر أن يكون فيها بعد القائد المسلم « سليمان باشا الفرنسي » قدم صديقه الجديد إلى نجدة من رجال فرنسا في مصر ومنهم المهندس المعماري « ماسكال كوست » الذي زار معه جميع أنحاء القاهرة . وكان بيت القائد العام للجيش المصري في مصر القديمة بجما لأهل العلم والفن من أبناء فرنسا منهم « جوزيف بلاتا » وهو راس فيزيه ومارمون . وجسكيه . وأسيه . ولوفيون وبارديو وفلوري ومكسيم دوكام وغيرهم



قصر سلیمان - القرمی  
على شاطئ البحر  
وكان يجمع القدياء والقواد  
والقضاة القرمی



باب القصر المزخرف

وحظى ماركيلوس قبل رحيله من مصر خطي بمقاولة محمد علي باشا في قصره بالإسكندرية فودعه الباشا كما استقبله وبالغ في الترحيب به وتحدث إليه عن تجربته الأخيرة إلى سيوة التي أهدت ثورتها الممتر دار . وسأله الباشا عن حالة استحكامات سوريا وحصون عكا . وفي القابلة الختامية خلط عليه الباشا حديثه ثمة لا تقدر به . فان سمى الوالى كان يصح دائما سيفه للرمع بالجواهر بقلعه الذهبية الى جانبه نقله وألبسه الى الكونت ماركيلوس

وجاء بعده نجدة من الرماحين المشهورين مهم دوزا والأثر بان كاليارون رينوار وشامبوليون الكبير مستكشف المير وغيلية والمؤرخ جوزيف ميشو ( ١٨٣٠ ) وأخيرا جماعة « سينت سيمون » ( ١٨٣٣ - ١٨٣٦ ) الذين قاموا في مصر بعدة أبحاث في طليعتها قناة السويس والقناطر الخيرية . وكان لأبحاثهم الفنية أثر يذكر في تطور التفوذ الفرنسي في مصر تطوروا نما وزاد ظهورا فيها بعد

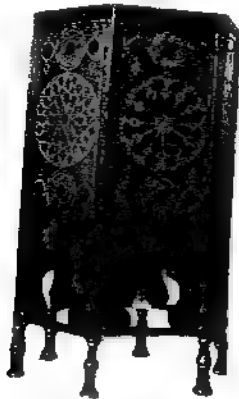
### المارشال مارمون

وفي ١٢ أكتوبر عام ١٨٣٤ وصل مارشال فرنسا العظيم مارمون (Marmont) مصر فقامت خاتمة رحلته الطويلة في شرق أوروبا وآسيا الصغرى والشام لما وصل للمارشال الى مصر أمره عد علي باشا باستقباله استقبالا رسميا يليق بشهرته العسكرية فأرسل إليه عربتين تحميهن وصلا إليه حديثا من فينا . واصطف الجنود المصريون على جانبي الطريق لتأدية التحية العسكرية . واستقبله الباشا أمام القصر وصار يجابهه حتى دخل قاعة الاستقبالات وأجلسه الى جانبه . ولم يكن معهما في تلك اللقابلة غير اثنين هما ناظر الأمور الخارجية بوعوس بك وابن اخته ودارالدين كان يترجم بين الباشا والمارشال . وفي الليل اقيمت حفلة عشاء ساهرة لشكره ثم افترقا صديقين جيمين وانفقا على اعادة اللقاء

وفي صبيحة اليوم السابع والعشرين من نوفمبر ١٨٣٤ زار للمارشال مارمون القائد سليمان باشا الفرنسي في قصره الجديد بمصر القديمة فاستقبله فرقة الموسيقى العسكرية بشيد المارسييلز والباريزين . وكان سليمان باشا ينتظر قدوم ربه القديم في جيش الأمبراطور صادت بها الذكريت القديمة الى انتصارات نابليون في النمسا وإيطاليا وبروسيا وأسبانيا . . والى الحلة المصرية . . والى عام ١٧٩٨ وتذكرا كيف تقصت ملاحق القاهرة . . بين عامي ١٧٩٨ و ١٨٣٤

وكانت القاهرة لا واراها مارمون تزخر بالمدارس العسكرية وللصالح الحربية وتمكنات  
 الجنود . وكان سليمان باشا يصحب للار بشال أثناء ويراثة لشاهدة أعلام القاهرة وآثارها  
 المحيطة . ثم قصد مارمون الوجه القبلي يحمل مجلد رسائل شملين عن الآثار المصرية  
 وزار اليوم وطية ووادى المنوك وقصد بعض مناطق البحر الأحمر ودبر القديس بولس  
 ثم عاد الى القاهرة بعد ستة أسابيع

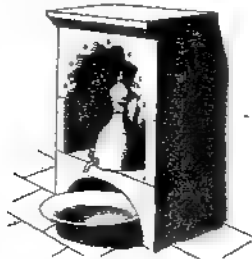
كانت عودته في شهر رمضان المعظم فكان يرى داجيا عجب المشاء الى محصر الجوهرة  
 بالقلمة حيث يجلس مع ابوالى للتحدث في غنائب الشؤون الدولة والادارة والعسكرية  
 والبحرية ويدحان النرجيلة ويشربان القهوة الدبدة في فتاجين الذهب الدبة . وفي  
 المقابلة الأخيرة طلب سموه لاشا من لثار بشال ان يقل عنه تذكاراتها فقدم اليه  
 طلبة لطيفة الصنع مرصعة بالماس والجواهر وجوادا عريا مطهما بطقم من القصبة .  
 واحصى يوديعه رسميا أمام قصر سليمان باشا على النيل بحضور أهم الشخصيات الرسمية  
 ورجالات البلاط وركب فرقاطة عسكرية عائدة الى فرنسا



كرسي عري مصورة دار الآثار العربية

## بريس دافن Prisse D'avennes

وأحرط ثمة العلماء الذين وعدوا على القاهرة في أيام محمد علي باشا مع امرسى أدعى الإسلام ومخلص من جديسه وحارب في بلاد الأعرى والصعيد وسوريا ثم قعد الهند وعادها للإقامة في فلسطين . وهو « برس دافن » وذلك إن محمد علي باشا استقدم إليها من علماء أوروبا لتنظيم مرافق دولته ورفع شئون التعلم والصحة والزراعة والرعى والحلبش . وفي عام ١٨٢٩ كان بريس دافن مهندساً للرعى ثم مدرسا للطبوغرافية في مدرسة أركان الحرب بانيقاه ومشرفا على رسة أبناء ابراهيم باشا . وفي ذلك الحين قدّم هذا الشاب العالم عدة اقتراحات مهمة في مقدمها مشروع بحيف محيرات شمال الدلتا للارتفاع بأراضيها الشاسعة وبناء قطرة على النيل بين الروصتين سائين ابراهيم باشا وكان موافقه الواسعة لم تقتصر على جعله استادا او مهندسا فقد أحاد العربية ودرس اللغة المصرية القديمة وشغف بحث الآثار القديمة مشغل عن وظائفه وأحيرا طلق منصبه في الحكومة ايصدى موافقه بالتحقق في دراسة الماديات قارندى عامة شرقية وعاش عيشة الفلاحين باسم أدريس اغندى وبدأ تنقله بين بلاد الوجهى والبحرى والقبلى وبلاد الوبى وألف كتابه « رهة يلية في الجزء الشرقى من الوجه البحرى » واشترك مع عالم المجلزى في حفريات طيبة بين عامى ١٨٣٩ و ١٨٤٣ وأخرها سوريا العالم كان مستورا في الأجيال الطويلة وكان « برس » فنانا مبدعا في الآثار العربية وكتابه التيس في العمارة العربية لا يزال حجة نادرة ومرجعا تيمنا يعود اليه علماء اليوم فاد كان للقاهرة أن تنحصر اليوم علماء الفرنسيين الذين مروا بها واحمدوها وطنائيا فأنها محمد في « برس دافن » عالما نقرة ومستشرقاً مخلصا ومحبا للشرق ولا سيما مصر





# قاهرة الخديو إسماعيل

إسماعيل العظيم - الأزبكية - خليفة المسلمين في القاهرة - قصور القاهرة - حديقة  
الأورمان - الإسماعيلية - شارع محمد علي - شارع شعرا - شارع الصحافة - النيل وإسماعيل -  
تماثيل القاهرة - إسماعيل وحساند القاهرة - القلعة - الآثار الفرعونية والعربية - دار  
الرصد والاحتياط - القاهرة للجيش - تنظيم الشرطة - الجمعيات العلمية - مدارس القاهرة  
دار الكعب - حلات القاهرة - ملاهي القاهرة - ضيوف القاهرة - رحلات القاهرة  
خاتمة الفصل

## إسماعيل العظيم

بدأ إسماعيل بشأجهته الماضية وعزم على إدخال  
الأصلاحيين الاجتماعيين والصحي على القاهرة المزدهرة  
مع بقائها على ما هي عليه من دانية القرون الوسطى بغروسيها  
وتخوها ورأى في الوقت نفسه أن يتقى القاهرة أخرى  
غير الموجودة يدعوها العصران الحاضر والمستقبل وقاهرة  
إسماعيل تتأخر بشوارعها الضيقة ويأخذها الاستعدادات  
السياسية الجديدة وتصورها الأنبياء للمستقبل على الطرز الحديثة  
وبأبنائها الزاهية وأحيائها المنصة



أثر بقرائه ما يقى شمال القاهرة العزيز من أكرام  
الانحاض ويردم منازل غير مطمور من المستعبدات

تعالق التمتع ابراهيم بها

والبرك الآمنة وتطيف ما بين باب الفتوح والنصر وقلة الكعش والسيدة زينب من  
شوارع وأزقة ودروب وأسواق بصمم الكعش والرش : وخط ما بين القاهرة وباب  
الحديد الشارع المسمى الآن شارع الصحافة وخط أيضا بين باب الحديد والأزبكية  
للشارع الذي أطلق عليه اسم كلوت بك لانتكريم الطبيب الفرنسي فحسب لكن لئلا  
على ان الاصلاحي الصحي يسير من شمال المدينة الى جنوبها ويتناول بتراعه شرقها

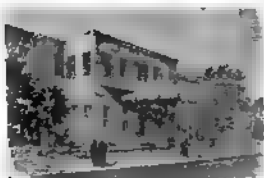
وغيرها ثم خطّ جنوبى الأزبكية بشرق الى القلعة الطريق الضخم الذى أطلق عليه اسم جده العظيم فأصبح السبيل الى القلعة سهلا آمنا حد أن كان الوصول اليه عن الطريق الذى يقبها المصل ستويامة الى الحمينية وعرا كثير التمرجات والمنتقنات . وفى أيم اسماعيل العظيم تم امتداد شارع السكة الجديدة الى جهة الغرب وكان قد بدأه حمد على باشا سنة ١٢٩٢ هـ . كذلك خط شارع مابدين الذى اعتدأ من منزل راغب باشا الى شارع عيط العدة وضم فى سويده الكثير من المنازل والزاويا الصغيرة

## الأزبكية

ولما عاد اسماعيل العظيم عام ١٨٩٧ من باريس أقدم على الأزبكية بريد تحويلها على شاكلة حدائق تلك العاصمة فخرج الى الوجود بستان من أبهى المنتزهات ومكان يبع تنيره الأنوار الغازية وزينه الصقيات وللتأثر الصناعية وتغوى فيه البصيرات الصافية تبلغ مساحته ثمانية عشر فدانا وأحاطه بسور جميل له أربعة أبواب كبيرة عملت زارها اليوم . ووجه هذا البستان بأشجار من الصين والمعد والسودان والمناطق الاسوائية . وغرس فيه الأحراش الفزيرة والأشجار المختلفة من الحشائش والأزهار ووضعت فى ركته انواع عديدة من الطيور المائية والأسماك . وفى عام ١٨٩٧ احتفل بافتتاح البستان رسميا وحضر الاحتفال سمو المندوب وكبار رجال حاشيته وأعيان القاهرة وأطلق على هذا البستان حديقة الأزبكية

ثم أقبل على الحى المحيط بهذا المنزه الفريد بفروع ملكية منازل الحشوية التى كانت ملاقطا مقابل موبضات نفسها اليهم وازال تلك المساكن . ووهب الأرض التى كانت قائمة عليها حية الى من شاء العهد فقامه بيان غنم عليها مع عظمة القاهرة الاسماعيلية التى رغب اشتباها . وجعل ميدان الأزبكية مركزا للاحياء الجديدة فخلق وضع تصميمها فأدركه بالموسكى شرقا وأغبه الى غربيه فأزال ما كان يعرف بياض الجنة وهو باب كان قائما على مدخل حى باسمه فى منتهى الطريق الواصلة مايقته وبين بولاق . ونخل الى جنوبه بميل نحو جهة الغرب الانحاء البديعة المعروفة الى اليوم بأحياء التوفيقية ومابدين والاسماعيلية بعد ان أقام فى طرف الأزبكية الجنوبي المسرحين للتمثيل وهما المسرح الجديد والأوبرا

وحافظ فى تلك الأحياء الطرق العريضة الظليلة الواصلة بين جهاتها المختلفة . تلك الطرق



واجهة فندق شيركاكن في أربيل

العام ١٩٤٠

فندق شيركاكن في أربيل

العام ١٩٤٠



التي بالرغم من كل ما حدث بعدها لا تزال من أغرمها في القاهرة وأكبر شرايين مواصلاتها  
وأهمها شارع عبدالعزیز وشارع الذي أقام نوبل في قصره المصمم فسمى باسمه من ناحيته  
الثالية ( شارع إبراهيم باشا ) وشارع كوبري قصر النيل وشارع سراي الاسماعيلية  
غربا وغيرها مما أمتازت به القاهرة الاسماعيلية

أما جنوبا فغطت طرق جديدة وضعت دروب وأزقة كثيرة فاصلت أحياء المدينة  
زيب بجي مابدين وأقربك الميدان المسح الأربعة أطم قصره الذي انشاء بنا بدين  
ليكون مقرا لك بلك قصر الجوهرة بالقلة

### خليفة المسلمين في القاهرة

وفي أيام اسماعيل زار السلطان عبدالعزیز مصر ( ٧ أبريل ١٨٦٣ ) فاستقبله الخديو  
اسماعيل على يمينه للسكنى ببيت الاسكندرية واحضت للدعاب باستقباله كدعوت أصوات  
الاستقبلين بهاتهم « بديشاميز تشوك باشا » ( جيش السلطان ) وعزفت الموسيقى  
أشجى ضمتها . وفي اليوم التالي انقل السلطان الى القاهرة بقطار خاص وكان قد أعد  
له قصر الجوهرة بالقلة وصلى صلاة الجمعة بجامع محمد علي وزفر ضريحه العظيم . ثم قدم  
له الخديو كبار رجال دولته وأعيان البلاد . وفي اليوم الحادي عشر عرض مهرجان  
الحمل النبوي بحدان الرملة . وكان الخديو اسماعيل قد أعد له برنامجا لمشاهدة أحياء  
القاهرة فزار انعاما وفي ركابه أكبر رجال حاشيته . وفي عصر اليوم تمقبل السلطان  
بزيارة انجال اسماعيل باشا في قصر النيل بالروضة وماد قبل المغرب الى قصر الجوهرة  
مشاهدا في أثناء مودته أعواس النصر والزيوت والأوار التي أقامها أصحاب المالح التجارية  
على يوتهم وحوا نتمهم . وأمر السلطان « بشأ أهله » راسم أنما يحمل طاقته الكريمة  
لأمورات الاسرة المحمدية الطوية في قصورهم . . غفيلات محمد علي وإبراهيم وعباس  
وسعيد . . وتفضل السلطان عبدالعزیز بقبول دعوة الأمير حليم باشا لزيارة قصره المصمم  
بشبرا - قصر محمد علي باشا المشهور بصفته الرخامية البديعة المصنوع الحديثة في العالم  
بأسره . قضى السلطان في تلك الروضة لفتاء طول النهار وبض المساء معجولا بين  
ر باحيتها وأرهاها طورا . وطورا جالسا أطم بحيرتها المحيطة بها المظلة الرخامية الجميلة  
أوجالسا في القاعة الطمى الكائنة في الزاوية على بين الداخل التي أهدت جدرانها  
العالية وسقفها الطريف بالصنعة الحقيقة والمواد القيمة

قضى عبد العزيز وقته في تلك الجنة الأرضية بصحابة مع طبع بشاؤنا وقد بنا  
 كثير مراقبه عن زراعة النخيل ثم عن القنطرة الخيرية . وكان الأمير عبد العزيز  
 ولي العهد قد ذهب في ذلك اليوم لزيارته في سفينة تجارية على البحر المتوسط  
 السلطان صحت الأمان القديمة في جولاى والمصانع الكبيرة التي أنشأها عبد العزيز في ذلك  
 الحى واستكملها الخديو اسماعيل وزار أهرام الجيزة وسعد بعض ضباط الخانية على  
 قمة الهرم الأكبر وتناول هناك الخليفة طعم الفناء ففزع التهرب كله وغاد المركب  
 في المساء إلى الجيزة حيث أقيم له استراحة أنيقة على النيل فخلول العشاء المنه .  
 وقضى ليلة أجادت ذكره بغير قيس

وفي اليوم الأخير من الزيارة القليلة ( ١٦٦ أبريل ) غادر الخليفة القلعة في الساعة  
 العاشرة غيوت للطاقم مؤداة برحله وأخذ المركب طريقه إلى قصر قليل ثم إلى القطار  
 الخاص إلى الإسكندرية التي ودعه في اليوم التالي احتفال عظيم

### قصور القاهرة

وفي زمن الخديو اسماعيل ازدهرت القاهرة بكل القصور الجديدة التي أنشئت في  
 جهن الجزيرة والجيزة . فقد شيد قصران كاتا من أعظم المباني الضخمة امتازا بما كان  
 في بستانيهما من الأشجار والأزهار والبرك والقنوات والجسور .  
 فهنا قصر الجزيرة بستانه الزاهر يشغل سبع فداناً واشتمل على قصر الحرم وسلاسل  
 أحدهما كبير والآخر صغير . وكاتا من تصميم فرائز بلشا ( Franz ) النمساوى وبمهما  
 على الطراز العربي القديم في شكلهما وزيتهما وممر وشانها ويجعل في خارج السلاسل  
 الكبير شرفات وعمود من الحديد جلبت من البلاد الأوربية وأحاط البستان بسور من  
 الحديد جعل فيه محلات للحيوانات المنوعة كالتيه والسياح والنمور والقرود وأنواع  
 الطيور المختلفة الإكوان وفرش مسارب بالزمل والزلط ووزع فيه المصايح للخنزيرة  
 فكان بدايا ان تراه ليلا وهناك قصر الجيزة القدي بناء المرحوم سعيد بلشا وكان يألف  
 من قصر صغير وحمام وبعد وقته اشقاه الخديو اسماعيل بلشا وما يقبها من الأرض  
 ومساحتها نحو ثلاثين فناء من ابنة المرحوم طوسون بلشا ومعهما وبناهما وفرضها  
 وبعد قليل أخذ في توسيع القصر من ناحية النيل وزاد في المباني واحضر من الاسنانة  
 أحد المهتمين لرسم المباني الجديدة كما استعجب له مشاهير الصناع ورجال الحقائق

فَنظَمُوا بِسْمَانَهَا وَفَرَشُوا طَرِيقَهُ بِالْزُلْطِ الْمَوْنِ الْمَجْلُوبِ مِنْ رُودَسٍ وَجَسَلُوا فِيهِ جَهْلِيَّاتٍ وَبَحِيرَاتٍ مُعَسَّسَةً وَغَدَرُوا أَعْلِيَهَا قَنَاطِرُ وَأُكْشَاكُ الْجَبُوسِ وَالْقَاصَا وَاسِطَةُ طُيُورِ رُؤُوسٍ  
لَهُ الْمَاءُ النَّبِيلَةُ لِلرُّغْوَةِ الْيَطُولَةِ خَمَاسَةٌ وَأَنْتِ بِمَحَامِيعِ الْقَنَازِ وَأَتَمُّ فِيهِ سَلَامُكَ شَيْئَةً  
مِنْ الْخَيْرِ الْمُنْتَوْتِ

ولم يشيد اسماعيل الطمق قصرى الجزيرة والجزيرة فقط كان هه البالية أراذت  
أن تحول القاهرة الى عاصمة جديرة بملكه فشيّد قصر عابدين وقفن أهل الفن في  
تسقيفه وتزيينه بالأثاث وقصر الإسماعيلية المنير وقصر بولاق الفكر وورسراى قطمة  
هام والقصر القالى وقصر الخزان بالعباسية لوالده وذلك عبر قصور الاسكندرية  
والمصورة وللتيا والروضة كما شيّد أيضا قصرا كبيرا بالعباسية احترق بها بعد وعمل  
جانب منه مستشفى للأمراض العقلية وكانت جميع جدران هذه القصور معلقة من  
الداخل وسقوفها مكمّسة بالأنشئة المتنوعة ولبنت تكاليفها وماصرفه عليها من صنّاع  
ومغروشات وقروش ألف ألف وثلاثة وثلاثون ألفا وثلثمائة وأربعة وسبعين  
جنيها وعلى قصر عابدين ستاتلوعصمة وستين ألفا وخمسمائة وسبعين جنيها وقصر الجزيرة  
٨٩٩٦٩١ جنيها وقصر الاسماعيلية المنير ٢٨٦ و ٢٠١ جنيها ١٠٠ ألف

وفي أيام اسماعيل شيد الأمراء وكبار رجال توليه كثيرا من المباني الكبيرة ولا سيما في أحياء الاسماعيلية والنجدة وشبرا وبلغ تعدادها مئات ولعلت العمارة إلى طريق السبئية بين محطة السمكة الجديدة وبولاق ونجح عن هذه الأعمال اخفاء الخلال والترك الآسنة التي كانت بأراضي الاسماعيلية وبجانب طريق بولاق وطريق السبئية والنجدة وصارت تلك الجهات من أجل أحياء القاهرة عمارة وتخطيطا وتنسيقا

ومن هذه المنشآت قصر وزير الدولة وباشا بنا وقصر ناظر المعارف علي باشا مبارك وسراي شريف باشا والمتاسق والفر نساي . . . وغيرهم

## حذقة الأورمان

وامسأ الخديو اسماعيل بستان الأورمان ورجلب أشجاره من جزائر الرمد بعد  
ماردمت أرضه بطيى النيل على لروخاع مفرق ودمد أيضا الأراضي الشجورة له على يد  
مقاولين أوربيين اشترطنهم ان تكون تكاليف للز الكعب غرنكو صنف على ان يقوم  
اسماعيل بإنشاء غسه بثمانى الكفة الجديدة التي اشنت لهذا العمل وعهد رسم القسامين



قصر الجزيرة من الخارج



الداخل بقصر الجزيرة

الهندس « باريل بك » المشهور في تنظيم الحدائق وهو الذي نظم حديقة الأزبكية فنوع في رسوم حديقة الأودن وجعل بها مناظر مختلفة وتلالا عليها جسور تحرقق ودنان. وكان نحو خمسمائة فمحل يستقنون في تلك البساتين تحت اشرف بعض الأوديين وذلك لحمة الأشجار وسقيها وكسب الطرق . . . الخ قصارت بساتين الجزيرة والجزيرة مربعة في نوعها وبلغت مساحة الأراضي المنعولة بلك الحدائق أربعمائة وعشرة ومعين فدانا

## الاسماعيلية

ومن الأحياء الزاهرة التي حطت في عصر اسماعيل بن الاسماعيلية وأرضها كانت تنطلي أرض اللوق وميداني الصالح نجم الدين والتاصر محمد بن قلاوون وستان القاضل . وقد بلغت هذه البصرة في تلك المظلة في زمن التاصر محمد بن قلاوون كلها بعد أن تم حفر الخليج التاصرى فكان على حافته من أوله عند قصر السني إلى منية السراج كثير من قصور الأمراء ومشاهير الكتاب والاعيان ثم تغيرت وتحولت إلى كتيبان أثرية وركب مياه وأراضي سباح حتى قبض الله لمصر اسماعيل فأبدل وحشها أنسا وظلمها وصارت كما قال العلامة القاضل على بنشا مبارك « من أبهج اخطاط القاهرة وأعمرها » وأنشئت فيها الشوارع والممارات على خطوط مستقيمة وأغلها مقاطع على زوايا قائمة ودكت شوارعها وحاراتها بالحجر ونظمت على جوانبها الأتقن زومت في أرضها أتاب المياء وأقيمت عليها أعمدة للمصايح القارية وسكن الاسماعيلية الأمراء وكبار الأعيان ومنهم حسين بنشا المرملي وأحمد بنشا خيرى ومحمود بنشا القلبي وعمر بنشا لطفى وعمر

## شارع محمد على

أبدأ هذا الشارع التاريخي من البية الخضراء وانتهى بجامع السلطان حسن مياء من أطول شوارع القاهرة طوله أكثر من ألفي متر . كانت بأوله المقابر المروعة « قرب المتاصرة » وكانت مقبرة كبيرة دفن فيها من الأخطاط المجاورة لها وغيرها فأصدر للرحوم محمد على بنشا في آخر عهده أمرا بفتح المدفن بها

ولما شرعت حكومة اسماعيل بنشا في إنشاء هذا الشارع جاء مروه في وسطها تقريبا عسدت الأوامر بالحفاظة بمشترى الأملاك الداخلة فيه وهدمت للمقابر وقيل بها بعض النظام إلى قراة الأسم الشافى وأودع البعض الآخر في صهرج بنى عليه للمسجد







دعة للحير اسميل في عربة نصف به مرسا اجبت والدليك

زينب هانم بنت محمد علي باشا وقصر أنجوهام أرملته صيد باشا وقصر شيكولاني الدبوع  
الحامل بالتمثيل النادرة وقصر الزهرة الذي كان يقصده اسميل باشا للراحة وغيرها من  
البيوت الأنيقة التي تحيط بها الحدائق الفناء

## شارع الفجالة

كانت أرض الطبالة تشغل هذا الشارع وكانت إلى قبل دخول الفرنسيين أرضا  
صعبة المرور خوفاً الفرنسيون إلى شارع منظم يمتد من قنطرة باب الحديد إلى قنطرة  
العدوى وكان السالك في ذلك الشارع يمدح يمينه من جهة باب الشعيرة القرية التي  
عرفت بقرية كوم الريش وقد صارت تلالا عالية حتى أمر بأزالتها الخديوي اسميل باشا  
وكان السالك فيه يصير على بعد بركة الرطلى التي ردمت بعد إزالة السلال المذكورة .  
بدأ هذا الحي يسمى وينظم وعرف بمسمى الفجالة ابتداء من نعمة الاستماعية إلى سور  
القاهرة عرضا ومن جامع اولاد عثمان إلى بوابة الحسينية طولاً ويبتع الأرض المملوكة  
للعكومة وهي فيها كاشيد على غيرها من أراضي الأهالي مبان عظيمة وقصور فاخرة  
تحيط بها الحدائق النضرة واصبحت هذه المنطقة رحمة للطلاب وارزمت أمان أراضيها  
حتى يسبح الترامسطح بنحو التمايز قرشا بعد أن كان لا يضمن بأكثر من قرش واحد

## النيل واسماعيل

مصر حبة النيل وهو مصدر حياتها وجهة القاهرة ولقد أدرك اسمعيل ذلك فوصلت الفكرة الى صرته وكانت لا تتجاوز شاطئه الشرقى . فشيّد قصر الجزيرة والجزيرة وحديقة الاورمان . ورأى يثاقب مصره أنه لم يجد محسن ايّامه الصبور من شاطئه الى شاطئه على قنطرة من القوارىض المصنوعة بحصا عجايب بعض والمعدودة عليها ألواح الخشب



قنطرة قصر النيل كما كانت عام ١٨٨٨

ار فى معديات صغيرة . فأمر بأقامة كوبرى قصر النيل العظيم فى نخافته وجماله لكي يتناسب مع الحلى الجديد الذى أنشأه بالقرب منه . وكانت قنطرة قصر النيل فى ذلك الحين من أحسن قناطر العالم من حيث هندستها ومناطها وجمال صنعها . بلغ طولها ٤٠٩ من الأمتار وعرضها عشرة أمتار ونصف وقام بصنعها شركة « فينليل » الفرنسية التى بدأت العمل عام ١٨٦٩ وأتمتها فى خلال سنة ونصف وسلمتها للحكومة فى منتصف عام ١٨٧١ وبلغت نفقات إنشائها مائة وخمسة آلاف من الجنيهات

ولما استعصر الخديو اسماعيل المتألى الذى صنع تامينل محمد على باشا وابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنسيون كلف احدهما بعمل أربعة تامينل لأربعة من السياج الصحية بصنعها . أجل صنع من معدن اليروز تم اقيم كل اثنين منها على طرفي القنطرة من جهتيها

انتقالين فزادت هذه التماثيل الضخمة من أبهة القنطرة وروعتها وحملت لها منطرا  
رائعا يشعر القادم عليها بالجلال والأبهة  
رأى اسماعيل قبا بعد حاجته الى ربط الجزيرة بالجزيرة فكلف شركة انجليزية ليصل  
بينهما فاجبرت قنطرة أخرى عام ١٨٧١ وهي القنطرة التي تعرف اليوم باسم «كوبري  
الانجليزية» وبلغت مكافئتها ثلثا وأربعين ألف جنيه

### تماثيل القاهرة

كان الخديو اسماعيل أول من شرع في إقامة تماثيل الظاهر في الميادين العامة تخليدا  
لذكرهم فأمر صانع التماثيل الكبيرين اللذين يزينان أهم ميادين القاهرة والاسكندرية  
الأول محمد علي وقد أقيم في الاسكندرية والثاني لإبراهيم باشا وقد نصب في القاهرة



بنايا مسجد أولئك ( ٨٨٢ هـ ) الذي حرق عام ١٢٨٦ هـ وألصقه نخل القناج إبراهيم باشا قبل نقله الى  
موقعه الحالي وهذه الصورة من تصوير الرسوم فيمران باشا

عام ١٨٧٣ يبدآن الحجة الخضراء وقد أنزه المراكبيون ألبم الحوادث المراكبية وبعد ان  
سكنت القوية أقيم في ميدان الأوبرا

### اسماعيل ومساجد القاهرة

لما تولى اسماعيل باشا شؤون قصر أمير جديده مسجد سيدنا الحسين فطلب المرحوم  
على باشا مبارك لعمل رسم يكون واقياً فعمل له رسماً لاهتماً وعمل حدوده فوسمه كثيراً  
عن ذي قبل وقدمه الى سموه فاستحسنه . وفي الحال كلف الأمير نائب باشا الكبير  
وهو محمد فاضل الأوقاف للمصرية لاجراء العبرة على ذلك الرسم وشرح في عدم  
البناء القديم ما عدا القبة والقصر بجمع وبدأ في البناء في (١٥ محرم سنة ١٢٨٧ هـ) وفي ٢٨  
من شهر شعبان سنة ١٢٩٠ هـ تم جميع ما عدا المأذنة تمت بعد خمس سنوات وبلغ  
المنصرف على البناء فقط نحو سبعين ألف جنيه مصري غير ما تبرع به الخديو اسماعيل  
من خزائنه الخاصة . فقد أرسل الى الاسكندرية حضار جميع العهد الرخايلاني بالصحن  
والمبشرة وهي تضيف عن ستين عموداً بجلساتها . وفي عهد اسماعيل باشا بنيت الابواب  
الثلاثة الرخامية الى جهة خان الخليل وأعيد الى منبر المسجد ورقته القديم وكان في  
الأصل الجامع أزبك الذي كان بالحجة الخضراء فقلل اليه بعد تجديده

وأشاد الخديو اسماعيل في الجهة القبلة للقصر بدين جلساء له بلبن عظيمين مرتضين  
يخرج في واجهة المسجد الغربية وكان يصلى فيه صلاة الجمعة

### قلعة القاهرة

ولم يمس اسماعيل باشا القلعة فجدد أسوارها وألوة الأولى والأخيرة منذ الاحتلال  
للبناني كتبت القلعة المصرية على جدرانها فتمت العبارة الآتية :

« إله من سليمان وإله بسم الله الرحمن الرحيم »

أمر بإنشاء وتجديد هذا السور للبارك خديو مصر حلال اسماعيل بن الحاج ابراهيم  
ابن الحاج محمد على في تاريخ شهر رجب سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) وأصلح اسماعيل  
حيثان الرمية الواقع بجانب القلعة ووسمه وغرس به الأشجار وأوصله بشارع عد على  
خضار من أفصح ميادين القاهرة

### الآثار العربية والفرعونية

أشاد محمد على باشا ديراً للآثار المصرية بجهة الزمكية بمنزل القنطرة وأمر بفتح خروج  
الآثار القديمة من مصر وكان الأجانب ينهبون منها ما تصل اليه أيديهم لمعطها في متاحف

أوربا . وفي أيام سعيد باشا عين للسيد « ملويت » الاثرى الفرنسى مأمورا لأعمال  
العاديات بمصر فبذل جهودا موفقة في التتبيح عن العاديات وقل ما تجتمع من الآثار الى  
مخازن أعدت لها فيما بعد ببولاق

ولما توفي سعيد باشا تولى ملويت من اسماعيل تحضيدا عظيما فأمره بالمجدوى بإصلاح  
مخازن بولاق وتوسيعها واقصمها رسميا يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٨٦٣ ثم قل المصحف الى  
الجيزة عام ١٨٩١ وأخيرا إلى مكانه الحالي بجوار قطرة اسماعيل سنة ١٩٠٢ وكما عين  
اسماعيل باشا لحفظ الآثار الفرعونية فانه أصدر أمرا بإنشاء دار الآثار العربية سنة  
١٨٩٩ وعهد بانقاذ المشروع الى فراز بك ( باشا فيما بعد ) كبير مهندسى الأوقاف ليجمع  
فيها ما كان مبثرا في المساجد من الآثار الإسلامية وإن هذه الفكرة الساميتوان لم تحقق  
في أيامه الزاهية فقد حققها ابنه تومى باشا فاختار فراز بك الأيوان الشرقي من جامع الحاكم  
لكنتها لم تنسح انسابا حقيقيا الا في عام ١٨٨١ بصور أمر حال قضى بتشكيل لجنة  
لحفظ الآثار العربية وفي عام ١٨٨٣ بنى لها عمل مخصوص في ضمن جامع الحاكم لضيق  
الأيوان الشرقي وفي ٢٨ ديسمبر عام ١٩٠٣ افتتحت دار الآثار الحالية وعرضت بها  
المجموعات الاثرية التي رتبها مديرها في ذلك الحين هرتس باشا

## قاهرة الجيش

كان نصيب القاهرة من المؤسسات العسكرية الحديثة كبيرا . فقد وجد اسماعيل  
باشا المعاهد الحربية في مناطق القاهرة بعد ان كانت مبعثرة في ضواحيها بالخاصة وأبى  
زعل والقناطر المحمية وطره وجعلها في الباسية وقصر النيل  
أمر بنقل المدرسة الحربية التي كانت بالقناطر المحمية الى قصر النيل ثم الى الباسية  
وأشأ بهذه الجهة التي استجدها عباس باشا الأول عدة مدارس حربية وجعل مقرها  
في القصر الضخم الذي أنشأه الأمير المذكور ويوجد ادلة للدارس الحربية لتشمل  
للمعاهد الآتية : —

- ١ — مدرسة المشاة ( ١٨٦٤ ) وكان عدد طلابها ٤٩٠
- ٢ — « الحبال » ( ١٨٦٥ ) « » « » ١٦١
- ٣ — « للدفعية والمهندسة العسكرية » ( ١٨٦٥ ) « » « » ١٨٠
- ٤ — « أركان الحرب بالباسية » ( ١٨٦٥ ) وكانت تعد ومدرسة للدفعية من أرق  
للدروس العليا التي أسسها الخديو اسماعيل

٥ - مدرسة الخطرية بالقلة ( ١٨٧٤ ) لمخرج ضباط الصف

٦ - « الطب البشري ( ١٨٦٨ ) » وألحقت أخيراً بمدرسة الحياطة وأنشأ اسماعيل باشا ميداناً لرعى الدواجن وآخر للبنادقة والفرسان العسكرية أسماه البوليسيون « إلباسية » وشيد بطرءه معملاً لصنع الأسلحة وآخر لعب الدواجن ومثل البنادق عدداً من صناعات الذخيرة الصغيرة والقتال

## الجمعيات العلمية

وفي القاهرة الأماعيلية نشأت أول جمعية علمية ظهرت في عصر لنشر الثقافة بواسطة التأليف والتأليف والنشر . وكان اسمها جمعية المعارف أسست سنة ١٨٦٨ وجعلت تحت رعاية الأمير محمد توفيق باشا ورئاسة محمد عارف باشا واقتضت مطبعة لطبع الكتب التي تولت نشرها عدداً كانت تطبع في دار الطباعة الأميرية

ومن أهم مؤسسات اسماعيل الجمعية الجغرافية المحدوية التي أسسها عام ١٨٧٥ وكان رئيسها العالم الأناضولي الدكتور « شونفرت » ووكيله العلامة كود باشا الفلكي والجغرافي « ستون باشا » رئيس أركان الحرب الجيش المصري . . . وقضت هذه الجمعية منذ أسست إلى اليوم في نشر المباحث والاستكشافات الجغرافية لا يمكن أن ينساه أحد

وفي عصر اسماعيل أنشئت الجمعية الخيرية الإسلامية بمسعى السيد عبد الله نديم وبدأت الصحافة المصرية نهضتها فظهرت عدة جرائد ومجلات أهمها روضة المدارس ووادئ النيل وزهرة الأفكار ومصر وروضة الأخلاق والكوكب الشرق والأمم ومראה الشرق

## تنظيم الشرطة

وأمر الخديوي اسماعيل باشا بتنظيم الشرطة في القاهرة والديريات فاعتجبت الحكومة ضابطها إيطاليين هما السيو « كوراسيمو » والمركز تيجري » وعهدت لهما تنظيم إدارة الشرطة

## دار الرصد ومصلحة الإحصاء

وانشأ اسماعيل دار الرصد إلباسية وعهد رئاستها إلى اسماعيل بك ( باشا ) الفلكي والعالم المشهور وانشأ أيضاً مصلحة الإحصاء تولاها السيو « ديريغ » بك ثم السيو « أميشي بك »

## مدارس القاهرة

يقظ اسماعيل الروح العلمية في البلاد بما أسسه فيها من المدارس العالية والثانوية والخصوصية والابتدائية والصناعية والزراعية الخ . فأنشأ بالمساحة عام ١٨٦٦ مدرسة الري والعمارة ( للهندسة ) بسرائر الزعفران ثم نقلت عام ١٨٦٨ الى سراي درب الجمازي . وأسس مدرسة الإدارة والأمن وكان مقرها بجوار قصر محمد علي الذي سكنه مدة طويلة قبل انتقاله الى قصر الجوهري بالقاهرة . ولا عطلت آلتاها فتدق عرفها بعد باسم « فندق شيد » وأسس أيضا مدرسة دار العلوم ( ١٨٧٢ ) ومدرسة الطب والولادة ومدرسة الفنون والصناعات ومدرسة المحاسبة والمساحة ومدرسة اللسان للصري القديم ( ١٨٦٩ ) ومدرسة الزراعة ( ١٨٦٧ ) ومن أم المدارس الثانوية كانت المدرسة الميمنية بالعباسية ( ١٨٦٣ ) ومم للدارس الابتدائية في القاهرة فقد بلغت ٩٥ مدرسة موزعة على أحيائها

وهذا في عهد اسماعيل باشا أثناء مدارس البنات ففي سنة ١٨٧٣ أسست مدرسة السويقية لبنات أنشأتها السيدة « جشم آفت هانم » ثالث زوجات الخديو اسماعيل وكان بها حين افتتاحها نحو مائتي تلميذة . وبعد عام واحد بلغ عددهن أربع مائة تلميذة يحضرن محاضراتها . واشتكت أيضا عدة مدارس أوروبية كان اسماعيل باشا يهيئها للمبات الكبيرة تشجيعا لها

وبدأت روح الإصلاح والتقدم في الأزهر الشريف تمشي متفوية مشيخته الشيخ محمد الميمني المهدي عام ١٨٧١ . وفي تلك السنة جاء السيد جمال الدين الأفندي الى مصر ففتح في الأزهر روح النهضة التي حمل لوائها الأستاذ الأمام الشيخ محمد عبده على ان التحكم من العلم والطبع في القرن الماضي لا سبيل في عصر اسماعيل العظيم قرن دائما باسم علي باشا مبارك صاحب القصر في النهضة العلمية وزعيم حركة العمران في القطر بأسره

## دار الكتب

ورد أي اسماعيل أن يفتش مكتبة مائة مجمع الكتب للتفرقة في مخازن الحكومة ومكاتب الأوقاف وفي المساجد ونحوها فأمر علي باشا مبارك عام ١٨٧٠ بمحقق ذكروه فجعل مقرها في الدور الأسفل من سراي الأيوبيين بمطابق باشا قاضيل بطر الجمازي بجوار



معظم المدارس وجمع فيها ما نشئت من الكتب وأضاف إليها اسماعيل نحو ألفي مجلد من المخطوطات العربية والقارية ابتاعها من بركة حسن بلشاش للتاسفلى كما اشترى مجموعة الكتب القيمة التي تركها أخوه الأمير مصطفى فاضل بدوفاة وأهداها إلى دار الكتب وفى عام ١٨٨٩ تقرر نقلها إلى السلاطة التى كان به ديوان وزارة المعارف العمومية فى قصر سراى الأمير المشار إليه . ولما انتهى بناء الدار التى خصصت لها ولدار الآثار العربية بميدان باب الخلق عام ١٩٠٤ نقلت إليها

## حلوان

وأمر الخديوى ببناء حمامات حلوان لما تبين من مزايها مياهها المعدنية وعنصران هذه المصاحبة وشيد بها قصرا فخما وهو الذى عرفه بقصر الوالد على النيل وخطط طريقا معبدا من النيل إلى حلوان ورغب إلى السراة سكناها كما أنشأ السكة الحديدية التى تصلها بالقاهرة ( ١٨٧٢ ) صمرت تلك الناحية من ضواحي العاصمة

## حفلات القاهرة

وشاعت القاهرة فى عام ١٨٧٣ حفلة زواج الأمراء الثلاثة توفيق وحسين وحسن أنجال الخديو اسماعيل وكانت من أعظم حفلات الزواج التى شهدتها مصر الحديثة دامت أربعين يوما كاملة زينت فيها الشوارع للزفة إلى القصر لىلى مقر والدة اسماعيل للمل على النيل وإلى قصر الجزيرة التى كانت متوى الخديوى فيه وإلى قصر القبة مقر الأمير وللى الممد . كل هذه الشوارع كانت مزودة بالشموع وللصاييح ووضع فى نهاية كل شارع أقواس صر مخططة صنعوا فى أماليها شرفات مفت على جوابها فوانيس من الورق مخططة الألوان . وكانت أمام القصر لىلى رجة فيسحة جدا على التى يشغلها اليوم حى النيرة يفصلها عه شارع قصر المعين الآن وقد نصبت بها السرايات المصنفة المصنعة لاستقبال المدعوين ليتناولوا صنوف الطعام فى بعضها وجلسون بمشاهدة الألعاب وسامح الغناء فى البض الآخر . وقد غصت هذه الساحة بالفرق الموسيقية والفتيات وفى طليعتها تحت عبدة الحولى وبأشواع الملاهى الأخرى . كما كان فوق قوس النصر فى شارع البعديان فرقة الزمرل الشهيرة بمقودة « الفتاجلى المصاطى » وحضر كثير من الفرق التيلية والجوقات للموسيقية وحامات الحواة المصرية والأجنبية والبلوايون .

وكانت تقدم الفانج والخبز الى الفقراء والمحتاجين في أماكن خاصة وأطلقت  
السوارح بشكل منتهى من حديقة الأربكة وغيرها  
وفي أول يوم من هذه المناسبات الرامعات بدأ خروج المندلج المقدمة من سمو  
الأميرة والدة اسماعيل باشا وزوجته المصريات الى عرائس الأمراء (توفيق وحسين  
وحسن) من القصر العالي وشوارعهم . وكان شوارع الأميرة أمية هاتم زوجة ولي العهد  
أول ما يراه بعده وارساله فيسره الى قصر القبة وسط صحن من القصران مرتدين  
الأزياء العربية والفخال ومن وراءهما الجنود للشاة يسعون مرحلين يطوفونهم  
البشر والسور لاسين ملايس يضاء ناصعة وتقدم الجميع فرقة موسيقية كانت تدق  
الأطام الشعبية المصرية

وكانت الهدايا موزعة في سلال مكشوفة فوق عربات مكشوفة بالقصب على عجلات  
من القطيع للزركشة بالذهب والالماس خطها شاش قلخر أسك بكل طرف من أطرافه  
الأربعة أربعة جنود يجهم ضابطان في ملايسهما الرسمية واجاز للوكب الملكي شوارع  
العاصمة للزينة بين تصفيق الشعب للتهنئ وحاف الجماهير وفرق الجند  
ثم اشترقت الشمس اليوم التالي على لقائمة مهرج الناس إلى سباق خيل أقيم في العباسية  
كان فيه « الجيوكية » من الجنس الأسود وقد ارتدوا الثياب المبررية الحمراء وأقيم  
مقرص عظيم في قصر الجزيرة دعا اليه سمو المندوب ما يزيد عن سبعة آلاف من كبار  
الآعيان المصريين والأجانب . وكان عدد الخدم الذين وقوا الخدمة للدهورين يزيد عن  
ثمانمائة خادم .

ولم يكن الرقص واللب والثناء تمام في المدينة فقط بل ما كان في داخل القصر  
العالي وفي دور الحرم أعظم وأجمل منها أشهر الرقصات يرقص وهناك « ألفظ »  
على الصف تشجى بصوتها اللدب آل القصر العظام

وفي ماض أيام الاحتفالات بعد ظهر يوم الخميس انتظم موكب زفاف عروس ولي  
العهد وخروجت بصحبة سمو الوالدة باشا من مرائ الحظية الصنعة قصدت قصر العريس سمو  
ولي العهد في قصر القبة وتقدم للوكب الموسيقى السوارى وفرقة من للشاة وأخرى من  
السوارى وتبع ذلك عربات متفلة فيها الأميرات فتيات المروس ثم أقدمت عربات المروس  
جرتها ثمانية من جياذ الخيل وكان حوزيتها لاسين الملايس الحمراء المزودة بشراريب  
مطعص على جانيهم وجوارب من الحرير الأبيض واضح على رءوسهم شعوبا

بيضاء مستطارة مستوية على أكتافهم ووقف في مؤخرة العربة اثنان من الفرنسيين  
 بزيهم المخصوص الأبيض القصير اللباسى لأجسامهم وصلواتهم ذات الأزرار المذهبة  
 وقبعاتهم الصغيرة . وحف بالعربة صفان من الأغوات على جيادهم وهم يرتدون الشيلان  
 المهداة لهم . ثم جاءت العربات الثقيلة لكثيرات للبعوات لمواقة العروس . ولما وصلت  
 إلى صراى ولى السيد كان في استقبالها الأمير توفيق . ففجرت القبايح وزفت داخل  
 الحرم والعروس في أبهى حلال العرس البيضاء مسدولا على وجهها الدواك الذهبى الرفيع  
 إنها كانت أيام هناء وفرح ... تلك التي شاهدها القاهرة الاجتماعية ...

## ملاهي القاهرة

تطور نواحي المجتمع للصرى في القاهرة فأصبح ميالا إلى اللرح والجور . واستطاع  
 اسماعيل أن يندى هذا الميل فأنشأ بالقاهرة مسرح « الكوميدى فراسيز » وكان  
 موقعه مكان دار البريد الحالية في شارع طاهر . وقد شرع في بنائه في نوفمبر عام  
 ١٨٦٨ وحصل افتتاحه في ٤ يناير سنة ١٨٦٨ . ثم أمر بتشييد دار الأوبرا التي فُتحت  
 عام ١٨٦٩ بمناسبة الاحتفال بافتتاح قناة السويس في عدة خمسة أشهر وبلغت تكاليفها  
 ١٦٠ ألف من الجنيهات ومنت فيها مساء ٢٩ نوفمبر عام ١٨٦٩ أول رواية أوبرا  
 باسم « ريجوليو » وقد حضرت هذه الحفلة الاميراطورة « أوجيني » عفيفة « نابليون  
 الثالث » وصعد اسماعيل إلى الموسيقى الإيطالية « فردي » ان يصنع أول أوبرا مصرية  
 لتمثل بدار الأوبرا الملكية ( المندوبة آن ذاك ) فوضع العلامة الفرنسي « مارييت باشا »  
 موضوع رواية « عائمة » ولحنها « فردي » ومنت في الأوبرا مرة الأولى في ٢٤  
 ديسمبر سنة ١٨٧١ قالت نجما عظيما

وفي عام ١٨٧٦ وفتت على القاهرة جماعة من الأدباء والممثلين السوريين وأولى تلك  
 المهرق فرقة سليم القناش ويوسف الخياط التي مثلت في الأوبرا أمام اسماعيل باشا  
 ظلت تمضيداً منه

وسر تروح النهضة وللتجديد إلى الموسيقى والثناء بظهور الفنان للشهور عبدا المحولى  
 فألمحت عبقرية الوسيقية اصلاح الأساليب القديمة وبلغت شهرته المندوبى اسماعيل  
 فاجتذبه والحقة بعينه . وأعشق عليه الحبات والسلايا واصطعبه في رحلاته الى الامتانة  
 وغيرها . واشتهرت في عصره بعض السيدات في قنائه منهن « أليظ » للغة الشهيرة  
 التي تزوج بها عبدا المحولى

## ضيوف القاهرة من الأدباء

في أيام اسماعيل زار القاهرة عدد كبير من الأجانب والشبان المشهورين والعلماء الآخرين . واشتهر هؤلاء في عالم الفن بؤلفاتهم عن مصر الخالدة . فقد زارها « جيرار دى نerval » ( Gerard de Nerval ) وقطوب ( Flaubert ) وماكسم دوكام ( Maxim Du Camp ) ولبريلا ( Mrilhat ) وكراييليه ( Crapelet ) وفي عام ١٨٠٦ عرض الفنان بيد ( Bida ) لوحه « الهوسة » وفي غضون ماي ١٨٦٣ و ١٨٦٧ شاهد القاصيون لوحات جيروم ( Gerome ) الثلاثي الأسمى « تاجر الزيف » و « تاجر اللباس » وفي عام ١٨٦٧ انتهى « بيرشيه » ( Bercher ) من لوحه « التمام القوافل » كما أخرج « بيد » لوحه مذهبة المالك . وفي عام ١٨٦٩ سمح الأدب الفرنسي الكبير ثيوفيل جوتييه ( Théophile Gautier ) بمناوئه القصص لمرض لوحق جيروم « تاجر القاهرة للتفتل » وزنه الحريم ولأعمال بيرشيه وبيل البديعة

لأنك أن تلك الأعمال كانت دمية طيبة لمصر اسماعيل لاسيا وقد أنت كلها عجب اشتراك الخديوي في مرض إريز عام ١٨٦٧ وظهوره فيه يظهر الملك المستقل . فقد أقام به قما مستقلا خاصا لمصر جمع فيه صنوف البهجة والسطوة ليكون جديرا بمثل ملكة مستقلة . وكانت تلك السجادة الصفراء معلقة لاجتذاب عدد كبير من مشاهير رجال أوروبا إلى عاصمة أفريقية

وصل « جوتييه » إلى الاسكندرية واستقل منها القطار إلى القاهرة بعد أن كان أسلافه من رجال البيان والفلم لا يسمون سوى السفينة القليلة التي كانت تخربهم في النيل من رشيد أو الحمودية في أيام محمد علي . . أخذ مكانه في عربة المرحبة الأولى ذات المقاعد الخشبية المفضرة واستطاع أن يسجل بقلمه اللطيف مشاهداته في مصر عن جمال الدلتا من خلال نافذة القطار . فلما وصل إلى القاهرة قصد فندق « شوبه » وبدأ « جوتييه » بحقق أحلامه عن الشرق الجميل وبدأ تجولاته وأبحاثه . وطاف أنحاء القاهرة وتعرف إلى كل أعلامها وتجول في شوارعها وطرقاتها وأزقتها ودخل حاناتها وميوتها ثم انتقل إلى مدبريات الدلتا وأصطحب القلاح وزامل لنيل ولما عاد من رحلته زار آثار الصعيد شاهد « جوتييه » أعياد القاهرة وإفراح الاسماعيلية وحفلات استقبال اسماعيل للوك والملكات والأسماء الذين جاءوا لمصر لمشاهدة مهرجان القنات . . قنات السويس . كل هذا رآه « جوتييه » فسجده في آثاره الأدبية النفيسة



والسيد جمال الدين الأصفاني باعث روح الحياة في النهضة الأدبية والسياسية والشيخ حسين المرصني وعمود باشا سامي البارودي والشيخ عبد الله وارايم بك اللؤلؤي وعبد بك عثمان جلال وعائشة عصمت تيمور وعبد الله باشا فكري الذي وصل الى ظفار العرب والشيخ عينهاضي الاياري والسيد عبد الله تديم وأديب اسحق والشيخ علي القتي والسيد صالح عيسى بك وأحمد بك عبيد وغيرهم ومن علماء الهند ستوار باشا ضيات الوزير المظهر والسالم البقري علي باشا مارك ومصطفى باشا هجت وعبد مظهر باشا وأحمد قائد باشا وحسن باشا فهمي للمهار وحسين حسن باشا صاحب الفضل الكبير في احياء العلوم المصرية بواسطة الطباعة والقرن وتذكر بالفتنر العالم الفلكي محمود باشا الفلكي الذي أنشأ مدفع الظفر في القلعة وتولى وزارة الأشغال سنة ١٨٨٢ وعهدت اليه وزارات أخرى وتولى رئاسة الجمعية الجغرافية الى أن توفي في ١٩ يوليو سنة ١٨٨٥ . كذلك يذكر اسماعيل باشا الفلكي مصلح مقياس النيل في اسوان ( ١٨٧٠ ) وصاحب المؤلفات الفلكية الكثيرة وسلامة باشا ابراهيم القتي اشرك مع مصطفى هجت باشا في انشاء القرعة الابراهيمية وعبد فاقب باشا واسماعيل باشا عبد وأحمد بك نجيب وعاصم بك سعد

ومن علماء الطب والجراحة عبد علي البقل باشا وأحمد حسن الرشيدى بك وعبد الشافعي بك وحسين صوف باشا وعبد درى باشا وحسن بك عبدالرحمن وسالم باشا سالم وعبد بك بدر وأحمد حمدي باشا وحسن باشا محمود وارايم باشا حسي وعيسى باشا حدى ' وكان من علماء القانون والقشريع عبد قنبرى باشا والشيخ عبد المباسي للهدى والشيخ محمد عيش . ومن علماء الفنون الحربية محمود باشا فهمي واللواء محمد مختار باشا وشحاته عيسى بك ومحمد صادق باشا وسليمان فبودان حلاوة وعبد الله فوزى باشا وعبد نادر باشا وغيرهم

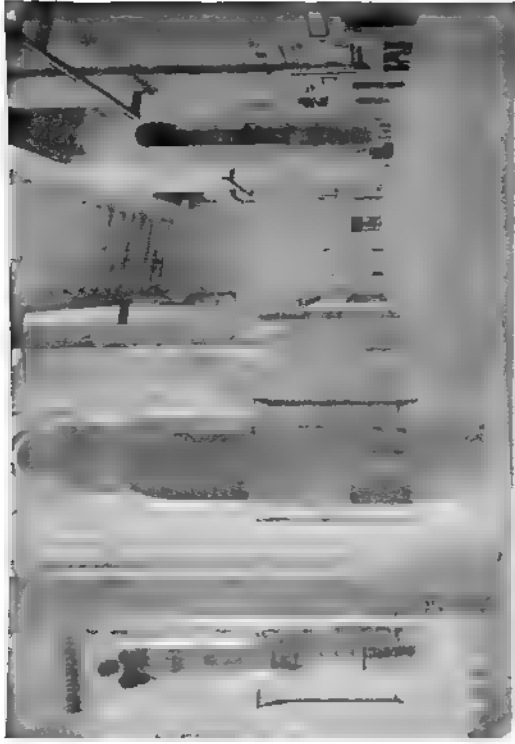
لقد حفلت القاهرة حقا بمن سجلنا أسماهم ولوان المجال سمح بذكر بقية زملائهم لا سمح أعمالهم الجيدة منحت هذا الكتاب

## خاتمة الفصل

أخذ عبد علي باشا القاهرة بملوكة ابنه الفاتح ورجال دوله بما شرع فيه من الإصلاحات النظامية ومن الصعب جدا ان نهم كيف جمع هذا البقري بين توحاه

احمد زكية مسجد الزاوي من الداخل

السم القبل مسجد رفاي بالقبه



العسكرية ومشروعات العمرانية في خروج مصر وفي داخلها لكنها على كل حال عبقرية  
مصلح يخل العمر أن يعود بوجه الامرات قليلة في تاريخ الإنسانية لم يكن شيئا  
يذكر على مئة بعد على أن يحول القاهرة من حال الى حال في زمن يجزي فيه كثير من  
من حكام الأقاليم عن اصلاح حتى أوقرة

وكان من حسن حظ عباس الاول وسعيد باشا ان امتاز عصرهما بهدوء أحوال  
البلاد من التاجين السياسية والعسكرية . فكان في وصيهما أن يكلا مابداً عهد على  
وصلا ساعدتهما ظروفهما حقاً بعض الثروات في القاهرة وهي وإن كانت قليلة غير  
انهما سارا بالاصلاح شوطاً محموداً . ولم يكن مهتماً منصرفاً الى رفع شأن القاهرة  
مباشرة ففي أيام عباس الاول اتصلت القاهرة بالاسكندرية بواسطة السكة الحديدية  
للقناة ( ١٨٥٦ ) وسطحين انتهى خط القاهرة - السويس ولا وافت سنة ١٨٦١  
أزدوج الخط بين الاسكندرية والقاهرة

ثم جاءت الطفرة في أيام اسماعيل فكان مآثره ...

ان هذا التقدم السريع في عمران القاهرة أدى طبيعته الى زيادة عدد سكانها  
فقد استتب الأمن فيها وقضى محمد علي باشا نهائياً على نفة اللاليلك بدأ الأهل الى يلمثون  
الى المعيشة في داخل القاهرة . ففي أثناء الاحتلال الفرنسي لمصر بلغ تعداد سكان القاهرة  
٢٠٠ و ٢٦٠ ثم وصل هذا العدد قبيل وفاة محمد علي الى ٤٠٠ و ٣٠٠ حتى اذا أجرى  
آخر احصاء رسمي عام ١٨٦٧ نبي سكانها الى ٤٠٠ و ٣٥٠ مهم ٤٠٠ و ٢٥٠ مسلم  
و ٤٠٠ و ٣٠٠ قبطي و ٤٠٠ و ٢٠٠ حتى ونوبوسوداني و خمسة آلاف تركي و ٤٠٠ و ١٠٠  
يهودي و ٤٠٠ و ٣٠٠ سوري و ٤٠٠ و ٢٠٠ أجنبي

\*\*\*

هذه هي مآثره ... القاهرة ... التي تضاهي في كثير نواحيها باريس ولندن  
وبرلين . انعمت زيتها الحاضر من أيام اسماعيل الذي أنشأ فيها القصور ووسط الشوارع  
وأقام فيها بناء الأوبرا وغرس حديقة الأريكة وأسس للمتحف المصري ودار الكتب  
وقصع بالملايين من المعاهد والمدارس . ولأن رجلاً أسس شيئاً واحداً من هذه الأشياء  
لكان جديراً بالشكر والتعجيد



# قَاهِرَةٌ عَلَى بَاشَا مِيسَارِك

تولية الخديو توفيق باشا - مشاكل داخل البيت - ١٤ سبتمبر - ماديدين - أقسام  
القاهرة - مسجد الامام الشافعي والرقعي - احصائيات قاهرية - ماديدين جديدة -  
مدافن القاهرة - مدياح القاهرة - مشاهد القاهرة - سهرات القاهرة - الخليلج  
للصري - على باشا مبارك

## الخديو توفيق باشا

في اليوم السادس والعشرين من شهر يونيو ١٨٧٩  
وردت أوامر الباب العالي جولية صاحب الدولة محمد  
توفيق باشا منصب الخديوية . وفي صبحى اليوم التالى كان  
الطريق من قصر عابدين الى القلعة يهوج بمجموع الأتالي  
واصطف الجنود على جانبي الطريق . ولما خرج سمو  
الخديو من القصر انطلقت المصاحف مائة مرة ومرة وهتف  
الجميع بحياته وسارت عرسته وراء كوكبة من الفرمان على  
ساره شقيقه الأمير حسين باشا كامل وأمامه أخوه  
الأصغر حسين باشا وبجانبه رئيس للقطار محمد شريف باشا



على باشا مبارك

ولما بلغ الموكب القلعة دخل سموه القاعة الكبرى في قصر الجوهرة وجلس على ساره  
الأميران والنظار . واستقبل فيها من تواجد عليه من السادة وفي مقعدتهم السيد على  
البكرى نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية وقاضى القضاة وشيخ الجامع  
الأزهر ثم قتل جميل الدول وقدم أكرم سته التهانى لسموه فرد عليهم شكرًا ثم استقبل  
الأعيان والتجار وكبار الموظفين (١)

(١) نقل عن مذكرات في نصف قرن لسفارة المودخ الكبير الحاج أحمد شوقي مشا

وبإتناء الدراميم المعتادة أطلقت للدافع مرة أخرى وطاد سموه الى عابدين ثم أرسل برقية شكر لجلالة السلطان على عفته به

وفي اليوم الثلاثين من يونيو غادر الخديو اسماعيل القاهرة الى الاسكندرية قصدا « نابولي » بايطاليا . وكان حوكب وداعه حاقلا من قصر عابدين الى محطة القاهرة يحفه الفرسان والحماة للتدفقة وقد جلس الى يساره في المرة الخديو توفيق باشا

## مشاكل داخل البيت

تولى توفيق باشا البلاد وللمصاعب تحيط بها من كل جانب وكانت أمهه أربع مسائل تخص كما يأتي :

١ - رأى الخديو أن يشركه معه في حكم البلاد لكي لا يستأثر بالسلطة وكلفه شريف باشا بتشكيل النظارة . فلما قدم اليه هذا مشورا عاجل الحكومة يابيا لم يوافق عليه الخديو . فاستقال شريف باشا ورأس الخديو مجلس الوزراء بنفسه ولكن لم تدم هذه الوسيلة أكثر من شهر وانتهت باستدعائه رياض باشا لتشكيل النظارة وجعل نظاره هوذا حقيقيا في ادارة شؤون البلاد

٢ - أراد الباب العالي بعد عزل اسماعيل باشا أن يزيد من سيادته على مصر وإلغاء الاميازات التي عنصها الخديو السابق . ولكن محفل الدول ولاسيما فرنسا جعل الباب العالي يدع لهم واكتفى بتحديد عدد الجيش للصري وان لا يتعد قروض جديدة الا بالاتفاق مع الدائنين أو وكلائهم

٣ - اتفق الخديو مع الدول الأوروبية على تجديد « المراقبة الثنائية » كما كانت في عهد اسماعيل باشا بشرط أن تقتصر أعمال المراقبين على التفتيش والتحقق وألا تتعداها الى التدخل في شؤون الادارة

٤ - الفصل بين الحكومة للصرية ودانها بتشكيل « لجنة الصفية » لعمل حل نهائي لما كل التي بين الحكومة ودانها

ولكن بما يؤسف له أنه بينما كانت تلك الاصلاحات سائرة في طريق تقدم البلاد كانت روح الاستياء تنفخ في الجيش يوما بعد يوم بما أدى الى قيام الحركة العراقية وليس من أغراض هذا الكتاب البحث في نشأة تلك الحركة وأسبابها وتطوراتها وعنايتها ولكن بما لا شك فيه أنها أدت الى تغيير كلي في نظام البلاد . فان الحركة العراقية وان كانت ترجع أسبابها الرئيسية الى أيام الخديو اسماعيل فقد بدأت تنمو في ١٥ يناير عام ١٨٨١ لما قرر بعض الضباط للصريين بزعامة الأمير الالبي على فهمي بك

واحد عراقي بك الاحتجاج على قانون القنطرة العسكرية القاضى بمنع الترفق من « تحت السلاح » الذى أصدره ناظر الحربية « عثمان باشا الرضى »

الح « رياض باشا على الصباطين أن يسترجعا تقريرها ووعدها بأنه سيدل سعيه فى تلبية مطالبهما فلم يذعنا . ولما علم الخديو بأمرهما استشاط غضبا وأمر بمحكمة مجلس النظار بقرار القبض عليهما وعما كتبهما أمام مجلس عسكري

وفى أثناء اسفاد المجلس لمحاكمة بنظارة الحربية بقصر قليل هم ضباط الآلايين وربطهم وأخرجوا قائميهما من غرفة اجتماع المجلس . فكان أمام حرج هذا الوقت أن عين الخديو عمود باشا سالى البارودى ناظرا لقضية بدلا عن عثمان رضى ولكن لم يكدها بالأحوال بصحة أليم حتى عزل سالى باشا وعين مكانه « دلود باشا » ابن أخى الخديو . وعقب ذلك صدر الأوامر بسفر الآلاى الثالث للشاة الى

#### الاسكندرية

وفى اليوم التاسع من سبتمبر ١٨٨١ سار عرابى بك قسم من الجيش الى ميدان عابدين واصطفوا أمام قصر عابدين لمرش مطالبه الجديدة . فزل الخديو الى الميدان وتقدم اليه عرابى بك . فتأذاه الخديو وسأله عن مقاصده وحد اجابته أشاره المستر اوكلند كلتن « المراقب الانجليزى على الخديو أن لا يناقش الجد فى تلك الأمور وأن يدخل القصر ويتركه أمر المناقضة مع قواد الجيش

لا أجيبت ضمن الطلبات بدأ فود عرابى يتبع وأصبح الحزب السكوى صوت مسموع فى البلاد وتولى رئاسة القنطرة سالى البارودى عقب الخلاف بين الخديو ونظاره السابقين وبدأت الحول تتحرك فقررت انجلترا وفرنسا استخدام القوة لاعتماد الحركة للصربية قبل تطورها . ولكن سوء الحظ لازم مصر فوكت فى ١١ يوليو

١٨٨٢ تلك الحادثة المشهورة بين لاللى وللكرلى فى الاسكندرية فهول الجرائد الأوربية فيها وكانت فرصة الإصلاح

ظهر الأسطول الانجليزى أمام الاسكندرية فى فجر اليوم العاشر من يوليو وأعلن قائده أنه سيضرب قلاع المدينة أن لم تسلم له فى مدة أربع وعشرين ساعة

ضربت قلاع الاسكندرية وأحرقت المدينة وأخذت الجيوش الانجليزية فى غزو البلاد المصرية فى ميدان كفر الدوار ثم تحولت إلى ميدان قلل الكبير وحلثت رضى للركة القاصلة - فى قلل الكبير ( ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ) فهم العرايون وتقدم الجيش إلى القاهرة . وكان الجفرال « ولسلى » قائد الحملة الانجليزية قد أسر الجفرال

دورى لو ( Drury Lowe ) بإتخاذ القاهرة فاسفر مصر با ولاية السوارى مع قوة من المشاة الراكين

وفى فجر ١٤ سبتمبر دخل القاهرة من طريق شبرا وكانت الأعالى جميعين آلات على جانبي الطريق يصيحون : « أمان . أمان . » فلما وقع ظرور ملحة البنغال المتنود وم من المسلمين على المآذن هتفوا بصوت واحد : « الله أكبر . الله أكبر . لا إله إلا الله عند رسول الله » وكانت تردد الجماهير هذا الحطاف من بعدم

### ١٤ سبتمبر

انجبت القوة الانجليزية قيادة الجنرال دورى لو « الى الساسية وعسكرت خارجها وحضر اليه مأمور القباطية ابراهيم بك فوزى ورضا باشا قومندان الجنود المصريين الذين لم ينضموا الى المرائين فطلب منهما نزع أسلحة جنود حامية القلعة وكسر ابر للدافع . ثم أودع محسنيين جنديا بقيادة «القتلت كولو نى هريوت ستولرت » وللكاين واطسون للترجم ومعهما ضابطان مصريان أودعها المندوبى لارشاد القوات الانجليزية . فلما اقتربت القوة من ثكنات الباسية شاهدت قوة كبيرة من الجنود المصريين . فتقدمت فصيلة من الحياطة تحوم لما رفعوا الأعلام البيضاء . ثم أرسل « هريوت ستولرت » لقائد القوات المصرية فى ثكنات الباسية يأمره بالتسليم وتقديم للمعاونة اليه وأمره باستدعاء محافظ القاهرة ومأمور القباطية وقائد القلعة

كانت لاتزال الحياطة الانجليزية مسكوة خارج القاهرة على مسافة ميلين الى أن وصل اليها مأمور القباطية فأخبر قائد القوة ان عرابى باشا فى يده بالقاهرة فأمره هنا بأنه يجب تقديم نفسه فى الحال وتسليم القلعة فى تلك الليلة . فأخذ فوزى بك على ما أمته مسلم عرابى باشا ووعده قائد القلعة بتسليم مفاتيحها اليه وأمر الجنرال « دورى لو » قبل ذهابه لقوم بصين اثني عشر جنديا من « المراجون » لقيام بواجبات الحراسة عند ما يصل عرابى باشا

ذهب ابراهيم بك فوزى الى عرابى باشا وطلبه باشا عصمت ليبلغها أمر القائد الانجليزي فقام الاثنان الى الباسية تسليما خسيما قبيل الساعة الحادية عشرة ثم هلاهما سد ثلاثة أيام الى ثكنة الحرس المندوبى بركة مابدين

وفى الساعة الثامنة من مساء يوم ١٤ سبتمبر اتجه الكاين واطسون وزميله لورنس على رأس قوتهم الى قبور الخلفاء حتى وصلوا الى باب الوزير . فقصفت الجند الراحلة

على جانبي الطرق المؤدية الى السقنة واحتشدت الاهالي لمشاهدة القادمين الجدد وكانت الساعة قد بلغت العاشرة تقريباً ثم استأذنت القوة مرها فبالت باب الغرب واذ ذاك لاحظ «الكابتن واطسون» أن بناية القلعة وطعها خمسة آلاف جندي لا تزال تحطها «الكابتن» مع قائد القلعة الأمر الاى على بك يوسف وهو الذى فتح الطريق للقعدة الجيش الانجليزى فى معركة القل لكثير على اخراج جنود الحامية من القلعة . فاصطفوا بندوق وخربوا من باب الغرب ثم دخلت الجنود الانجليزية وتسلم الكابتن واطسون مفاتيح القلعة من قائدها وذهبت القوات المصرية الى ثكنة قصر النيل لئلا فيها تلك اليلة تمهيدا لاجراء دم فى اليوم التالى وقد تم ذلك وخرق الجنود الى بلدانهم ثم كل هذا تحت جنح الظلام . وفى صباح اليوم الخامس عشر كانت القاهرة قد احتلها الجيش الانجليزى

## عابدين

قصد «الجنرال ولسلى» سراى عابدين وكان المديرو توفيق باشا قد أمر بأعدادها ٤ وازل ضباط أركان حربه بجنح الحرم وازل «الدوق» و«كوت» بقصر القلعة وازل مدير المهمات بمدرسة عابدين واحتلت القوات الانجليزية ثكنات الحامية وقصر النيل وفى اليوم الخامس والعشرين من سبتمبر غادرا الحديو مدينة الاسكندرية الى القاهرة تقسقبله وفود الأمراء والأعيان والضباط والطباء والترحيب به وزينت محطة القاهرة أجمع لزيته واصطفت الجنود الانجليزية على جانبي الطريق وكان مع سموه رئيس نظام حكومته رياض باشا وقابله «الدوق» نجل الملكة «فكتوريا» وركب على يساره «الجنرال ولسلى» وأمه والسير مالت التفتصل الانجليزى أمام الدوق وسار الملوك الى قصر الاسكندرية . وفى اليوم التالى قصد الحديو سراى الجزيرة لمقابلة وفود البلاد وطلب أعيان القاهرة ان يسمح لهم الحديو بأقلية الزينات ليتبين عنوانين وأحدى وه من أعيان البلاد برئاسة سلطان باشا الى الجنرال ولسلى سيفا قدما مرصدا وقدموا هدية أخرى للأدميرال سيمور

وفى يوم السبت ٣٠ سبتمبر أعادق ميدان عابدين كشك كبير للجلس الحديو وعرض الجيش الانجليزى . وفى الساعة الرابعة حضر الحديو يذله الرسمية قسطنطين القواد ورجال البلاد وعرض القوات البريطانية



## أقسام القاهرة

ولسهولة أدلة القاهرة قسمت الى ثمانية أقسام أو « أمان » واقسم كل من الى شياغات وكان لكل من شيخ يعرف بشيخ اثنى كان يصرف له من محافظة القاهرة مائة قرش ولكل شياخة شيخ عرف بشيخ الحارة كما هو متبع الى الآن ليس له مرتب رضى أنا يال مكسبه من القود التي يأخذها من أصحاب الحاجات من سكان الأملاك التي في شياخه

وكانت أهم أقسام القاهرة حتى أولخر القرن التاسع عشر تالف من أمان للموسى والأزبكية ولبب الشرية والجالية واللوب الأحمر والخليفة ومادين والسيدة رينب ومصر القديمة ويولاى . وكان في الأمان المذكورة ثمانية وأربعون قره قولاً موزعة داخل القاهرة وخارجها لأقلعة رجال اليليس فيها ولكن حلل أكثرها ثم شأ في كل من مركز المعصية به طيب وطيبة وكاتب ومعرض

## مسجد الامام الشافعى والرافعى

أمر للفقير له عهد على باشا بوصول المياه من مجرى السيون الى مسجد الامام الشافعى حيث ميعاه ومناصه حد ان كانت تستخدم للياه للالحة . وكان سبب ذلك أنه لما توفي ابنه اسماعيل بك في السودان ونقل الى مصر شيد له مقبرة بقرب الامام وبنى حولها عدة مبان أجري لياه فيها . فطلب اليه الشيخ حسن القويسنى ان يوصلها الى مطهرة الامام فاجاب الباشا طلبه لما تولى الحكم الخديو توفيق باشا أمر بجدد بجنوران للمسجد بعد أن ظهر فيها بعض الخلل وتوسيمه وشراء بعض الأماكن المجاورة للمسجد وشرع في هدم المسجد القديم في آخر عام ١٣٠٣ هـ ثم حضر الخديو بنفسه حفلة وضع الحجر الاساس له مع أعيان البلاد ومن بينهم دولة للشمر القازى أحد عشار باشا وتليت القمصان الجليله وكث مسمون حوادث اليوم على ورق متين ووضع مع صرة من القود في إياه من البلور خط في صندوق من الرصاص . وهذا أودع في حجر كبير عمود بحدس الصندوق ثم وضع ذلك الحجر في أساس البناء يد سمو الخديو

وأما مسجد الرافعى العظيم فيمد متخرفة فنية للأمره للولوة للكرية هو من أعمال وادة للفقير له الخديو اسماعيل باشا . كان ذلك في عام ( ١٢٨٦ هـ — ١٨٦٩ م ) لما شرع المرحوم خليل أنا كبير أغوات قصرها في العمل . فتمسكة حديدية بالسائقين وطلب العمل بالآلات قطع الأحجار واستمر العمل قائماً مدة طويلة في عمل الأبواب والشبابيك

والثريات والأعمدة الرخامية وكتابة الآيات الكريمة ولكن بركة للفقير تلامذة مؤسسة الجامع  
 عام ١٣٠٣ هـ وقتت البهرة فيه خمسا وعشرين طماحق استأنف بناءه فخيدها بمواخذيو  
 السابق عباس الثاني فأمر بآ كمال البناء بعد أن عمل له تصميم آخر بواسطة باشمهندس  
 الآثار العربية وقتت «مرتز باشا» . فحلب له الرخام من بني سويف وللمرمر من اليونان  
 وتركيا والمرمر الأسود من إيطاليا والبلجيكا والصوان من ألمانيا . . الخ وبشر  
 تكلفته للرحوم أحد خيري باشا ناظر الخاوية قم تشييده في أول المحرم عام ١٣٣٣ (٢٢  
 ديسمبر ١٩١١) وبلغ مجموع ما صرف عليه ٥٧٠٥٠٠ جنيه وافتتح رسميا لأقامة الشعائر  
 الدينية فيه يوم الجمعة غرة المحرم سنة ١٣٣٣ هـ

والى جانب مسجد الرخامى منافع الأسرة العلوية الكريمة . ففي الحجرية البحرية  
 الشرقية ثلاثة قبور لنجل وكرمى للفقير له اسماعيل باشا . وفي الحجرية الغربية قبران  
 أحدهما مدفونة فيه للفقير لها السيدة خوشيار هانم . والدة الخديو اسماعيل باشا مؤسسة  
 الجامع والثاني فيه للفقير له اسماعيل باشا خديو مصر المتوفى عام (١٣١٣ هـ - ٦ مارس  
 ١٨٩٥ م) وفي الحجرية ثلاثة قبور للسيدات الثلاث زوجات الفقير له الخديو اسماعيل باشا  
 عليهن الرحمة والرضوان . وفي الجهة الغربية حجرة أخرى فيها قبر للفقير له السلطان  
 صديق كامل المتوفى (١٣٣٩ هـ - ١٩١٧ م) . وفي الجانب الغربى القبلى من هذا المسجد  
 العظيم حجرة ثمان أحدها وهي الشرقية بها مدافن للأسرة اشئت عام ١٣٣٩ هـ والأخرى  
 وهي الغربية فيها مدفنان أحدهما مدفونة به للفقير لها السيدة والدة صاحب الجلالة  
 مولانا الملك العظيم والآخر أعده لنفسه حضرة صاحب الجلالة الملك أطلال الله فى حياته  
 وحفظه دخرا البلاد

## إحصائيات قاهرة

ولا شك فى أن بحثا للقاهرة يجب أن لا يخلو من ذكر بعض إحصائيات . فإت  
 للأرقام لغة يسهل فهمها بمجرد النظر . ولبدأ بسكان القاهرة فقد بلغ عددهم حسب  
 الإحصاء الذى تم فى ٣ مايو سنة ١٨٨٢ [ ٣٧٤٠٨٣٨ ] منهم ٢٢٠٤٢٢ أجنبيا كان  
 أكثرهم من اليونانيين والفرنسيين . وقد كان عدد سكانها فى الإحصاء السابق الذى  
 تم فى عام ١٨٧٢ [ ٣٤٩٠٨٨٢ ] بزيادة خمس وعشرين ألفا ففى أى يملك ٢٥٠٠  
 خمس بزيدون فى كل عام . وقد بلغ عدد سكان القاهرة فى سنة ١٧٩٨ [ ٢٦٠٠٠ ]  
 فكانت الزيادة التى حدثت فى أثناء خمس وعشرين سنة كانت ١٥٠٠٠ نفس  
 وقد أورد للرحوم على باشا مبارك فى المخطط الجغرافية عدة إحصائيات لطيفة

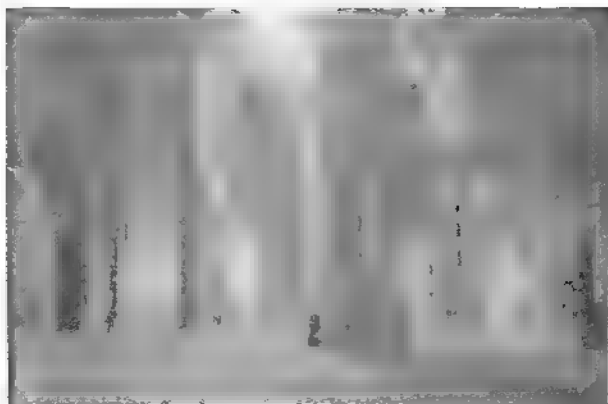


تقد بلغ عدد طوائف القاهرة من أصحاب الحرف والصناعات المتعددة ١٩٨ طائفة وعدد الصناعات في تلك الحرف بلغ ٩٤٨٧ شخصا وقد اقتصنا بياضات من بعض الطوائف التي نهم القراء :

١٦١٠ بناء - ٦٨٩ نخات حجر - ٥٨٩ ميسا - ٧٣٠ مرمما - ١٦١٥ نجارا دقيا  
١٨١ نجار سفن - ٥٠ نجار طواحين - ١٢٧ من السكينة والمبلدين - ٧٧ صانع سيوف  
وأسلحة - ١٠٥٣ جزارا ومن بينهم ١٥٧٩ زياتا - ١٥٠ دقاق بنوعطور - ١٠٢٥  
تاجر فاكهة - ٧٢٩ طاطريا - ٨٣٦ حلاقا - ٤٩١ منجدا - ١٧٣١ خياطا - ٤٤٤  
عقادا - ١٧٢ صانع أحذية - ٧٨٢ جتزا - ١٢٦ موسيقيا . . . الخ وغيرهم من  
أصحاب الحرف الأخرى كالناخلة والصلقية والسكرية  
وقال علي باشا مبارك إنه كان بالقاهرة في عام ١٨٣٦ المجال الآتية :

٥٦٣ من المنازل للملوكة لأربابها - ١٣٩٠ من الخواص للملوكة لأربابها -  
٥٢٨ من الرباع للملوكة لأربابها - ٤٤١ مصبغة - ٣٨٤ طاحونة - ٦١٣ حوشا -  
١٥٩ مرمما للصن - ٢٩٣ وكالة - ٨٣ قاعة للبيع الحرير - ١٠٠ روية للصيوان - ١٠٢  
مفلق للأخشاب - ١٦ مصلحاً للساعين وغير ذلك من الورش ومحال طلي الحجر واسطبلات الخيل  
ولقد كفر عدد القاصي في القاهرة بلغ ١٠٦٧ قهوة منها في نبي الأزبكية فقط ٢٥٢  
وفي نين جولاق ١٦٠ وفي الجالية ١٤٢ - كذلك نما عدد حانات الخمر فقد كان منها  
في العاصمة ٤٨٦ حانة في الأزبكية منها ٢٢٨ وأقل الأقسام عددا كان المغرب الأحمر  
فلم تكن فيه سوى ١١ حانة

وكان بالقاهرة خمس ومحسوسا عاما عموما وكان بها خمس مستشفيات اشتهرت  
الأوربيين احدها كانت بالعباسية واسمها للمستشفى الأوربي والآخرى بالإسكندرية  
وعرفت بالمستشفى البروسانية واثنتان للحكومة المصرية الأولى مستشفى قصر العيني  
لللعقة بمدرسة الطب وبلغ عدد أسرة المرضى فيها نحو ألف ومائة وخمسين ممرضا .  
والثانية مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية وقد أنشئت في عهد الخديوي محمد توفيق  
باشا وكانت قبل ذلك في ورشة الجرح بيولاقي . والمستشفى الخاصة كانت للأمراة اليدين  
أرة اليهود . وقد بلغ عدد الصيدليات في ذلك الحين أربعا وأربعين صيدلية موزعة  
في القاهرة بخلاف الصيدليات الأميرية . كان منها في شارع كلوت بك ست صيدليات  
وثمانية بشارع الموسكى وثلاثة بشارع مايدن وخمسة بدائرة البوطة بالأزبكية . وقد  
ظهرت الصيدليات بشكلها الحديث في أيام محمد علي وكانت العقاقير تباع بذلك  
الطارين بجانها الطبيعية تشفى وتخرج على حسب ما توصف



میدان امام خمینی در تبریز



مهرگان در تبریز

## ميادين جديدة

من الميادين التي استعجت بالقاهرة في أيام الخديو توفيق باشا ميدان باب الحديد والغاز نهار تجاه فندق أوربا والجوسه . وميدان الحبة الخضراء وميدان التياترو - وميادين - والبروم تجاه عمارة سولرس وعمارة السيوق - وميدان باب القوق تجاه منزل للرحوم على بئر اعجب ومنزل محمد أفندي الناقى - وميدان الكوبرى أمام كوبرى قصر النيل وسراى الاسماعيليه - وميدان السواوين تجاه سراى الخالية والداخلية والحفانية وميدان الأزهار تجاه منزل للرحوم محمود باشا القسكى ومنزل على باشا صادق

## المدافن

وكانت مدافن القاهرة التي في خارجها خمسة وهي قراة السيده خبسة وقراة الامام الشافعى وبها مدفن الأسرة الحمديه الطوية . وقراة باب الوزير وقراة المجاورين وقراة باب النصر . ولا احتج العفن داخل القاهرة بطلت عدة مقابر كانت بمكة بين الحبة الخضراء وميدان باب الخلق وزيت على أرضها عدة مبان . وأكثر ماتم منها أشياء في أيام للفقورة الخديو اسماعيل باشا . ومن هذه المقابر مقبرة القاصد ومقبرة الأريكية ومقبرة الرومى ومقبرة السيدة زينب وزين العابدين ومقبرة السبتية كما تعددت مناطق العفن وأصبحت بيده عن المساكن

## المنابع

قبل الاسرة الحمديه كان القديح في داخل القاهرة في عمال متعددة . فلما نظم محمد على باشا ديوان الصعيه جعل القديح داخل المدينة وفي منبجان في خارجها أحدهما بمحبة الحسينية والأخرى في قلب المدينة بحرب السيون وذلك في عام ١٨١٧ . ولم تكن الشروط الصعيه تتوفر فيها كثيرا كما نشاهد في هذه الأيام واستمرت شكلها حتى تم في عهد الخديو توفيق باشا بتأميد مع مستوف للشروط الصعيه بين السيون وزين العابدين وبطلت للمناج القديمة

## مشاهد القاهرة

وقد كان أهم مشغل أهل القاهرة في ذلك الوقت من حفلات الطرب حفلات الذكر والموالد وما كان يشهد فيها من الألعاب الخيالة وكانت تمام تلك الحفلات في البيوت أو المساجد أو الزوايا وكثرت في شهر رمضان في بيوت رؤساء الطرق الصوفية

ولاسيا بيت السادة البكرة بالقاهرة . فأتاكموا أجل الحفلات وكان يؤمها الناس لسماع مشاهير الفقهاء المشرعين بطون آيات القرآن الكريم أو كبار المطربين أو اللندسين الذين يرتفعون بأشاد سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . وكان يطهى القاهريون في لقاهى الشمية سماع قصص « الأمير حمزة » « والظاهر بيبرس » وعقبة بن شاذان الأمير « سيف ابن دى زن » . وكانت هذه القصص تلقى بنفس الأسلوب واللغة والوزن الذى تسمع به اليوم في بعض لقاهى لغزوية في أحياء باب الشمرة والحسينية وميدنا الحسين وكانت أروج هذه القصص هي قصة « عز الشاعر » البطل الحربي الذى لا يقهر وصورة لماشاق الذى يصطحبه على كل شيء . ولقد كان جمهور السامعين يحتفلون بزلف عزت على عيلة . فضاء القهوة بالشموع وهرش أرضها بالرمل وتزدان بالأعلام ويصف عوقها « البطيخ » الأمر والأخضر ويقام سرائق فسيح فإذا وصل « الحدث » الى وصف ليلة الزفاف هنا الجاضرون بعضهم بعضا ا

وكان يسمح بكثرة في تلك الأيام بعض القصص الشعرية كقصبة أبو زيد الملالي سلامة « والوزير سالم » . ولا تزال القصة لأولى يشدها « الشعراء الجوابون » على الرباب أو يدونها

ولماتت الأزيكية في أيام اسماعيل اجتذبت قهاوى الرقص والثناء وغيرها من أماكن اللهو جهورا كبريا من رواد القهاوى البلدية . وظهرت طائفة من المهرجين الفكهين من أمثال « أحد القمار » « والسيد قشطه » . وكانوا يقيمون ليالى الأسبوع كلها في أحياء عظيمة وكان الجمهور يقبل عليهم ويصيحهم مشاق السعد على الأقدام مسافات طويلة ليستمتع بمكاهاتهم القليلة . ولقد اهدح سيد للطربين عبده المحوى في ذلك الحين « الغم » ثم اشتهر بعده من للفنين « أحمد صابر » والشيخ الصفقى ومجسم السجوز وعبد ضئان ويوسف للتبلاوى وعبد الحلى حلى أخيرا ثم زعم المبدعين في أوائل القرن العشرين للرحوم الشيخ سلامة حجازى

لقد اختفى هذا المجمع من حياة القاهرة واختفت معه « الدكة العالية » التى كان يجلس عليها « الشاعر » أو « الحدث » بتايه أوريابه وتلفت آلة الراديو تنزع ما يجب وما لا يجب

وكان لكل بيت من بيوت الطبقة الوسطى منظره يمتنع في إحداها أصداؤه الحارة فيسمرون فيها السمر الطيف أو يقيمون بعض الليالى في سماع القرآن أو رحلة طرب ولم تكن القاهى قد انتشروا بها في كل مكان

وكان الموسرون من أهل الحرف والصناعة يقيمون في قضاء أنواع الحرف الحساسة أو القهرية وعنوانها يراد بها ورثتها واثقوا عليها مستاء . وكانوا من جلدتهم أن يحلوا حريم أو جيا دم في أيام الحبس والمخاطبة لا حذر لزيارة الأمام الشافعي أو لزيارة المحدثي أو لزيارة السيد تقي

## الخليج المصري

الخليج المصري من خلجان القاهرة القديمة أهل مدة طويلة حتى أمد حفره عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب لتسهيل نقل اللؤلؤ على البحر الأحمر . خليج أمير المؤمنين مبتدأ به عند مصر القديمة وسار به في ظاهر القسطنطينية للقاهرة ( التي انشئت فيما بعد ) ومنها إلى الطرية ببوسطة حيث كانت ترعة قديمة متصلة بالبحر الأحمر أمليت وبجف مأوها . وسارت السفن في خليج أمير المؤمنين إلى أيام الخليفة المنصور لما أمر بردمه منها لامتداد الطوبى بين القدين تاروا في المدينة . فلما رأى الحكيم الحاكم بأمر الله الفاطمي أمر بحفره عام ١٠٠٠ م لتسهيل السفن الصغيرة . وكان يبدأ الخليج المصري عند النيل بالقرب من شمال مصر القديمة وجنوب قصر السفن وبحرى السواقي السبع التي كانت تصل للنيل من قبل قنطرة بالمرات الشهيرة السلطانية التي كانت فيما قبل حدود مصر القاهرة من الجهة الجنوبية . وكان الخليج يسمى نحو الشمال الشرق وقبل أن يصل إلى وزارة المالية ينحرف نحو الشرق الجنوبي حتى يجمع السيدة زينب فيعود إلى مسيره نحو الشمال الشرقى ملوا بجانب بركة القبل ثم سرى درب الخمايز ( عازن وزارة المعارف الحالية ) فبكرة الحياية ثم يقطع شارع عبد طهرا بجانب قصر منصور يشاهدان باب الخلق إلى أن يقطع السكة الجديدة قرب اتصالها بشارع اللوسكى فيمر تاركا كنيسة اللاتين وكنيسة السوربان إلى يسار وكنيسة الأرمن وكنيسة الأقباط إلى يمينه حتى يصل إلى بداية سكة مريخوس فيركبها إلى يمينه ثم يخرج من سور القاهرة عند باب الشرية ويسير خارج القاهرة إلى شارع الظاهر فيمر تاركا جامع الظاهر إلى يمينه حتى يلتقى بركة الاستماعيلية عند مصرف الشيفين القديمة وكانت على الخليج المصري عدة قناطر مقنونة تقاطع مع الشوارع التي يمر فيها عددها عشرون قنطرة وهي :

قناطر القم والسد وقصر العيني وقنطرة السباح التي أمام مسجد سيد قزيب وقنطرة

عمر شاه وشاهين بك ودرج الجاميز وسفر وقنطرة التي كمر وقنطرة بلباغرق المار عليها الشارع للوصول من النبة المخضراء إلى جامع السلطان حسن وقنطرة ثابت باشا وقنطرة الأمير حسين وقنطرة الشيخ المقي وقنطرة الحق . وقنطرة الموسكى ورج السورين فياجين الموسكى والشراوى وقنطرة الشراوى وباب الشعرية والعدوى وقنطرة للظاهر المار عليها شارع القبة الموصول للباسية . وكانت كل هذه القناطر ذات عين واحدة ماعدا قنطرة السد فلها كانت بعينين

وكانت قائمة هذا الخليج تقصرة على رى القاهرة وبعض ضواحيها وكانوا يمتثلون بخصه سنويا عند وقته النيل فلما توزعت المياه في القاهرة بالأنابيب الى المنازل في أيام حكم اسماعيل باشا لم يبق له قائمة

لقد تبنى الشراء وأداء السياح بجمال هذا الخليج وبدع مناظره وحسن مجامعه وبأليت أصحاب البيوت المطلة على جانبيه حافظوا على العناية به . بل كانوا يفتنون فصلات الطعام فيه وسلطوا أنابيب دورات المياه والمطابخ عليه فكانت منشأ الأمراض المعدية واقتسرت الحيات المخططة التي كانت تختطف من كل أسرفه خصوصا أو اثنين . فزات الحكومة أن تدمر المصلح الصاحبة من أضراره التكاكة فلما علم الأيمان عزم الحكومة كعبوا عريضة طلبوا فيها التعديل عن هذا العمل لا فيه من ضرر ورفضها الى الموالجديوى توفيق باشا لجنة مؤلفة من أصحاب السيادة والقضية شيخ الإسلام والشيخ البكرى وقاضى القضاة وأحمد بك السيوفى . فلما نظر فى الأمر تأخر الرد نحو عشرين سنة

وأخيرا فى عام ١٨٩٦ تعاونت الحكومة المصرية مع شركة ترام القاهرة على ردم الخليج لتسير خطوطها فى أنحاه وربط أجزاء العاصمة القبلية بالبحرية ولقد تم ذلك ونحن نرى اليوم شارع الخليج للمصرى يصل بين التوالى والباسية وباب الشعرية والسيدة زينب والخلدية ومصر القديمة واتسع الشارع فى بعض أنحاه من جهة غمره وغرست فى وسطه الأشجار الباسفة وقلت على جانبيه البواريات للخدمة وسارت فيه خطوط الترام والسيارات

## على باشا مبارك

لقد وقتت مصر حقا فى انجباب عدد كبير من كتاب المخطوط اذ كان من أبنائها المصرين ابن عبد الحكم أقدم مؤرخى المخطوط المصرية والكندى وابن زولاق والمسبحى والقضاى وابن عبد الظاهر وابن دماق وللقريزى والسفارى وابن إياس

والجبري وأخيرا في القرن التاسع عشر وميت مؤرخها الحق وعالمها الخطير ووزيرها  
الهدى على باشا مبارك

ولما ترجم في رمال من أعمال دكرنس بالقهيلية عام (١٢٣٩ هـ = ١٨٢٣ م) ولم  
يكن في شأنه الأولى ما بقيت للنظر أربابا على أنه سيكون رجلا يحفظ عن معاصره  
ولكن أمرا واحدا كان بقيت النظر ذلك هو تهوره من النيل ومجاقة قوسه عليه فحصل  
الفرار من قريته على أحوال القهر والضرب فكان في مجرته الخمر للبلاد . وجاء الى القاهرة  
رغم إرادة والده واحمال في الالتحاق بمدرسة قصر المعيني عام ١٨٣٦ . وكان إذ ذلك  
لا يجاوز الثانية عشرة من عمره . وهنا بدت ظاهرة جديدة في شخصية على مبارك وهي  
ميله المطلق الى العلم وطموحه الى العالي وقوة إرادته

ولست أدري في تلك الصفحات القليلة ما يكفي لترجمة على باشا مبارك في حياته الناجحة  
مثال يجب أن يحصى به الشباب وحياته تستحق أن تكون موضوعا نيتا يدرسها الشبان  
نحول الى مدرسة أبي زعبل وفي عام ١٨٣٩ انتخب ولاية الأمور بعض نجاها  
التلاميذ لألحاقهم بمدرسة الهندسة في يولاقي فكان على مبارك ضمن هؤلاء . فدخل  
مدرسته الجديدة وهو في السادسة عشرة فكان يرى دائما في أول فرقة ما شجع أساتذته  
لاختياره ضمن فئة الأتجال الأمراء عام ١٨٤٤ التي أوقدت الى فرنسا لتعليم الفنون  
الحرية . فقدم على زملائه ولحق ثلاثهم الأول وم على مبارك وحامد عبد العاطي وعلى  
إبراهيم بمدرسة الهندسة والمهنة الحرية الشهيرة بمصر (Metz) والوارية للالزام الثاني  
في الجيش الفرنسي وألحقوا به الثمسين فكان على مبارك في الأتالي الثالث من فرقة  
للهندسين الحرية واستمر بها الى عودته لمصر عام ١٨٥٠ في أيام حكم عباس الأول .  
حين منوسا بمدرسة طره الحرية ثم قد عند طوائف ومهام غنقة كالمصاحفة بمعية عباس  
باشا وتنظيمه المدارس الأميرية وظارته لمدرسة الهندسة . وفي عام (١٢٧٠ هـ = ١٨٥٤ م)  
سافر الى تركيا مع الحملة المصرية التي أرسلها سعيد باشا لمساعدة تركيا في حرب القرم  
فقدى فيها وفي الأناضول عامين الاقليل لاني ميها الشنار والاهوال حتى عاد ثانية  
لاستئناف حياته الحكومية التي اضطلع فيها

ولما ولي اسماعيل باشا الحكم فكر في استخدام مواهب زميله القديم في الهندسة  
عام ١٨٦٧ وكلا لنظارة المعارف ثم أسند اليه ادارة مصلحة السكة الحديدية والأشغال  
وللمعارف ثم ضمت اليه نظارة ديوان الأوقاف فجمع بين تلك المناصب الرفيعة مع بقاءه  
ناظرا للقناطر الخيرية والصناعات بالمعية

وفي تلك الفترة الذهبية في حياة علي مبارك أخرج لأمة الصلح للشهيرة بلائحة وجب  
( ١٧٨٤ هـ ) وأسس دار العلوم ودار الكتب وشرا المجلات العلمية وأقام مدرج المحاضرات  
هذا بجانب أعماله المتعددة في أعلاء القسط واشتراكه في تنظيم القاهرة وتوسيع شوارعها  
وانشاء أحيائها الجديدة وإين معظم أعمال الإصلاح التي تمت في العاصمة أثناء حكم الخديو  
إسماعيل فحدث في عهد علي باشا مبارك وقد ذكرناها في الفصل السابق

لما تولى الخديو توفيق باشا الحكم كانت علي باشا مبارك متفكدا ورادة الاشتغال  
وفي أيام الثورة المصرية احتكف حينما في الرضيم كان من سفراء العرايع لدى الخديو  
السعي في الصلح . وبعد انتهاء الثورة دخل الوزارة ثانية ثم اشترك في وزارة رياض  
باشا في يونيو ١٨٨٨ وكان وزيرا للعارف القسومية وفي تلك الفترة ظهر كتابه الخفا  
و المخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة ، التي طلبت بأمر  
الخديو توفيق باشا في مطبعة بولاق الأموية وظهرت أجراؤها تباعا خلال سنتي  
١٣٠٥ و ١٣٠٦ ( ١٨٨٨ - ١٨٩٠ م ) وبجانب هذا السفر الثمين فله ترجم المصنف مؤلفات  
أخرى معروفة

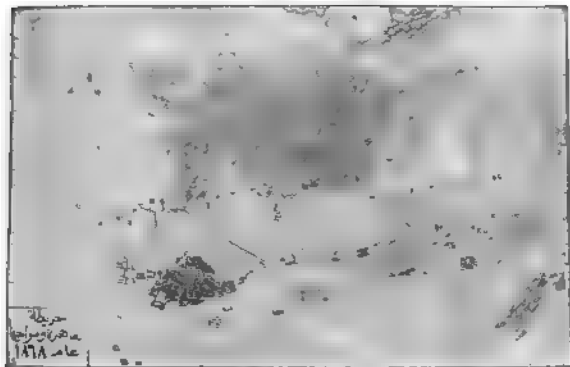
ولما استقلت وزارة رياض باشا علم ١٨٩١ لزم دلوه ثم قصد بلده لتفقد أملاكه  
وعناك مرض بلاء للتانة فعاد الى القاهرة مريضا حتى وافته النية بمنزله في الحلية  
الجديدة في ١٤ نوفمبر عام ١٨٩٣ فأعلنت المدارس حدادا على وفاته

وتؤلف المخطط التوفيقية عشرين جزءا في خمسة مجلدات كبيرة في أكثر من  
ألف صفحة من القطع الكبير . ألفرد للمؤلف الأجزاء الستة الأولى القاهرة منذ أسسها  
جوهر القامح حتى أيام الخديو توفيق باشا وتناول في الأجزاء الستة التالية الكلام عن  
الأقاليم المصرية ومدنها وقراها وترجمة أعيان بلادها مرتبة على الحروف الأبجدية .  
وتكلم في الجزء السادس عشر على الآثار القروية وفي السابع عشر على بعض التراجم  
والأما كن وخصص الثامن عشر لقياس النيل منذ القراعة وتناول في الجزء التاسع عشر  
الكلام على الرياضيات والفزح وفي العشرين وصف القنود وأشكالها وذكر تواريخها  
في غنظ الصور

لقد استطاع علي باشا مبارك بما أودع من عزم وعلم أن يخرج موسوعته الخالصة  
وقدم لمواطنيه مائة نسخة في تاريخ المخطط والآثار المصرية وأعطى لنا صورة واضحة  
من القاهرة الإسلامية في غنظ الصور وفصول الخاضر بلائحة على صفتها خطها  
القيمة . ويتبقى « المخطط التوفيقية » دائما أثرا عظيما لا ينسى في تاريخ مصر



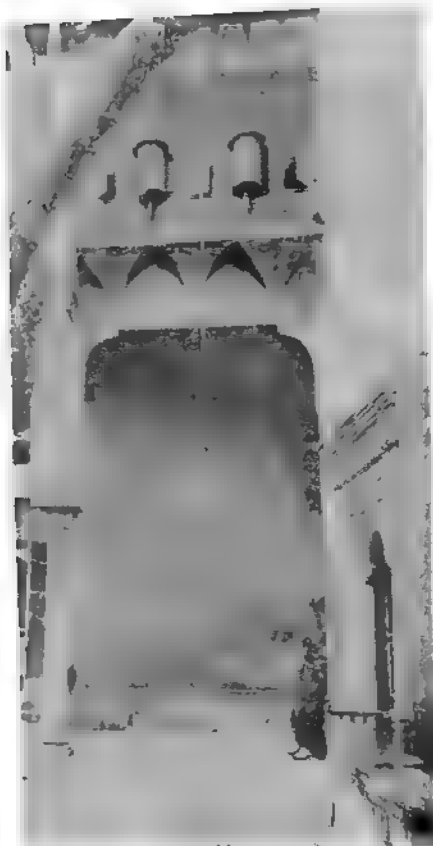




حديقة  
بحر وادي  
عام ١٩٦٨

منظر بحيرة القلعة وحواشيها عام ١٩٦٨

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠



## المراجع

- التي خلفها عنها واتصفت منها واحمدنا عليها في انشاء كتاب القاهرة
- ١ - إيلياس الأيوبي : تخرج مصر في عهد المندوبى اسماعيل في مجلدين
  - ٢ - أحمد شفيق باشا : مذكرة في نصف قرن - الجزء الأول - ١٩٣٤
  - ٣ - إسماعيل سرمد باشا : حقائق الأخبار عن دول البحار في مجلدين - ١٣١٤ هـ
  - ٤ - تقي الدين القفري : للواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أربعة مجلدات
  - ٥ - جويرى زبائن : تاريخ مصر الحديث - في مجلدين - ١٩٢٥
  - ٦ - عبد الرحمن الجبلى : عجائب الآثار في التراجم والأخبار - في أربعة مجلدات
  - ٧ - عبد الرحمن بك الرامى : تاريخ الحركة القومية في ثلاثة أجزاء - ١٩٢٩
- عصر اسماعيل - في مجلدين - ١٩٣٣
- ٨ - سمو الأمير عمر طوسون : البعثات الطبية في عهد محمد علي - ١٣٥٣ هـ
  - ٩ - علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية لمصر القاهرة - ١٣٠٩ هـ
  - ١٠ - عبد الله عنان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط للمصرية - ١٩٣٩
  - ١١ - عبد الرحمن زكى : تاريخ الجيش المصرى قديما وحديثا - تحت الطبع
  - ١٢ - كلوت بك : لمحة عامة على مصر رحمة العالم محمد بك مسعود - في مجلدين
  - ١٣ - محمد بن أليس : مدافع الزمرد في وقائع المحور والأجزاء للشمسة السندري الأتاني
- كاليه Kable
- ١٤ - محمد عبد الجواد الأصمى : قلعة محمد علي لاطمة نابليون - ١٩١٤
- 15 — Reynolds Ball : The City of the Califfs — 1897
  - 16 — M. Briggs : Mohammedan Architecture in Egypt and Palestine — 1927
  - 17 — Mrs. Butler : The Story of the Church of Egypt.  
2 vols. 1899
  - 18 — Capt. Creswell, K. A. G :  
a. Chronology of Muslim Monuments. B. 1. F.  
b. The Citadel of Cairo. B. 1. F.  
c. The Foundation of Cairo 1033

- 19 — M. Clerget :  
Le Caire — 2 vols. 1934
- 20 — J. M. Carré :  
Voyageurs et Ecrivains Français en Egypte — 2 Vols.
- 21 — Mme. R. L. Devonshire:  
a. L'Egypte Musulmane et les Fondateurs de ses  
Monuments. Paris 1926  
b. Rambles in Cairo, 1917
- 22 — G. Ebers : Egypt — 2 vols.
- 23 — Fraser, W. R. Egypt to-day 1892
- 24 — L. Gardey :  
Voyage du Sultan Abd el Aziz de Stamboul au Caire  
1865
- 25 — G. Hanotaux :  
Histoire de la Nation E'gyptienne. 4. Vols.
- 26 — Hauteceur et M. Wiet :  
Les Mosquées du Caire 1933
- 27 — Linant de Bellefond :  
Memoire sur les Principaux Travaux Utilite Publique  
exécutes en Egypte 1872
- 28 — Penfield, E. G :  
Present day Egypt 1899
- 29 — Stanley, L. Poole :  
a. The Story of Cairo  
b. Cairo, Sketches of its history, monuments, and social  
life 1895
- 30 — E. Pauty :  
Les Palais et les maisons d'Epoque Musulmane au  
Caire 1932
- 31 — Paton, A. A :  
A History of the Egyptian Revolution — 3 Vols.
- 32 — Précis de l'histoire d'Egypte. 5. Vols
- 33 — Rhoads, A :  
L'Egypt a petites journées 1877
- 34 — Dr. Zaky M. Hassan :  
Les Tulmides — 1934

## فهرس الجزء الثاني

### مصحفة

- ٣ المقدمة بقلم حضرة الدكتور محمد زكي حسن
- ٥ التمهيد بقلم المؤلف
- ٧ قلعة السلطان النوري
- ٧٢ قلعة الباشوات والبكوات
- ٧٣ قنوت وآثار القاهرة النائية
- ٩٢ قلعة نابليون وبنايت
- ١١٨ قلعة الجبرتي
- ١٣٥ قلعة محمد علي باشا
- ١٥٩ قلعة الخديو اسماعيل
- ١٨٣ قلعة علي باشا مبارك
- ٢٠٠ للراجع

### استدراك

ذكر غلط في صفة ٥٠ أن اسماعيل باشا ذكرى أيضاً باسماء بمرور باب قرة يدلف والمحققة أنه قرة محمد باشا  
 كتبنا اسماعيل باشا المنتقم ذكره  
 صيغة ٤٤ سطر ٢ « الرقى » وصحتها « رقى »













مطبعة عجمی بالقره  
تلفون ۴۰۱۸۰